أميرة المريخ

ادجار رايس بوروز



روايات الهلال

روائع القصص العالمي

أميرة المريخ

تأليف

ادجار رايس بوروز

مؤلف الرواية

ولد ادجار رايس بوروز في أول سبتمبر عام ١٨٧٥ في مدينة شيكاغو الامريكية ، وكانت أسرته غنية موسرة ، فتيسر له الالتحاق بعدة مدارس ومعاهد ، ثم التحق أخيرا بكلية متشيجان الحربية ، واندمج في صفوف الجيش ، ولكنه سرح لصغر سنه . ومضت خمسة عشر عاما اشتغل بوروز خلالها بالكثير من الاعمال المختلفة المتباينة ، فعمل في رعي المواشي وتربيتها ، واشتغل شرطيا ، وغير هذا وذاك من مختلف الاعمال ، ولكنه كان فاشلا في كل الاعمال التي قام بها لا يصيب نجاحا في عمل من الاعمال

وبلغ السادسة والثلاثين من عمره وهو لا ينفك انسانا فاشلا

وتزوج عام ١٩٠٠ من الفتاة اما سنتينا هولبرت وأعقب منها ابنين وابنة ، وفي عام ١٩٣٥ تزوج فلورنس جلبرت التي طلقت منه بعد حياة زوجية دامت سبعة أعوام

على ان بوروز كانت له عادة عجيبة ، فقد كان يمارس أحلام اليقظة ، فيشرد ذهنه ، ويروح يفكر في مغامرات ومخاطرات خيالية عجيبة ، يقع بعضها فوق الكواكب السيارة التي تسبح في الفضاء ، ويقع البعض الآخر من هذه المغامرات في الادغال والغابات ، وفي البيد والصحراوات ، يقابل فيها ، خلال أحلامه ، الوحوش والضواري ويبتدع الحيل والوسائل للتخلص من شرها

ثم جاء يوم كان نقطة التحول في حياته

كان يطالع قصص مغامرات منشورة في احدى المجلات ، وما كاد ينتهي من مطالعتها حتى قذف بالمجلة وهو حانق ساخط ، واعتزم أن يكتب ما هو خير من هذه القصص التافهة ، وهو الرجل الذى لم يمسك قلما في يوم من الايام ، ولم يخط حرفا ، فما كان كاتبا ولا مؤلفا ، ولكنه رغم هذا كان موقنا انه اذا استطاع أن يضع أحلام

يقظته على الورق ، فان قصصه ستكون بلا ريب أروع ما نشر

وبدأ يكتب قصة عن الحياة في المريخ ، حتى اذا تمت باعها لدار نشر . وفي عام ١٩١٢ كتب أول رواية من روايات « طرزان » ، وطبعت هذه الرواية عام ١٩١٤

هذا الرجل الذى فشل وأخفق في كل نواحي الحياة التي طرقها ، وفي كل الاعمال التي قام بها ، نجح نجاحا فريدا في هذا الباب ، باب الروايات المليئة بالمغامرات ، الحافلة بالمخاطرات ، ذات الخيال الخصب الناضج الرائع

وبوروز لايعد من الادباء أو الكتاب ، ولكنه بلا ريب صاحب مدرسة خاصة في التاليف الروائي ، وقد استطاع أن يبيع أكثرمن ثلاثين مليون نسخة من روايات طرزان ، ونقلت كلها الى ٥٦ لغة

وتهافتت على رواياته شركات السينما ، وأقبلت على اخراجها اخراجا رائعا يتفق مع الصورة التي كانت تراود خيال مؤلفها ، وفي اقبال الناس على مشاهدة روايات طرزان ، ذلك الاقبال المنقطع النظير ، ما يثبت أن خيال بوروز خيال خصب رائع

واثرى بوروز بعد فقر ، واشترى مزرعة كبيرة في جنوب كاليفورنيا ، وسمى مكتب البريد هناك باسم « طرزان » فكان هذا تقديرا من مصلحة البريد لروايات طرزان

والعجيب في أمر هذا المؤلف انه لم ير افريقيا ، ولم يزر تلك البقاع التي عاش فيها طرزان بطل رواياته ، وفي هذه دلالة واضحة على روعة خياله

وروايات طرزان التي الفها هذا المؤلف الكبير تجاوزت رقما خياليا اذ بلغت قرابة أربعين ، كما الف أكثر من عشرين رواية عن الكواكب وسكانها وعن مغامرات عجيبة لأبطال رواياته في هذه الكواكب . وقد اخترنا منها « أميرة المريخ » لتكون باكورة ماتصدره من مؤلفات هذا الرجل العجيب ذي الخيال المحلق الرائع

وقد توفي ادجار رايس بوروز في العام الماضي ، وخلف وراءه ثروة قدرت بأكثر من مليون دولار

شخصيات الرواية

• **جون كارتر** John Carter : ضابط قديم فى الحــرب الاهلية الامريكية ، من ولاية فيرجينيا ، ومعدن مغامر ، وراوية القصة

• **جيمس باول** James Powell : ضابط قــديم فى الحـرب الاهلية ، وصـــديق لجون كارتر ، وشريكة فى مغامرة التعدين والبحث عن الذهب

• **تارس تاركاس** Tars Tarkas : محارب عملاق ذو اربعة اذرع من جنس خــراف اخضر اللــون يعيش فى المريخ

• **سولا** Sola : فتاة من شعب المريخ الاخضر ، طيبة القلب ، تختلف عن قومها المتوحشين

• **جيد بتومل** Jed Ptomel : عاهل عشيرة من عشــائر التاركان الخضر اللون

• **وولا** Woola : وحش ذو عشر سيقان قصيرة وثلاثة صفوف من الانياب ، ولكنه كلب اهل المريخ

• **ساركويا** Sarkoya : مريخية خضراء عجوز خبيثة جدا قاسية القلب

• **هاجوس** Hajus : امبراطور التاركان الخضر ، من دول المريخ العظمى ، متوحش ، شهوانى ، وضيع

• **ديا ثوريس** Dejah Thoris : حسناء حفيدة امبراطور هليوم ، من اهل المريخ الحمر ، شبيهة بأهــل الارض ، فى الشكل والطباع

• موروس كياك Mors Kajak : والد ديا ثوريس وولي عهد امبراطورية الحمر (هليوم)

• باركوماس Bar Comas : امبراطور الوارهون ، شعب من الشعوب الخضراء ، اشد ضراوة من التاركان

• داكوفا Dakova : محارب متوحش من الوارهون ، وعدو الامبراطور ، وهو ملك عشيرة . .

• كانتوس كان Kantos Kan : محارب شجاع من مملكة هليوم ، ورسول امبراطورها لخلاص الاميرة

• سابتان Sabtan : ولي عهد مملكة زودنجا ، واميرها الشاب ، الذي يهوى ديا ثوريس

• تان كوزيس Tan Kogis : والد سابتان ، وامبراطور زودنجا ، وعدو هليوم اللدود

• بتور Ptor : اسم اخوة ثلاثة من أهل زودنجا وهم مهندسون زراعيون

• البرسوم Barsoom : اسم كوكب المريخ بلغة اهله



الفصل الأول

فوق تلال اريزونا

انى رجلٌ طاعن فى السن . لا ادرى كم عمرى . ولكنى بلغت من العمر عتيا . ربما كنت فى المائة . وربما نيفت عليها . ولست ادرى بالضبط حقيقة سنى . لانى لم اشخ مثلما شاخ سواى من الناس. ولست اذكر شيئا عن عهد طفولتى .. فقصارى ما اعيه من امر ماضى حياتى انى كنت هكذا دائما ، رجلا فى نحو الثلاثين

ومظهرى الآن هو عين مظهرى منذ اربعين سنة وزيادة . ولكنى اشعر انه من المستحيل ان استمر هكذا فى الحياة الى مالا نهاية . فلابد لى يوما ان اموت الموت الحق الذى لا قيام منه ولا مفر

ولا اجد سببا للخوف من الموت ، وقد جربته قبلَ ذلك حين مت مرتين ، ثم عدت الى الحياة ، ومازلت على ظهرها اسعى . ولكنى خائف هذه المرة . وهذا الفزع من الموت هو الدليلُ على انى من الهالكين لا المخلدين !

وبدافع من هذا الشعور عزمت أن ادون قصة مراحل حياتى العجيبة ، ونوبات وفاتى وليس عندى تفسير لتلك الظاهرة الخارقة . وقصارى جهدى ان أثبت هنا بألفاظ جندى مغامر سلسلة الحوادث التى وقعت لى حينما كانت جثتى ملقاة مدى عشر سنوات فى كهف بجبال اريزونا فلم يعثر عليها احد

انها قصة لم اسردها على مسامع احد من الناس ، ولن يعرفها انسى الا بعد ان اكون قد اجتزت عتبات الدنيا الى عالم الآخرة او الابدية . فانا اعلم ان عقلية الرجل العادى من البشر لا يمكن ان تصدق مالا تعقل ، لذا لن اعجب اذا هاجمنى الناس ، تنى الصحف بكلِّ مقذعة من نعوت الكذب والتزوير والبهتان ، فى حين

انى لم اذكر الا الحقائق المجردة ، تلك الحقائق التى قد يثبتها العلم فى يوم من الايام

اجل ، عسى ملاحظاتى التى جمعتها عن المريخ ، والمعلومات التى ساسجلها فى هذا الكتاب ، ان تكون عونا لرجال العلم على ادراك غوامض هذا الكوكب الشقيق . فلئن كانت تلك الغوامض مستغلقة عليكم معاشر الناس ، فما هى عندى بالغوامض المستغلقة !



ان اسمى جون كارتر ، ولكن الاسم الذى اشتهرت به هو كابتن جاك كارتر من فيرجينيا . وقد وجدت نفسى فى نهاية الحرب الاهلية مالكا بضع مئات الآلاف من الدولارات بعملة الجنوب الملغاة وضابطا بسلاح الفرسان فى جيش لم يعد له كيان ، وموظفا فى حكومة تلاشت آثارها مع تقوض آمال ولايات الجنوب التى خرجت مهزومة من تلك الحرب الضروس . فأنا حينئذ مفلس عاطل ،لامورد لمعيشتى . فقررت لهذا ان اشق طريقى الى الجنوب الغربى عسى ان افلح فى التنقيب عن الذهب فاسترد بعض كيانى

وبعد نحو سنة من التنقيب فى صحبة ضابط آخر من ضباط جيش الجنوب السابق هو الكابتن جيمس باول من ريتشموند ، اسعدنا الحظ فى شتاء سنة ١٨٦٥ بعد كفاح قاس فعثرنا على اعظم عرق من الذهب الخام كنا نحلم به . وكان باول مهندسا من مهندسى المناجم ، فقدر قيمة المنجم بأكثر من مليون دولار من التبر يمكن استخراجها فى اكثر من ثلاثة اشهر بقليل

ولما كانت معداتنا بدائية للغاية ، قررنا ان يعود احدنا الى العالم المعمور ليشترى الآلات الضرورية ويأتى بقوة كافية من الرجال القادرين على العمل فى المناجم فى ذلك القفر الموحش

وقد كان باول على دراية بالآلات ، وبمسالك الاقليم وطرقه ، ولذلك رأينا من الافضل ان يقوم هو بالرحلة . وابقى انا لحراسة المنجم من وضع يد أحد المنقبين الآخرين عليه ان وجده شاغرا

وفى يوم ٣ مارس سنة ١٨٦٦ ، اعددنا عدة السفر والمئونة لباول ، ثم امتطى جواده ، واختفى وراء سفح الجبل ، متجها

الى الوادى . وكان ذلك فى صباح رائق جميل ، وقد تبعته امتعته على بغلين صغيرين . واستطعت بعد ذلك ان ألمح الاشكال الثلاثة فى بطن الوادى الى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر ، حين عبر باول الى الضفة الاخرى ، ولكنى دهشت عندما رايت بعد نصف ساعة ثلاث نقط صغيرة فى بطن الوادى . ولا ادرى لماذا داخلنى احساس شديد بالقلق على صاحبى باول ، مع انى حاولت جهدى ان انفى وجود اى ارتباط بين هذه النقط الثلاث وبين صاحبى ودوابه

وكنا منذ حللنا ذلك المكان لم نلمح اى هندى معاد ، ولذا تهاونا كثيرا فى الحذر والحيطة ، ولم نقم وزنا للقصص المرعبة التى طالما سمعناها عن قسوة الهنود وتعطشهم الى الدماء

وكنت اعرف ان باول مدجج بالسلاح ، وخبير بمقاتلة الهنود . ولكنى كنت أيضا ذا تجربة فى قتال الهنود . ولذا كنت واثقا من أن فرصته ضئيلة اذا هاجمته جماعة متساندة من هنود الاباش مثلا، المعروفين ببراعتهم فى تقصى الاثر ، وبمكرهم ودهائهم

ولم استطع مقاومة قلقى ، فتسلحت بمسدسين وبندقية ، وجعلت حول صدرى حزامين من الرصاص ، ثم ركبت حصانى واندفعت فى اثر باول . وما ان بلغت الارض المستوية السطح نوعا ما حتى حثثت جوادى على الاسراع ، الى ان وصلت قبيل الغسق الى موضع رايت فيه آثارا جديدة انضمت الى آثار صديقى . وكانت تلك الآثار لجياد غير محدودة ، تعدو بأقصى سرعتها

وتابعت تلك الآثار ، الى أن خيم الظلام فاضطررت ان انتظر طلوع القمر ، واعتمد على سوانح الحظ . وجلست افكر فى احتمالات رحلتى التى تتراوح بين الخطر الحقيقى او الوهم الباطل

وفى نحو الساعة التاسعة كان القمر قد اشرق بما يكفى لمتابعة طريقى ولم اجد صعوبة فى تعقب الآثار بخطى سريعة ، الى ان وصلت قرب منتصف الليل الى بئر الماء الذى كان فى نية باول ان يعسكر عنده . فاذا بالمكان خال تماما ، وليست به آثار تدل على اقامة احد به فى المدة الاخيرة . وايقنت ان الآثار الغريبة استمرت فى سيرها فى اعقاب آثار باول بعد وقفة قليلة بالبئر ، وبالسرعة الكبيرة السابقة

وثبت عندي ان تلك الآثار لهنود الاباتش ، وانهم يريدون الوصول الى باول واسره حيا رغبة منهم فى لذة التعذيب الجهنمية ، ولذا حثثت جوادى على الركض باقصى قوته ، املا فى اللحاق بأولئك الشياطين قبل ان يهاجموه

وفوجئت عندئذ بصدى طلقين ناريين من مسافة بعيدة امامى ، فعلمت ان باول بحاجة الى الآن ، والا فلن اجديه نفعا ، فجعلت الكز بطن جوادى لمزيد من الاسراع فى المسلك الجبلى الضيق الوعر

وسرت ميلا او نحو ذلك من غير ان اسمع مزيدا من الطلقات ، الى ان انفرج الطريق الى هضبة مفتوحة صغيرة . واذا منظر ملأنى رعبا وتقززا ، فقد كانت الهضبة حاشدة بنحو خمسمائة محارب من الهنود الحمر ، متجمعين حول شىء فى وسط المعسكر ، استغرق انتباههم بحيث لم يلحظوا وجودى . فكان من السهل على جدا ان اتوارى بين الصخور الكبيرة التى فى مدخل النفق الضيق ثم افر ناجيا بنفسى . ولكن هذه الفكرة لم تخطر ببالى لحظة واحدة

ولست اعتقد انى جبلت من طينة الابطال المغاوير ، لانى فى مئات المرات التى واجهت فيها الموت مواجهة لاشك فيها ، لم اكن اتبين خطر موقفى الا بعد انقضاء الموقف نفسه ببضع ساعات . فهى مواجهة بلا تفكير ، ولهذا فهى بلا فضيلة ، وبلا بطولة ! وكل ماهنالك انى طبعت على الصمود فى اداء الواجب من غير تفكير فى خطره او روعته ، بل من غير تفكير اطلاقا .. وانى لسعيد بهذا التكوين الذى جعلنى بعيدا عن وصمة الجبن

وفى ذلك الموقف بالذات ، كنت موقنا ان باول هو محور ذلك الاهتمام من الهنود الحمر . ولا ادرى هل فكرت فى ذلك اولا ام اقدمت على العمل اولا ، ولكن المهم انى بعد لحظة واحدة من وضوح ذلك المنظر لعينى كنت قد شهرت المسدسين وهجمت وانا اطلقهما واصرخ باقصى ما تستطيع رئتاى الصراخ

ولم يكن فى استطاعتى ان افعل بمفردى خيرا من هذا الذى فعلت . لان الهنود الحمر اخذوا هكذا على غرة ، تخيل اليهم أنه ليست هناك اقل من فرقة من الجنود النظاميين قد شنت الحملة

عليهم ، فولوا الادبار ولاذوا بالفرار فى كل اتجاه ، يلتمسون فى الخيام الهرمية الشكل أقواسهم وسهامهم وبنادقهم

وتكشف لى فرارهم السريع عن منظر اثار حفيظتى وغضبى ، فتحت سماء الاريزونا الصافية ، وفى ضوء القمر الساطع رايت جسد باول مسجى على الارض وقد اخترقته عشرات السهام المرشوقة فى كل موضع منه . فلم يخالجنى الشك فى موته ، ولكنى ما كنت لاتوانى عن انقاذ جثته من التعذيب والتمثيل ، اكثر مما توانيت عن انقاذ نفسه من القتل ، لولا ان سبق السيف العذل

واقتربت منه وانا على صهوة جوادى ، وبحركة سريعة ملت على الارض وانتشلته من حزامه الجلدى ووضعته امامى على السرج، ونظرت ورائى فادركت ان العودة من حيث اتيت مخاطرة لا تؤمن عقباها ، وان الخير كل الخير فى الاندفاع قدما ، لاخترق الممر فى الجهة المقابلة من الهضبة . فلكزت بطن جوادى المسكين ، فى الوقت الذى ثاب فيه الهنود الى رشدهم ، وادركوا انى هجمت عليهم منفردا ، فكروا راجعين بسهامهم وبنادقهم ، وراحوا يطاردوننى بقذائفها

ولم ينقذنى منهم الا ان التصويب فى ضوء القمر عسير ، وان صدمة المفاجأة كانت شديدة على اعصابهم وان سرعة جوادى كانت كبيرة فادركت مدخل النفق ووارتنى ظلال الصخور الضخمة قبل أن تصيبنى تلك المقذوفات بسوء ، وقبل ان تتخذ المطاردة صورة منظمة .

وكنت قد تركت جوادى على سجيته ، وارخيت له العنان ، لانى لم اكن أعرف من المسالك والدروب اكثر مما يعرف ، فاذا به يمرق بى فى مسلك يؤدى الى قمة الجبل ، بدلا من ان يؤدى الى الوادى ، حيث الامان . ولكن ربما كنت مدينا لتلك الحركة بالذات ببقائى على قيد الحياة ، وبالحوادث العجيبة الجسام التى سيطرت على السنوات العشر التالية من عمرى

ولم اعرف انى اسير فى الاتجاه الخطأ الا عندما سمعت صرخات الهنود وهم يطاردوننى وقد اخذت فى الخفوت عن يسارى ،فجذبت عنان الحصان ونظرت الى اسفل ، ورايت الهنود يدورون الى اليمين

حول صخرة ضخمة تعترض الطريق ، فعلمت ان ذلك الاتجـاه هو المؤدى الى الوادى

وكنت واثقا ان الهنود سوف يكتشفون سريعا انهم اخطأوا فى استقصاء اثرى ... وسيشرعون فى الـكشف عن ذلك الاثر فورا

ولم امض فى طريقى الا قليلا ، واذا بمسلك بدا لى مناسبا ، وقد تكشف لعينى حول صخرة عالية . وكان المسلك عريضـا وممهدا ، ومنحها الى اعلى فى الاتجاه الذى كنت ميالا للمضى فيه

وارتفاع تلك الصخرة كان اكثر من مائة ياردة عن يمينى ، اما عن يسارى فالهـوة السحيقة . فسرت فى طريقى نحـو مائة خطوة ، واذا بمنحنى الى اليمين يفاجئنى فيؤدى بى الى فوهـة كهف كبير

ويبلغ عرض تلك الفوهة ما بين ثلاثة اقدام واربع وارتفاعها اربع أقدام . وعند تلك الفوهة انتهى الطريق تماما



وكان الصبح قد بزغ ، ومن اعاجيب جبال اريزونا انك لا تجـد فيها الفجر يطول الا لحظات ، ثم اذا الضوء منتشر فى الآكام بلا انذار تقريبا

وترجلت عن جوادى ، وسجيت جثة باول على الارض ، وجعلت افحصه فلم اقع فى جسده على اى اثر للحياة . فدفقت ماء من قربتى فى فمه ، وغسلت وجهه ودلكت يديه ، وانفقت فى ذلك اكثر من نصف ساعة ، مع انى كنت واثقا انه ميت

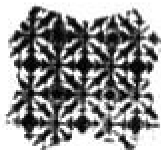
والحق انى كنت مشغوفا بصاحبى باول ، لانه كان رجلا من جميع الوجوه ، وصديقا وفيا ، فلا غرو ان انفض يدى منه وقلبى تمزقه الحسرات

ودخلت بعد ذلك الى الكهف كى اكتشف طبيعته ، فوجدت حجرة فسيحة ، محيطها نحو مائة قدم ، وارتفاعها نحو اربعين قدما ، وارضها ممهـدة ناعمة ، مما يدل على ان الـكهف كان فى وقت ما مأهولا بالسكان

والطرف الاقصى من الكهف كان معتما جدا بحيث لم استطع ان اعرف ان كانت به منافذ الى حجرات اخرى ام لا

وفيما انا مستمر في كشفي ، شعرت بالنعاس ، فعززت ذلك الى كدي وتعبي في الركوب طول الليل ، والى تاثير تلك الموقعة وما تلاها من مطاردة ، واحسست بالطمانينة الى مكاني هذا ، لوثوقي من أن فتحته في استطاعة رجلٍ واحد ان يدافع عنها ضد جيش برمته

واشتدت وطاة النعاس بحيث لم استطع مقاومة الرغبة في الانطراح أرضا لاحظى ببضع دقائق من الراحة . لولا ثقتي ان ذلك مؤداه موتي المحقق على يد اعدائي الحمر الذين يمكن ان يدهموني في اية لحظة . فقاومت بجهد شديد ، واتجهت الى فوهة الكهف ، حيث أسندت ظهري كالسكران الى الجدار ، ثم سقطت على الارض بلا حولٍ ولا طول امام سطوة النوم والاجهاد . .



الفصل الثانى

فرار الميت

هبط على شعور بالانتقال الى عالم الاحلام . وكان شعورا لذيذا ، فاسترخت عضلاتى ، وكنت على وشك الاستسلام لرغبتى الشديدة فى النوم عندما طرق سمعى صوت خيل تقترب من موضعى ، فحاولت ان اقفز واقفا على قدمى ، واذا بى اجد ـ ويا للفزع ـ عضلاتى ترفض الاستجابة لارادتى

لقد تيقظت تماما ، ولكنى كنت عاجزا كل العجز عن تحريك اى عضلة فى جسمى ، وكان عضلاتى تحولت الى حجارة . وفى تلك اللحظة ادركت ان الكهف كله مملوء ببخار لطيف لا لون له الا عند فتحة الكهف ، فى مواجهة ضوء الشمس . ونفذت الى انفى رائحة لاذعة حريفة ، فخطر لى على الفور انى كنت ضحية غاز خانق او سام . ولكن كيف استطعت ان احتفظ بقواى العقلية رغم عجزى عن كل حركة ؟ هذا ما لم استطع له ادراكا . . .

ورقدت فى مواجهة فوهة الكهف ، انظر الى جزء الطريق الممتد بين الكهف والمنحنى الذى حول الصخرة . وكان صوت الخيل قد انقطع ، فقدرت ان الهنود الحمر يتسللون راجلين الى المقبرة التى دفنت فيها حيا . واخذت اتوسل الى السماء أن يجهزوا على اجهازا سريعا ، لما كنت اعلمه عن آلاف الفظائع التى يوقعونها بفرائسهم قبل ان يوردوهم الحتوف . .

ولم يطل انتظارى ، حتى سمعت صوتا خافتا محاذرا نبهنى الى قربهم ، ثم رايت وجها مخضبا مخططا بالالوان الفاقعة بين احمر واصفر واخضر ، وعليه قلنسوة الحرب المزينة بالريش ، وقد اطل

من وراء الصخرة في منحنى الطريق ، واذا بعينين وحشيتين تطلان في عيني .

ولم يخامرني الشك في انه كان يستطيع ان يتبينني وانا راقد في مكاني هذا ، وهو واقف في مكانه ذاك ، فما كانت عتمة الكهف لتحول دون ذلك ، لان شمس الصباح الوضاحة كانت ساقطة من فوهة الكهف على موضعي مباشرة ، بحيث تجعله جزءا من العالم الخارجي المضيء . . .

واذا بذلك الشخص ، بدلا من ان يقترب مني او يهجم علي ، قد وقف يحملق ، وتهاوى فكه ، ثم ظهر بجواره هندي آخر ، ثم ثالث ورابع وخامس ، يمدون اعناقهم مدا فوق كواهل رفاقهم الذين يسدون المسلك الضيق . وكل وجه من تلك الوجوه المخضبة كان صورة ناطقة بالفزع والروع ، ولم اكن ادري سر ذلك كله . بل لم يكتب لي ان اطلع على ذلك السر الا بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ

وعرفت من منظرهم ان وراءهم حشدا من القاتلين والمطاردين . لاني رايت الواقفين ينقلون من المتقدمين منهم همسهم الى من وراءهم ، وفجاة سمعت انينا خافتا ولكنه واضح للغاية ينبعث في الكهف من ورائي ، ولما ارتفع ذلك الانين حتى بلغ مسامع الهنود الحمر ، ولوا الادبار ولاذوا بأذيال الفرار ، وقد امتلأوا منه رعبا

وبلغ من رعبهم وتهالكهم على الفرار ان احد المتقدمين منهم خانته قدمه فسقط من فوق الطريق الى الهاوية السحيقة ذات الصخور ، وترددت اصوات فزعهم بين جدران الكهف فترة قصيرة ، ثم ساد الصمت مرة اخرى . .

ولم يتكرر الصوت الذي افزع الهنود الحمر ، ولكنه كان كافيا لدفعي الى التفكير في امكانيات ذلك الخطر الذي يكمن مصدره وراء ظهري في ظلمات الكهف الغامضة

ولئن كان ماشعرت به في تلك الدقائق القلائل هو الخوف ، اذن فيارحمة الله للجبناء ! لاشك اذن ان الجبن هو حسب الجبان من عقاب وعذاب ! اجل ان الجبن لاشك عقاب ذاتي فوق الكفاية ! وتصوروني مشلول الحركة ، وظهري الى جهة خطر فظيع داهم مجهول ، حسبي من هوله ما احدث صوته من فزع الساعة في قلوب

محاربي الاباش الاشداء ، فاذا بهم كقطيع من الشاه سمعت على القرب عواء الذئب أو زئير الاسد ..! ما اظن موقفا ادعى للخوف القاتل من هذا الموقف ، بل ادعى للضيق والكرب ! فقد سلخت حياتى محاربا اواجه الخطر بالكرة الجسور والهجمة الصادقة ... لا بالشلل والعجز ، حتى عن الالتفات وراء ظهرى !

فلا عجب اذن ان يكون املى كله منحصرا فى ميتة سريعة ، حاسمة



وفى وقت متأخر بعد الظهر رايت حصانى ينحدر هابطا الدرب الجبلى ، بحثا ولا شك عن المرعى والماء ، بعد ان قضى سحابة النهار امام فوهة الكهف يجرر لجامه هنا وهناك . وبذلك صرت وحدى تماما ، مع رفيقى الغامض الصامت ، ومع جثة زميلى باول التى كانت تحت بصرى حيث وضعتها فى الصباح الباكر ...

وظل هذا الصمت سائدا الى قرابة منتصف الليل . كان صمتا كصمت القبور . الى ان عكره فجاة ذلك الانين الفظيع الذى طرق سمعى فى الصباح ، ثم سمعت من الظلام خلف ظهرى حركة ، اشبه شىء بوسوسة الاوراق الجافة .

وكانت الصدمة قاسية غاية القسوة على اعصابى المنهكة ، وبذلت مجهودا بائسا للتغلب على قيودى التى تشل حركتى ... قيودى غير المنظورة . ولكن جهودى كانت عقلية ، وارادية .. ولم تترجم قط الى لغة العضلات ، لانى لم استطع ان احرك حتى ولا اصبعى الخنصر

وداهمنى بعد ذلك شعور بالغثيان ، ثم صوت كصوت قصم سلك من الفولاذ ، واذا بى اجد نفسى واقفا ، وظهرى الى جدار الكهف ، وجها لوجه امام عدوى المجهول

وعندئذ فاض على الكهف ضوء القمر ، فرايت تحت قدمى ، وامام عينى جسدى انا ملقى ، كما ظل ملقى طول ذلك اليوم ، وعيناه تحملقان فى فوهة الكهف ، ويداه على الارض فى تراخ تام .

وجعلت اردد طرفى بين جثتى الراقدة بلا حياة على الارض ، فى ثيابى الكاملة ، وبين شخصى الواقف ، فازداد دهشة وعجبا ... لانى وجدت نفسى واقفا عاريا تماما كما ولدتنى امى !

وكان الموقف شاذا ومفاجئا لى ، بحيث اذهلنى عن كل تفكير ، فقد كان الخطر الاول الذى الح على دماغى هو تساؤلى

ــ اهذا اذن هو الموت ؟ هل انتهيت حقا ، والى الابد ، من علاقتى بهذه الارض ؟ وهل انتقلت فعلا الى العالم الآخر ؟

بيد انى لم استطع ان اصدق ذلك ، لانى كنت اشعر بقلبى يدق داخل صدرى عنيفا . وكان تنفسى يخرج من حلقى سريعا ، متلاحقا ، اشبه باللهاث . والعرق البارد كان يتصبب من كل خلية فى جلدى . ولما جربت ان اقرص نفسى وجدت لذلك الما اقنعنى بانى قد اكون اى شىء ، عدا ان اكون شبحا !

وانتشلنى من ذهولى صوت الانين الغريب صادرا من اغوار الكهف . ولم تكن بى رغبة فى ان اواجه ذلك الخطر غير المنظور الذى يتهددنى وانا على هذه الصورة ، عاريا اعزل من السلاح .

ولم يكن مسدساى فى حزام جنتى ، واما البندقية فكانت فى سرج جوادى الذى ابتعد ولا ادرى اين هو ... ففكرت فى اللياذ بالفرار من ذلك المخلوق المجهول الذى يبدو من صوته انه يزحف نحوى خلسة من جوف الظلام . ثم قفزت من فوهة الكهف ووجدت نفسى فى الفضاء ، تحت سماء اريزونا المرصعة بالنجوم .

ودخل هواء الجبال الطلق فى صدرى ، ففعل فعله العجيب ، وشعرت بحياة جديدة وشجاعة متجددة تسرى فى اوصالى ... ثم طرات على خاطرى فكرة جديدة : اذ قلت لنفسى :

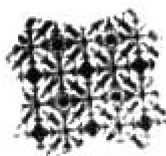
ــ لقد لبثت داخل الكهف ملقى على الارض بلا حراك ساعات طويلة ، فما مسنى سوء من ذلك المخلوق المجهول . فلا بد ان الاصوات التى سمعتها صادرة عن مصدر طبيعى فلا مبرر للخوف من شره . او لعل تكوين الكهف بحيث يحدث هبوب النسيم ذلك الصفير

وعزمت ان اتقصى هذا الفرض . ولكنى قبل العودة الى الكهف رفعت وجهى إلى السماء كى استنشق هواء الليل واملأ منه صدرى ، وعندئذ وقع بصرى على منظر الوادى والجبال فى ضوء القمر الباهر ، وهو منظر من ابهى المناظر ، سحرنى وخلب لبى برهة طويلة

وبينما انا اقلب طرفى فى الجبال والسماء لمحت نجما من النجوم ، شديد الحمرة ، على حافة الافق ، فلما حدقت فيه عرتنى رجفة ،

كان به قوة مغناطيسية ، وكان هـذا النجم هو المريخ ، كوكب اله الحرب ، ذلك الاله الذى يرعى جميع المحاربين من امثالى . . .

وشعرت كأن المريخ يناديني ، ويجذبني اليه كما يجـذب قطب المغناطيس برادة الحديد ، فاغمضت عيني ورفعت نحوه ذراعي ، وتركت نفسي تنجذب اليه باسرع من لمح الفكر ، مخترقة رحاب الفضاء الفسيح .. والظلام من حولى مطبق ، والبرد قارس شديد



الفصل الثالث

فوق المريخ

وفتحت عيني بعـــدها على منظر عجب ، فأدركت اني صرت على ظهر كوكب المريخ . فلم اشعر بالشك لحظة واحدة فى سلامة قواى العقلية ، ولا فى حال يقظتى . كلا لم اكن نائما ، فلا حاجة بى هنا الى قرص فخذى للتأكد من صحوى . وكان وعيى الباطنى يؤكد لى بوضوح بالغ انى على ظهر كوكب المريخ ، بمثل ما يؤكد لك وعيك الباطنى انك على ظهر كوكب الارض ، فلا تناقش هذا الوعى

والفيت نفسى راقدا على فراش مصفر من العشب الناعم يمتد من حولى اميالا لا حصر لها ، فى جميع الاتجاهات . وخيل الى ان رقادى جاء فى وهدة او سهل كبير ، اشبه بالحوض الضخم ، وحول حوافيه كنت ارى تلالا غير متساوية الاحجام ، قليلة الارتفاع

وكان الوقت منتصـــف النهار ، والشمس مشرقة بكليتها على جسدي العارى ، ولـكنه لذع لا يزيد عن مثيله لو كنت عاريا وقت الظهر فى صحراء الاريزونا

أما عن يسارى ، على مســـافة مائة خطوة او نحوها ، بدى لى سور يبلغ ارتفاعه نحو اربعة اقدام . ولم ار ماء ، ولا رايت نباتا سوى ذلك العشب الناعم الاثير ، وكان العطش قد نال منى فعزمت ان أنشد مايرويه

ونهضت قائما على قدمى ، فواجهتنى اول مفاجاة من مفاجئات المريخ . واذا بالجهد الذى تعودت فى الارض ان ابذله ليرفعنى قائما ، وقد قذفنى فى هواء المريخ الى مسافة تقرب من ثلاثة ياردات ، ثم هبطت على العشب بخفة لم احس لها برجفة او صدمة ، ثم بدات

على الاثر سلسلة من التطورات التى بدت لى فى حينها مضحكة الى اقصى حد

لقد وجدت انه ينبغى على ان اتعلم المشى من جديد ، لما تبينت ان توتر عضلاتى الذى طالما ساعدنى على السير الامين فوق سطح الارض وقد أصبح على سطح المريخ مصدر متاعب والاعيب . فبدلا من المشى الرتيب الرزين ، وجدت خطواتى تتحول الى قفزات ترفعنى عن الارض قدمين او اكثر ، وتلقى بى على وجهى كل خطوتين أو ثلاث خطوات . فعرفت ان توتر عضلاتى منكيف بمقدار جاذبية كوكب الارض ، وان هذا لايوافق الجاذبية اليسيرة الهينة نسبيا التى يمارسها على المريخ الموجودات التى فوق سطحه . فضغط الهواء هنا اخف بكثير

وعولت على ان اكتشف ذلك البناء المنخفض الذى رايته بقربى مهما كلفنى ذلك ، ولذا قررت ان اعمد الى وسيلة السير البدائية ، الا وهى الحبو كالاطفال . واسعدنى انى وفقت فى ذلك ، فلم تمض بضع دقائق الا وأنا قد بلغت ذلك السور الذى يحيط بمساحة من الفضاء

ولم اجد فى ذلك السور نافذة ولا بابا ، فى الجهة المواجهة لى ، ولكن قلة ارتفاع السور (الذى لايتجاوز اربعة اقدام) دفعتنى الى محاولة تسلقه بيدى وقدمى ، فلما بلغت قمة السور وقع بصرى على اعجب منظر يمكن ان يتاح لعينى بشر

لقد كان هناك سقف لهذا الذى حسبته فضاء يحيط به سور ، وكان السقف من البلور الصلد الذى يبلغ سمكه نحو خمس بوصات ، ومن تحت هذا السقف بضع مئات من بيض كبير الحجم ، تام الاستدارة ، ولونه فى بياض الثلج . وكان ذلك البيض متساوى الحجوم . قطر الواحدة منه زهاء ذراع (أى قدمين ونصف قدم) وقد فقست منه خمس أو ست بيضات . ونقفت منها مخلوقات عجيبة الشكل ، رأيتها جالسة ترمش بعيونها فى ضوء الشمس ، فكان مرآها كافيا لتشكيكى فى سلامة عقلى !

مخلوقات عجيبة حقا . . . تكاد تحسبها ميتة ، ذات اعناق طويلة ، ولها ست سيقان ! بل الاصح ان لها ـ كما تبينت بعد ـ ساقين ، وذراعين ، وطرفين او سطين يمكن استخدامهم عند اللزوم

بمثابة ذراعين او ساقين ... واما عيونها فعلى جانبى الراس مكان آذاننا ، فوق المنتصف بقليل ، وقد ركبت بحيث تستطيع النظر الى الامام والخلف على حسب المشيئة ، وبحيث تعمل كل واحدة من العينين مستقلة فى الاتجاه عن الاخرى ! فكان المخلوق منها يستطيع ان ينظر الى الامام والى الخلف فى آن واحد من غير حاجة الى تحريك راسه !

اما الآذان فكانت فوق العيون قليلا ، وفى وضع متقارب ، وهى صغيرة الحجم ، شبيهة بالفناجين ، لا يزيد ارتفاعها عن بوصة واحدة ، واما الانوف فلا تزيد عن شق طولى فى وسط الوجه فيما بين الفم والاذنين !

والاجساد خالية من الشعر ، وهى خضراء اللون ضاربة الى الصفرة . وقد عرفت فيما بعد ان هذا اللون يغدو عند البلوغ زيتونيا داكنا . وهو فى الذكور أشد دكنة منه فى الاناث . كما أن حجم الراس لا يكون فى البالغين بعيدا عن التناسب مع حجم الجسم كله ، ذلك البعد الشاذ الذى لاحظته فى صغارهم

وانسان العين احمر بلون الدم . واما حدقة العين فشديدة البياض ، شأنها فى ذلك شأن اسنانهم ذات المنظر الوحشى المخيف، فالانياب السفلى مقوسة الى اعلى تنتهى باطراف حادة عند الموضع الذى تكون فيه عين الانسان الارضى ..! وليس بياض الاسنان كبياض العاج عندنا ، بل كبياض الثلج النقى ، او خزف الصين اللامع !

والحق ان تلك الانياب الناصعة البياض ، المروعة المنظر ، تزداد بشاعتها بالقياس الى لون البشرة الداكن ، بحيث تبعث القشعريرة فى الجسم ..

وكل تلك التفاصيل حصلت عليها وفطنت اليها فيما بعد . لانى للوهلة الاولى لم تتح لى فرصة التامل الطويل ، لانى وجدت سائر البيض على وشك التقف ، فوقفت ارقب تلك الحالة متعجبا ، واشاهد تلك المخلوقات البشعة تخرج من قشورها . ولذا لم افطن الى اقتراب نحو عشرين من اهالى المريخ البالغين خلف ظهرى ... وكان خطوهم فوق ذلك العشب الناعم الاثيث هينا خافتا . وهذا العشب يكسو جميع بقاع المريخ تقريبا ، فيما عدا المناطق المتجمدة عند القطبين ، والمناطق المزروعة القليلة المتناثرة . فكان من اليسير

عليهم أن يقبضوا علي . لولا ان هدفهم كان اشـــد من ذلك وبالا . . بيد ان صليل الاسلحة على جسد المحارب الذي كان يسير في طليعتهم انذرني بالخطر الذي احاق بي . واني لاعجب الآن كيف استطعت ان انجو ، وكانت حياتي من وشك الاهدار قاب قوسين او ادنى . . . لان الصليل الذي صدر عن ذلك القائد هو ارتطام مسدسه بالحربة التي في سرجه . وهي صدفة نادرة ، فالتفت ورايت الحربة لايبعد سنانها عن صدري اكثر من عشرة اقدام ، وطول تلك الحربة اربعون قدما ! وهي من معدن لامع . واما الرجل الذي يحملهـا فطوله لايقل عن خمسة عشر قدما ، ووزنه على الارض لايقل عن اربعمائة رطل . وقد امتطى دابة قبض عليها بساقيه ، وشرع الحربة بذراعيه الايمنين . اما ذراعاه الايسران فبسطهما ليحفظ توازنه فوق دابته التي لا لجام لها !

وكيف لي بألفاظ من لغة اهل الارض اصف بها دابتـه تلك ؟! فارتفاع صدرها عن الارض عشرة اقدام ، ولها على كل جانب من جانبيها اربع قوائم ، وذيلها عريض طويل طرفه اعرض من اصله ، تمده وراءها حين تمشي ، واما فمها فشق كبير من اليافوخ الى العنق الغليظ . وهي كراكبها مجردة من الشعر ، ناعمة براقة البشرة ، قاتمة اللون ، عدا بطنها فهو ابيض واجفانها ذات لون اصفر ، ناعمة الملمس ، لا تحدث ادنى صوت . وكان تعدد الاقدام ظاهرة عامة في مخلوقات المريخ . وليس للحيوانات اظافر ، عدا اعلى انواع البشر وحيوانا آخر ثدييا ، اما ذوات الحافر فلا وجود لها على ظهر المريخ

ورايت خلف ذلك القائد تسعة عشر من اشباهه في كل مظاهره ، ولكني عرفت فيما بعد ان هناك فروقا فردية ، كما ان هنـاك مميزات فردية بين آدمي وآدمي ، رغم التشابه العام في الخلقة

وياله من منظر اشبه مايكون باضغاث الاحلام ، بدت لي روعته فجاة ، فاوقعت في نفس الدهش والرهبة ، وانا عار اعزل . فكان اول رد فعل طبيعي ابديته ، هو الابتعاد عن سنان ذلك الرمح المخيف ، بقفزة ارضيـة ، كانت كفيلة بحملي الى مستوى ذلك الفارس ، فاخذت منه الدهشة كل ماخذ ، ودهش له سائر اتباعه ، فما ظنكم بقفزة رفعتني عن الارض ثلاثين قدما على اقل تقدير ؟ ثم هبطت بي على مسافة مائة قدم من المهاجمين ، وفي الجانب الآخر من السور ؟

وهبطت على العشب الناعم ، ورايت الهاجمين ينظرون الى من وراء السور نظرات ادركت فيما بعد انها تعبر عن أقصى الدهشة ، ثم أخذوا يتفاهمون فيما بينهم همسا ويشيرون نحوى . ولا شك ان امتناعى عن الاضرار بصغارهم قد قلل من حدة غضبهم

ولحسن الحظ ان قلة الجاذبية فوق سطح المريخ جعلت عظام أهله وعضلاتهم وقوتهم أقل جدا من أهل الارض - رغم ضخامة اجسامهم - فما بهم حاجة الى القوة الكبيرة ومقاومة الجاذبية عندهم خفيفة . والقوة الجسمية لاتنمو الا بالمقاومة ، ولا تكون الا فى حدود الحاجة اليها بحكم ظروف البيئة . ولهذا اشك كثيرا فى ان الواحد منهم لو نقل الى كوكب الارض يستطيع ان يحمل ثقل جسمه منتصب القامة ، او يقفز من فوق الارض قيد خطوة ...

وعلى كل حال ، كان لحركاتى البهلوانية اثرها الحاسم ، فبدلا من الاصرار على قتلى ، اتجهت رغبتهم الى قنصى حيا ليعرضوا العابى كما تعرض الحيوانات النادرة عندنا !

وانفسح لى فى الوقت نفسه مجال التفكير فى خطة سريعة لمواجهة الخطر ، وكنت قد لاحظت ان كل واحد منهم يحمل اسلحة اخرى غير ذلك الرمح الهائل ، ومن بينها بندقية كانت هى السبب فى نبذى لمحاولة الفرار . وهذه البندقية كما علمت بعد من المعدن ومن الخشب الذى يمتاز فى المريخ بمزايا باهرة ، وهو من نوع غير معروف فى كوكب الارض . وثقل هذه البندقية ضئيل جدا ، ولكن مداها بعيد ، وقذائفها من معدن الراديوم الذى يفتك فتكا ذريعا لايخطر ببال اهل الارض . ويكفى ان اقول ان مدى هذه البندقية ثلاثمائة ميل !

ولا شك أن حاستى السادسة هى التى حذرتنى من التعرض لهذا السلاح اذا حاولت الفرار فى وضح النهار امام عشرين بندقية من ذلك الطراز !

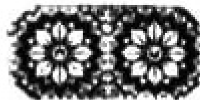
وعلى كل حال رايت المهاجمين يستدبروننى بعد التداول فيما بينهم ويعودون من حيث اتوا ، تاركين واحدا منهم فقط بجوار السور . وكان هو بعينه الذى كاد يفتك بى رمحه ، مما دلنى على انه قائدهم

وبعد أن ابتعدوا نحو مائتى خطوة وقفوا صفا ونظروا نحوه ،

فادركت انهم ينفذون امرا اصدره اليهم . ثم رايته يترجل عن مطيته ، ويلقى رمحه على الارض ، وكذلك اسلحته الصغيرة . ثم تقدم نحوى حول زاوية السور ، عاريا اعزل مثلى ، الا من الحلى التي يحلى بها راسه واطرافه وصدره . ولما صار على مسافة نحو خمسين قدما بسط راحة يده وخاطبنى بلغة لم أفهمها طبعا . ثم توقف كمن ينتظر جوابى . ولما طال الصمت قررت ان اجرب التخاطب معه ظنا منى انه يفاوضنى فى الصلح ... فوضعت يدى على صدرى وانحنيت معبرا له عن مودتى واحترامى .. وبسطت يدى نحوه وتقدمت . فبسط يده بسوار من ادوات زينته . فتناولته منه ووضعته حول ذراعى فوق المرفق ، وابتسمت له وانتظرت خطوته التالية

وانفرج فمه الواسع عن ابتسامة ، ثم مد ذراعه الاوسط وعقده بذراعى ، واتجهنا نحو دابته . واشار الى رفاقه ان يتقدموا . فهجموا مسرعين ، ولكن اشارة من قائدهم اوقفتهم ، لانه خاف ان اهرب منه بقفزة من قفزاتى فلا يدركنى

واشار لى ان اركب على دابة احد رجاله ، وراء ظهره ، ثم ركب دابته ، فحملنى احدهم بثلاثة ايد ووضعنى برفق فوق دابته . ثم سار الموكب كله بسرعة نحو صف من التلال على حدود البصر



الفصل الرابع

فى الأسر

وأحسبنا سرنا زهاء عشرة أميال ، حينما أخذت الارض ترتفع ارتفاعا مفاجئا ، وبعد قليل صرنا عند سفح التلال . وسلكنا واديا ضيقا فى نهايته هضبة ، تربض فوقها مدينة كبيرة جدا . وصوب هذه المدينة أخذت المطايا تخب بنا ، ثم دخلناها ، فاذا الابنية مهجورة متداعية ، كأنما لم يسكنها احد منذ أجيال . وفى وسط المدينة ميدان واسع ، رأيت به وفى الابنية المحيطة به نحو ألف شخص من المخلوقات الشبيهة بمن أسرونى

وكانوا كلهم عرايا الا من أدوات زينتهم . والنساء منهم لايختلفن فى منظرهن عن الرجال الا اختلافا يسيرا ... يبدو بالاكثر فى ضخامة أنيابهن بالقياس الى حجمهن ، حتى انها قد تتقوس فتصل الى ارتفاع الاذنين فوق الرأس ! أما اجسامهن فاصغر واقل سمرة . وفى أصابعهن بقايا أظافر ، فى حين تخلو أيدى الرجال وأقدامهم من كل أثر للاظافر . ويبلغ طول الانثى البالغة ما بين عشرة أقدام واثنى عشر قدما ...

وأما الاطفال فكانوا أقرب للبياض من النساء ، وكلهم متشابهون فى نظرى ، اللهم الا فى أن بعضهم أطول من بعض ، مما يدلنى على أنهم أكبر اعمارا ...

ولم ألحظ بين تلك المخلوقات علامات تدل على الشيخوخة ، فكلهم متشابهون فيما بين سن الاربعين وسن الالف ، وهى السن التى يذهبون فيها باختيارهم الى نهر « ايسى » وهو حج لا يعود منه مريخى قط

ولا يموت بالمرض من اهل المريخ الا واحد من كل الف ، ولا يحج باختياره الى نهـر « ايسى » الا عشرون من كل الف · وأما الباقون فيموتون ميتة عنيفة فى مبارزات أو فى الصيد او فى الحـرب ، أما اكبر نسبة وفاة فبين الاطفال ، لأنهم فريسـة سـهلة لقرود المريخ الضخمة البيضاء !

ومتوسط العمر بعد البلوغ لدى أهل المريخ هو سن الثلاثمائة · ولولا الصيد والقتال لعاش معظمهم الى سـن الالف · ولكن هـذه الوسـائل العنيفة هى السر فى عدم ازدحامالكوكب بالسكان ،كما أنها سبب تسلح جميع الافراد رجالا ونساء ··

وما أن وصلنا الى الميدان ، ولحظ القوم وجودى ، حتى أحدق بنا مئات منهـم ، متلهفين على اختطافى من موضعى وراء حارسى ، لولا كلمة من القائد ألزمتهم حدهم ، واخترقنا الميـدان بسلام الى مدخل بناء فخم هائل

ولم يكن البناء شاهق الارتفاع ، ولكنه كبير المسـاحة ، ومشيد من مرمر لامع مكسو بالذهب والجواهر التى كانت تتلألأ فى أشعة الشـمس · وكان المدخل الرئيسى متسعا يبلغ عرضـه نحو مائة قدم، وليست له سلالم بل يتدرج بلطف الى مستوى الطابق الاول ، حيث البهو ضخم تحيط به شرفات متعددة ودهاليز تطل عليه · وفى البهو مقاعد من الخشب المموه بالذهب يحتلها نحو أربعين رجلا منهم ، وفى الصدر منبر عال فوقه محارب ضخم مثقل بزخارف معدنية ، وريش ملون بالوان بهيجة ، وأحزمة من الجلد مرصـعة بالجوهر ··· وعلى كتفه معطف قصير من الفراء الابيض به شرائط من الحرير القرمزى اللامع

وما لفت نظرى بالاكثر فى تلك القاعة هو حجم المقاعد · انه حجم صغير يوافق أهل الارض ، ولكنه لا يوافق أجسام أهلالمريخ الهائلة· وكذلك المناضد المتناثرة بين المقاعد ·· ولم أجد مسافة بين المقاعد تتسع لسيقانهم الطويلة · ثم ان هذه الاثاثات تبدو عتيقـة للغاية ، فلا بد انها من صنع سلالة انقرضت من فوق ذلك الكوكب ···

وباشارة من يد قائد الكتيبة انبطحت على الارض على عتبة البهو، ثم رفعنى وشبك ذراعه بذراعى وقادنى الى الداخل ، وأفسح الجميع الطريق لأسرى الذى تقدم نحو المنبر حيث عاهلهم · فوقف العاهل

ونطق باسم آسري . فأجابه آسري ناطقا اسم العاهل وألقابه الفخمة

وبطبيعة الحال لم افهم وقتئذ شيئا مما سمعت . ولكني فهمت كل شيء فيما بعد . فتبادل الاسماء علامة السلام بين أهل العشيرة . أما الغرباء المسالمون فيجهلون الاسماء . ولذا يتبادلون الحلى .. في حين يتبادل الغرباء المعادون الطلقات أو الطعنات !

وكان آسري يدعى « تارس تاكارس » . وهو نائب عاهلهم ، ومن اكبر ساستهم وقوادهم . ولا شك انه رفع تقريرا موجزا عن الحادث، فلما انتهى من تقريره خاطبني العاهل بكلام لم أفهمه . فأجبته بالانجليزية كي أشعره أن التفاهم بيننا باللفظ مستحيل ...

وأخذ الحاضرون يفحصونني مع عاهلهم بفضول وعن كثب ، ويتحسسون عضلاتي ويلمس بشرتي ، ثم أشار العاهل الى أن أتبعه هو وتارس تاركاس الى الخارج . ليعرضني في الميدان الكبير ...

فخرجت متعلقا بذراع تارس . وخطواتي أشبه بقفزات أبي قصادة بين المقاعد التي أصابتني بكدمات من ارتطامي بها نتيجة عدم قدرتي على وزن حركاتي . فكان المريخيون يضحكون مسرورين ! فبدأت أحبو على الارض . فرفعني أحدهم عن الارض بخشونة أهدرت كرامتي، فلم أتمالك نفسي ولكمت فكه لما صرت في مستوى وجهه . فراعني أنه سقط على الارض كالثور ! فأسرعت بالاحتماء وراء مقعد . ظنا مني أنهم سيهجمون على . عازما على قتالهم حتى الموت !

ولكن خاب ظني . فقد أذهلتهم لكمتي ، ثم رأيتهم يصفقون بحماسة . والمخلوق الذى صرعته بقبضتي ملقى على الارض ولم يتقدم أحد رفاقه لانهاضه . بل تقدم مني تارس وبسط لى احدى أيديه ، فسرت معه الى الميدان بوقار شديد . على قدر استطاعتي

ولم افهم مرادهم مني الا عندما رأيت تارس يخاطب الجمهور ، ثم يلتفت نحوي ويقول لى بوضوح وأناة :

ـ ساك . ساك . ساك .

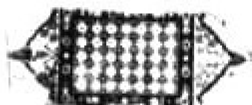
وبعد كل ساك من هذه يقفز في الهواء . ففهمت مراده وجعلت اقفز .. « ساك » على حد تعبيره بكل قوتي . فبلغت قفزتي بي مسافة مائة وخمسين قدما . وكنت قد تعودت اللعبة . فلم أفقد توازني وهبطت واقفا كالبهلوان !

وعلا تصفيقهم ، وطلبهم للاعادة ، وأمرني العاهل أن أعيد القفزة ولكنني كنت جائعا وعطشان ، فتجاهلت الامر ، ورحت أشير الى فمي وبطني • فتبادل العاهل مع تارس بضع كلمات ، ثم أشارا الى انثى شابة واصدرا اليها أمرا ، وأشارا الى أن أصحبها ، فقبضت على يدها المبسوطة نحوى ومشت بي نحو بناء كبير في الجانب الآخر من الميدان !

وكانت مرافقتي الحسناء تبلغ نحو ثمانية أقدام ارتفاعا ، حديثة عهد بالبلوغ ، ولكنها لم تصل الى أقصى النمو ، ولونها زيتوني فاتح، واسمها كما عرفت فيما بعد « سولا » • وهي من حاشية تارس تاركاس

وقادتني داخل البناء الى حجرة واسعة ، رأيت بها فراء وحريرا متناثرا ، ففهمت انها حجرة نوم ، وكانت بها نوافذ كبيرة،وجدرانها مزينة بالرسوم والنقوش • الا أن كل شيء في بنائها يدل على القدم• مما اكد ظني بأن المهندسين الذين شادوا الابنية لا تصلهم أى صلة بأولئك الهمج الذين يعمرون كوكب المريخ الآن

واشارت لى « سولا » نحو كومة من الحرير في وسط الحجرة ، ثم صفرت كأنها تدعو أحدا من خارج الحجرة للدخول ، وعندئذ رأيت أعجوبة جديدة من أعاجيب المريخ • رأيت حيوانا له عشرة أقدام وسيقان قصيرة يزحف داخلا ، ثم يجثو أمام الفتاة كأنه يظهر لها الخضوع كما تفعل الكلاب عندنا في الارض • وكان هذا الحيوان في حجم المهر الصغير ، الا أن رأسه أشبه برأس الضفدع ، لولا ثلاثة صفوف من أنياب طويلة حادة تبرز من فمه !



الفصل الخامس

أنا وكلب الحراسة

نظرت سولا فى عيني ذلك الحيوان الشريرتين ، وغمغمت بكلمة او كلمتين بلهجة الامر ، وأشارت له نحوى ، ثم غادرت الحجرة . فعجبت ماذا عسى أن يصنع مثل هذا الوحش الفظيع وقد تركته وحده عن كثب هكذا من قطعة لحم طرية مثلى ! بيد أن مخاوفى لم يكن لها أساس . فان الوحش بعد أن تطلع الى برهة بامعان ، عبر الحجرة الى منفذها الوحيد المفضى للشارع . واضطجع على عتبتها

وكانت هذه أول تجربة مع كلب حراسة مريخى . ولكنها فيما يظهر لم تكن الاخيرة ، فان هذا المخلوق ظل يحرسنى بعناية شديدة طول مدة أسرى بين هؤلاء الرجال الخضر . وأنقذ حياتى مرتين،ولم يفارقني باختياره مطلقا ، ولا لحظة واحدة

وبينما كانت سولا فى الخارج انتهزت الفرصة وجعلت أفحص الحجرة التى حبسونى بها فحصا دقيقا . فاذا بالزخارف التى تزين الجدران تمثل مناظر من ابدع ما يكون ، لجبال ووديان وأنهار ومراع وبحيرات وأشجار وأزهار ورياض تباكرها الشمس وكان أشعتها تبتغى لأفنانها لثما ... وخيل الى أن هذه المناظر أشبه بمناظر الارض منها بمناظر المريخ ، لولا اختلاف ألوان النبات . ولكن الذى ليس فيه من شك ان اليد التي رسمتها يد أستاذ راسخ القدم فى فنه ، وسليل مدرسة فنية عريقة ذات أصول وجذور . بيد أنى لم أجد فى جميع تلك الرسوم حيوانا واحدا ، ولا بشرا يشبه تلك المخلوقات التى رأيتها تعمر المريخ

ونبهتني من خواطرى عودة سولا تحمل الطعام والشراب فوضعتهما على الارض بجوارى ، ثم جلست بالقرب منى وراحت ترقبني . وكان

الطعام نحو رطل من مادة أشبه بالجبن ، ليس لها طعم٠أما الشراب السائل فكان فيما يلوح لبن حيوان من حيوانات المريخ ٠ وطعمه حمضي بعض الشيء ، ولكنه غير كريه ٠ وبمرور الوقت عرفت كيف أستسيغه وآلفه جدا ٠ وعرفت فيما بعد انه ليس لبن حيوان ، لأنه لا يوجد من الثدييات على ظهر المريخ الا حيوان واحد ، نادر الوجود جدا ، وانما هو عصير نبات ضخم ينمو بغير ماء ، الا أنه يمتص الرطوبة من التربة ومن الهواء وأشعة الشمس ويحولها الى ذلك اللبن ! والشجرة الواحدة من هذا النبات تدر أربعين رطلا من اللبن في اليوم ٠

وبعد أن أكلت وشربت شعرت بالعافية والقوة ، ولكني أحسست بحاجة الى الراحة ، فاستلقيت فوق الحرير والفراء واستغرقت في النوم ٠ ولا بد أني نمت ساعات طويلة ، فقد وجدت الظلام مخيما حينما استيقظت ، وقد شعرت ببرودة شديدة ، مع ان الفراء كان يغطيني عندما نمت ، ولكنه كان قد انحسر عني ، ولم أتبينه في الظلام كي أسترده ٠ وجعلت أتحسس واذا بيد تغطيني بالفراء ، ثم تضيف فوقه آخر بعد قليل ٠ فأدركت أن سولا ساهرة علي

والحقيقة أن هذه الفتاة وحدها من دون سائر أهل المريخ خضر الجلود كانت تتمتع بسجايا الحنان والرفق والعطف ٠ فلم تقصر في خدمتي والعناية بجسمي ، وكان لعنايتها أثر كبير في تجنبي الكثير من المتاعب والمشاق ٠٠

وقد عرفت فيما بعد أن الليل في المريخ قاسي البرودة ، وليس له فجر ولا غسق فتغيرات الضوء والحرارة فجائية ، وتحدث هزات عنيفة في البنية البشرية ، والليل اما مضيء جدا واما حالك السواد، فللمريخ قمران يدوران حوله ، قد يضيئان معا وقد يختفيان معا ٠ فاذا طلعا معا كان الضوء قويا جدا

وقمرا المريخ على مسافة منه أقل بكثير من المسافة بين الارض وقمرها ٠ فالمسافة بين الارض وقمرها نحو ربع مليون ميل ٠ أما المسافة بين المريخ وقمريه فهي خمسة آلاف ميل ، وأربعة عشر ألف ميل لا أكثر ٠٠ وأقرب قمري المريخ يدور حوله في سبع ساعات ونصف ، متقلبا بأشكاله المختلفة في الليلة الواحدة ثلاث مرات أو مرتين على الافق ٠ والقمر الثاني يدور حول المريخ في نحو ثلاثين

ساعة ... ومنظر القمرين على الافق من أبدع ما يكون ولكنهما لا يجتمعان طويلا ، لشدة سرعة أقربهما في الدوران

وكان هذا النظام رحمة من ربك بأهل المريخ ، فهم قوم رحل لا يعرفون الاضاءة الصناعية المتقدمة ، ولذا كان القمران مصدر نفع كبير لهم في الليل الحالك ، يغنيانهم عن شموعهم الحائلة الضوء.

وبعد أن أحكمت سولا الغطاء حولى نمت ثانية ولم أستيقظ الا عند طلوع النهار . فوجدت معى فى الغرفة خمس أناث مستغرقات فى النوم بين الحرير والفراء . وعلى العتبة رقد الكلب الوحشي العجيب يقظ النظرات ، وقد ثبتها فوقى ، فتساءلت بينى وبين نفسى ماذا عسى يحدث لى لو أنى فكرت جدلا فى الفرار ؟

وخطر لى ان خير تجربة أجريها لمعرفة مدى خطورة هذا الوحش ، أن أحاول فورا مغادرة الحجرة . وكنت موقنا أن قدرتى الارضية على القفز والعدو كفيلة بنجاتى منه متى بلغت الطريق العام . وقوى هذا اليقين عندى اننى رأيت سيقانه قصيرة جدا!

وببطء شديد وقفت على قدمى ، فاذا به يفعل مثلما فعلت . فتحركت نحوه بحذر شديد . ولما اقتربت منه تراجع والتصق بالحائط فى حذر ، وحينما وصلت الى فجوة الباب تنحى جانبا ليدعنى أمر منه . ثم تبعنى على مسافة عشر خطوات الى الشارع المقفر . فاعتقدت أن المهمة الموكولة اليه هى حمايتى فحسب . ولكنى عندما وصلت الى حدود المدينة قفز فجأة فصار أمامى ، وأحدث صوتا غريبا وكشر عن أنيابه البشعة

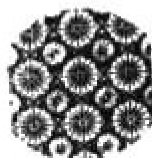
وعن لى أن أتسلى بالعبث به فجريت نحوه ، ولما صرت أمامه تماما، قفزت فى الهواء قفزة عالية من فوقه صرت بها خارج المدينة . فاذا به يهجم على بسرعة لا أتصورها ، وكنت أظن قصر سيقانه يحول بينه وبين السرعة ، فاذا بسرعته تفوق كلاب الصيد الارضية بمراحل كثيرة . وعرفت فيما بعد أن هذا الحيوان أسرع حيوانات المريخ ، وانه أمين ذكى وفى شرس ، ولذا يستخدم فى الحرب وفى حراسة الاهالى وحمايتهم من جميع أنواع المخاطر

وتبينت على الفور انه سيصعب على الهرب من هذا الحارس العنيد، ولما أوشك أن ينقض على ، قفزت فى الهواء من فوقه ودخلت المدينة

بعيدا عنه بمسافة طيبة . فأسرع يطاردني ، ولما صار عن كثب مني، قفزت في الهواء قفزة جعلتني في مستوى نافذة في واجهة أحد الابنية على ارتفاع ثلاثين قدما ، وتشبثت بها وكانت النافذة تطل على الوادي ، فاتخذت منها مجلسا مستقرا لي ، من غير أن اطل داخل البناء ، بل رحت ارقب الحيوان الغاضب من تحتي في الشارع

ولم يطل استقراري في مجلسي ، لأن يدا ضخمة امتدت من الخلف وتناولتني من قفاي وجذبتني الى داخل البناء بعنف بالغ !

وارتميت على ظهري فوق الارض ، وتطلعت مذعورا لأجد من فوقي مخلوقا عملاقا أشبه بالقرد الابيض ، جسمه خال من الشعر ، الا من شعر مجعد كثيف على رأسه ..





ولم يطل استقرارى ، لان يدا ضخمة امتدت من الخلف وتناولتنى من قفاى

الفصل السادس

معركة هائلة

كان هذا القرد الضخم اقرب شبها الى البشر اهل الارض من سائر اهل المريخ الذين رايتهم . وقد سمرني في الارض بقدمه ، وراح يرطن ويشير بيديه الى شخص واقف خلفي فلم استطع ان اراه ، ولا شك انه قرينه او قرينته .. فتقدم مني ذلك الآخر وفي يده صخرة ضخمة ينوى قطعا ان يسحق دماغي بها

وكان هذان المخلوقان الابيضان يبلغان نحو خمس عشرة قدما في الطول ، ولهما مثل اهل المريخ ذراعان اوسطان . واسنانهما اشبه باسنان الغوريللا الافريقية . ومع هذا فهما اقل قبحا ، بل اقرب للجمال ، من هؤلاء المريخيين الخضر البشرة

وفي اللحظة التي اوشكت فيها الصخرة ان تنقض على جبهتي اذا بهجمة باسلة من الباب تستقر على صدر قاتلي ، فهرب القرد الذي كان ممسكا بي من النافذة ، ولكن قرينه اشتبك في قتال رهيب مع منقذي ، ذلك الكلب الحارس الامين

وباسرع ما استطعت قفزت واقفا على قدمي ، وانسحبت الى الجدار ووقفت ارقب تطورات المعركة الطاحنة التي يندر ان يحظى بمشاهدة مثلها بشر . فالخفة والقوة والجسارة العمياء التي يمتاز بها المتحاربان لا مثيل لها على وجه الارض . وكان حارسي قد انشب من اللحظة الاولى انيابه الطويلة في صدر القرد . ولكن اصابع القرد الضخمة كانت قد اطبقت على عنق الكلب واخذت تزهق انفاسه

واخذ الاثنان يتقلبان على الارض ، وعينا الكلب قد جحظتا وتدفق الدم من خياشيمه ، ولكن حال القرد لم تكن خيرا من حالته ،

فالدم ينزف من فمه ومن صدره الذى نهشته انياب الكلب الوحشى الضخمة

وفجاة وجدت نفسى اثوب الى الالهام ، وارفع الصخرة واسحق بها راس القرد ، فاذا بها تتهشم وكانها قشرة بيضة ! ولكن خطرا جديدا احدق بى . فان القرد الاول الذى هرب لم يلبث ان عاد من داخل البناء ، فلما راى قرينه ملقى على الارض ميتـــا ، زمجر وقدحت عيناه بالشرر ، فامتلات نفسى فزعا وهولا . وايقنت ان مواجهة العدو الآن معنـاها الموت المحقق . وفـكرت فى القفز من النافذة الى الشارع ، حيث ينفسح امامى طريق الهرب . ولكن فى اللحظة التى حاولت فيها تنفيذ تلك الفكرة وقع نظرى على حارسى ملقى على الارض ، وفى عينيه نظرة استعطاف جعلتنى انبـذ خطة الهرب نهائيا . فما كنت لاتخلى عنه بعد ان انقذ حياتى معرضـا حياته للخطر . وواجهت القرد المهاجم باستماتة تامة

ولم يكن امامى سوى ان اضربه بالصخرة على ركبته ، فتالم الما شديدا وفقد توازنه وانـكب فوقى بجسمه وهو يصرخ بغضب ، فضربته وانا اقفز فى الهواء فوق فـكه ، ثم فى معدته . فـكانت للـكمتين نتيجة رائعة ، اذ انكفأ على الارض مغشيا عليه . فحملت الصخرة وقفزت فوق جثته الهائلة واجهزت عليه بتحطيم جمجمته كقرينـــه

وعندئذ دوت فى جوانب البناء ضحكات عالية ، فنظرت دهشـا لارى عند المدخل تارس تاركاس وسولا وثلاثة من المحاربين الخضر ، فلما وقع نظرى عليهم ضجوا بالتصفيق

وكان غيابى قد لفت نظر سولا عندما استيقظت ، فابلغت الامر الى تارس تاركاس الذى خرج مع نفر من المحاربين للبحث عنى ، فلما اقتربوا من اطراف المـدينة سمعوا ضجة المعركة فدخلوا على الفور ليشهدوا ختامها العنيف . . . فـكان ذلك سببا آخر لفوزى بتقديرهم الـكبير كمحـارب بارع . فهؤلاء القوم لايعرفون الحب والصداقة ، ولـكنهم يقدرون القوة البدنية والاقدام والشجاعة

وكانت سولا قد انضمت للـكتيبة التى تبحث عنى باختيارها ، فكانت الوحيدة من بين المجموعة التى لم تضحك وهى تشاهد المعركة بينى وبين القرد الضخم ، فلما اجهزت عليه اندفعت نحوى وراحت

تفحص جسدي خشية ان تكون به جروح او رضوض . فلما لم تجد شيئا من ذلك ابتسمت مسرورة واخذت بيدي الى الباب

اما تارس تاركاس فوقف مع رفاقه حول الكلب الذي اخذ يسترد عافيته ، وراحوا يتداولون بسرعة وحرارة . فتوجست خيفة على الكلب ورفضت الانصراف حتى ارى ماذا سيصنعون

واخيرا صعقت ! لاني رايت احد المحاربين يتلقى امرا من تارس تاركاس ، فيخرج مسدسا فظيع الشكل ويحاول الاجهاز على ذلك المخلوق الذي انقذ حياتي ، فقفزت في الهواء وضربت يده فطاشت الرصاصة واصابت الجدار بجوار النافذة ، فثقبته ونفذت منه !

وركعت بجوار الكلب ورفعته فوق اقدامه واشرت اليه ان يتبعني . ونظرات الدهشة تلاحقني من اهل المريخ الذين لم يفهموا سلوكي ، فهم لايدرون شيئا عن صفات عرفان الجميل والوفاء والرحمة !..

ونظر المحارب الذي ضربت ذراعه الى تارس تاركاس نظرة استفهام فاشار اليه تارس ان يتركني افعل ما اريد ..

وهكذا عدنا الى الميدان الكبير ، والكلب يتبعني ، وسولا قابضة على ذراعي بقوة .. وهذان هما الصديقان اللذان غنمت حبهما من تلك المعركة . فالفتاة ترعاني بحدب الام ، والكلب يكن لي من الحب والاخلاص ماعرفت فيما بعد انه يرجح بمراحل عواطف الخمسة ملايين مريخي رجالا ونساء ...



وبعد أن تناولت افطارا ممتازا هو نسخة من وجبة الامس ، بل من كل الوجبات التي تناولتها يوميا مدة اقامتي مع اهل المريخ الخضر ، صحبتني سولا الى الميدان حيث وجدت الجمهور كله مشغولا بشد حيوانات ضخمة الى نحو مائتين وخمسين من العربات الضخمة ذات العجلات الثلاث . وكل عجلة يجرها حيوان واحد . ولكن منظر هذا الحيوان يدل على ان الفرد منه قادر على جر جميع قافلة العربات بعد تحميلها الى اقصى حد ...

وكانت العربات نفسها كبيرة ، ومزخرفة بافراط . وفي كل عربة منها جلست انثى مريخية مزينة بالمعادن والجواهر ومتدثرة بالحرير

والغراء . ولها مقعد مريح للغاية . وفوق ظهر كل حيوان جلس شاب مريخي يقوده ، لا بعنان او لجام ، بل بالتـــأثير النفـــاني فحسب ، شأن جميع دواب المريخ !

والحقيقة ان هذه القدرة عجيبة عند اهل المريخ ، ولهذا كانت الفاظهم قليلة ومحادثاتهم محدودة ... فالتلباثى لغة عالميـــة فى كوكب المريخ ، وبواسطتها تستطيع جميع الاحياء من كافة المراتب ان تتخاطب بغير عناء ..

وتحرك موكب العربات فى خط واحد ، فجذبتنى سولا الى عربة خالية ومضينا مع الموكب الى الموضع الذى دخلت منه المدينة فى اليوم السابق . وامام موكب العربات كوكبـة من مائتى محارب ، وفى المؤخرة مثل ذلك العدد ، وحف بالجانبين نحو ثلاثين منهم

وكان الجميع ذكورا واناثا واطفالا مدججين بالسلاح ، وخلف كل عربة يعـــدو كلب مريخى . وكان كلبى انا هو الذى يجرى وراء عربتنا . والحق ان هذا المخلوق الوفى ظل يتبعنى كظلى مدة السنوات العشر التى قضيتها هناك

واخترق الموكب التلال المحيطة بالوادى المواجهة للمدينـة ، ثم هبط الى قاع البحر الجاف الذى اخترقته فى رحلتى الى المدينة . واتضح لى ان البناء الذى يحيط به السور هو هدف رحلتنا هذه. وهذا البناء هو معمل تفريخ الاطفال فى المريخ ...

وبمجرد وصولنا الى هناك اصطفت العربات بنظام عسكرى دقيق حول الاضلاع الاربعة للسور ، ثم ترجل العـاهل وتارس تاركاس وبضعة نفر من القواد الآخرين وتقدموا نحو السور . ورايت تارس يشرح شيئا للعاهل الذى كان اسمه جيد بتومل . وجيد هو لقبه الملكى ، وبتومل هو اسمه . ثم رايت تارس يشير الى سولا فذهبت اليه وعندئذ طلب منها ان ترسلنى اليه . وكنت قد الفت السير فى الجاذبية المريخية ، فسرعان ماكنت امام تارس

وعندئذ تبينت ان جميع البيض قد افرخ فقسه الا القليل النادر منه . وصار معمل التفريخ غاصا بتلك الشياطين الصغيرة القبيحة الشكل . واطوالهم تتراوح بين ثلاثة اقدام واربعة ، ويتجولون فى المكان المقفل كمن يبحثون عن الطعام . واشـــار تارس اشارات فهمت منها انه يريد منى ان اكرر عملية القفز فوق سور المفرخـة

كما فعلتها بالامس ، كي يشاهدها العاهل بتومل . وجعل يصيح بالكلمة التي وعيتها جيدا

ــ ساك . ساك . .

وشعرت بالزهو لتلك المقدرة التي استرعت اعجابهم ، ثم قفزت قفزة طرت بها من فوق العربات المصطفة وصرت في الجانب الآخر من المفرخة . ولما رجعت ادراجي قال العاهل لي كلمات لم افهمها ، ثم القى امرا الى جنوده فتقدموا من المفرخة ولم يعيروني التفاتا بعد ذلك ، فوقفت في مكاني ارقب العملية عن كثب . وهي عبارة عن فتح ثغرة في السور تسمح بخروج المريخيين الصغار

واصطف اهل المريخ اناثا واطفالا ورجالا صفين متراصين على جانبي تلك الثغرة ، ليمر من بينهما « الافراخ » الجدد الى العربات ، وهم يعرون بخفة كالغزلان الى ان يتلقفهم النساء في النهاية واحدا واحدا ، بمعنى ان من في آخر الصف يتلقف اول فرخ في مقدمة السابقين ، ثم التالي وهكذا تأخذ كل انثى طفلا بالقرعة المحضة . وكل انثى تستولي على طفل تخرج من الصف وتترك المكان لتاليتها . الى ان انتهى توزيع الاطفال !

ولما بحثت عن سولا وجدتها في عربتنا وبين يديها طفل بشع الشكل تحتضنه بقوة . وليست حضانة الاطفال في المريخ الا فترة تدريب على الكلام وعلى اسلحة القتال التي يحملونها منذ العام الاول من عمرهم . ولما كانت مدة بقاء الجنين في البيضة هي خمس سنوات ، فلا عجب ان يخرج الفرخ كامل النمو

ولما كانت الام لا تستطيع ان تعرف ابنها بالذات ، ولا كيف تحدد اباه ولو بالتقريب ، فهؤلاء جميعا ابناء الامة ، والبنوة مسالة صدفة ، والامومة واجب اجتماعي بحت . . .

بل من الجائز الا تكون الام صاحبة بيضة بين البيض الذي في المفرخة ، فليس للامومة المادية قيمة . وهذه هي حالة سولا بالذات ، لانها لم تبدا عملية البيض الا باقل من عام قبل ان تصبح اما لطفل امراة اخرى الله اعلم من هي . . ولذا ليس للحب الاموي او الابوي وجو [illegible] . والى هذا النقص اعزو انعدام العواطف الرقيقة بينهم . [illegible] منهم يولد بلا اب ولا ام ، ولا يعرف من هما ، وليس [illegible] حق الحياة الا اذا اثبت استحقاقه لها بقوته الحربية

والبدنية . ومن ثبت عليه النقص او العاهة او الضعف اعدم فورا . . اما الدموع فلا يعرفونها اصلا

هذا هو السبب المباشر فى ان الاقوياء فقط هم الذين يعيشون . وهم نسبة ضئيلة . وذلك طبيعى لان موارد الحياة محدودة جدا ولا تكفى كل النسل . . فلا يسمحون بالحياة الا بقدر تعويض الوفيات

وكل انثى مريخية تضع فى السنة ثلاث عشرة بيضة . ويخزن البيض فى خنادق لاتسمح بالافراخ ، ثم تفحص فى نهاية العام وينتقى منها اكبرها حجما فى حدود مائة بيضة من جميع السكان ، والباقى يعدم . وفى نهاية خمسة اعوام يتجمع لديهم نحو خمسمائة بيضة توضع فى المفرخة مدى خمسة اعوام اخرى الى ان تفرخ على النحو الذى رايته

ويراعون فى بناء المفرخة ان تكون فى موضع متطرف وحصينة حتى لاتكشفها قبيلة اخرى فتخربها وتحرم القبيلة من الاطفال مدى خمسة اعوام اخرى . وهى كارثة شاهدت حدوثها بعد ذلك ذات مرة

والقبيلة الخضراء التى وقعت فى يدها يبلغ تعدادها نحو ثلاثين الف نفس ، وبعد عودتنا الى المدينة قضيت بضعة ايام فى كسل وتراخ

وتضاعفت واجبات سولا بوجود ذلك الطفل معنا . ولما كنت اعتبر طفلا لانى طارىء على المريخ ، فقد سهل عليها ان تعلمنا معا الكلام والقتال . وصارت بيننا منافسة مسلية لى . وبعد اسبوع واحد كنت قد عرفت معظم تعبيرات تلك اللغة المريخية وصرت افهم كل ما يقال امامى

وباشراف سولا نمت عندى حاسة التخاطب بالذهن بلا كلام ، وهى المسماة بالتلباثى ، وصرت احس بكل مايحدث حولى من غير كلام

ولكن الذى ادهش سولا من امرى اننى عرفت كيف اتلقى رسالات الذهن ممن حولى ، حتى ولو لم تكن موجهة الى ، ولكن الاخرون لم يستطيعوا مطلقا ان يتلقوا اى رسالة ذهنية صادرة منى او يقرؤا مايدور براسى

وكنت خجلان فى بداية الامر من ذلك ، ولكنى اكتشفت فيما بعد انه مصدر تفوق واضح لى على اهل المريخ . . .

الفصل السابع

صيد من السماء

وبعد انقضاء ثلاثة ايام على حفلة التفريخ صدرت الاوامر بالعودة الى الحياة العادية ، فاختفى كل اثر للمولد والمهرجان داخل الابنية الضخمة . واما انا وسولا فدخلنا ذلك البناء نفسه الذى دارت فيه المعركة بينى وبين القردين . وكنت قد لاحظت السرعة والتعجل فى الاختفاء يسودان حركات القوم . واوامر القواد تتناثر فى حزم ورهبة ، واخذنى العجب وتساءلت عن سر ذلك المسلك

وتسللت الى الطابق العلوى من البناء . وكانت نوافذه تطل على الوادى والتلال المحيطة به . فأدركت على الفور سر حرص القوم على الاختفاء داخل الابنية وهجر الشوارع المكشوفة

رايت مركبة ضخمة طويلة من مراكب الهواء ، ذات طلاء رمادى تتهادى هابطة على سفح اقرب تل ، واعقبتها اخرى وثالثة ثم رابعة ، وهكذا دواليك الى أن اكتمل عددها عشرين طائرة اقتربت من الارض ثم اخذت تتجه فى بطء ووقار الى جهتنا

وكانت كل طائرة منها تحمل علما غريب الشكل من مقدمها الى مؤخرتها وقد رسم على دفتها شعار غريب يلمع فى ضوء الشمس ويبدو واضحا من المسافة التى تفصلنا عنها . اذ تبينت اشكالا وارقاما مرسومة على هيكل تلك الطائرة فى نصفها الاعلى . ولم ادر هل فطنوا لوجودنا ام كانوا ينظرون فحسب الى المدينة المهجورة . ولكنى فوجئت بالمريخيين الخضر يطلقون وابلا من النيران والقذائف من نوافذ الابنية المواجهة للوادى ، حيث كانت تلك المركبات الضخمة تزحف نحونا فى هدوء

وفجاة تغير الموقف تماما . فاذا بالطائرة التى فى المقدمة تنحرف

يسارا ثم تفتح علينا مدافعها الجانبية وترد على نيراننا ، وتوشك ان تدور حول نفسها لتطلق علينا مدافع الجانب الآخر . وحذت الطائرات الاخرى حذوها . ولم تقل شدة نيراننا . ولا اظن ان الطائش منها كانت نسبته تزيد على الربع . والحق اننى لم أشهد من قبل مثل تلك الدقة فى التصويب . وخيل الى ان شكلا صغيرا من الاشكال المرسومة على الطائرة كان ينفجر على اثر كل طلقة . اما الاعلام فاشتعلت وتمزقت تحت وابل القذائف التى اخترقتها

وعرفت فيما بعد ان نيران الطائرات كانت طائشة بتأثير المفاجأة التى احدثتها نيراننا ، اذ كان الملاحون غير متأهبين ، وبطارياتهم غير مصوبة باحكام

ويبدو ان كل محارب من المريخيين الخضر يدرى بالضبط هدفه المحدد . فأمهر الرماة من بينهم يصوبون نيرانهم الى أجهزة اللاسلكى واجهزة التصويب الملحقة ببطاريات المدافع الكبيرة . وفريق آخر مهمته اصابة المدافع الصغيرة . وفريق ثالث مهمته اصابة رجال المدفعية وتصيدهم فردا فردا . وفريق رابع مهمتهم اصطياد الضباط . وفريق خامس يصيدون الملاحين فى الاقسام العليا وعند الدفة

وبعد عشرين دقيقة من الطلقات الاولى اخذ الاسطول الجوى يتراجع عائدا من حيث أتى . وكان بعض هذه الطائرات معطوبا لايكاد يستجيب لارادة ملاحيه .. وقد توقفت عن اطلاق النار وحصرت همها فى التماس النجاة . فاندفع محاربونا الى سطوح المنازل واخذوا يتعقبون ذلك الاسطول المتراجع بطوفان من النيران الحامية ...

ومع هذا تمكنت تلك الطائرات واحدة واحدة من التوارى وراء التلال . ولم تبق منها الا طائرة واحدة تتحرك تحت انظارنا فى المؤخرة . وكانت هذه الطائرة قد تحملت عبء نيراننا حتى قضى على جميع ملاحيها فيما يبدو . ولذا رأيناها تعدل عن اتجاهها وتدور حول نفسها متعثرة ثم تنحدر فوق التل الى جهتنا بصورة تثير الاشفاق . وعلى الفور توقف محاربونا عن اطلاق النار لانهم ادركوا ان الطائرة لم تعد فى حالة تسمح لها بالحاق أى اذى بنا ، بل لم تكن فى حالة تسمح لها حتى بالفرار . فليس من الخير اهدار القذائف بعد ذلك

ولما اقتربت الطائرة فى انحدارها من المدينـــة اندفع جنودنا خارجين لملاقاتها . ولكن كان واضـحا ان مستواها كان اعلى من متنـاول ايديهم . وكنت من موقفى فى الطابق العلوى ارى جثث ملاحيها متناثرة فوق سطحها وان لم استطع ان اتبين النوع الذى تنتمى اليه تلك المخلوقات . ولم تكن هناك اية علامة تدل على الحياة وهى تجنح ببطء فى اتجاه الرياح الى ناحية الجنوب الشرقى

وكان ارتفاعها عن سطح المريخ نحو خمسين قدما ، وجد فى اثرها جميع الجنود ماعدا مائة منهم صـدرت اليهم الاوامر بالعودة الى سطوح الابنية احتياطا من عودة ذلك الاسطول او مدد له

وكان واضحا ان الطائرة المعطوبة سوف تصـطدم بالابنيـة على مسافة ميل تقريبا الى الجنوب من مكاننـــا . ولاحظت ان بعض الجنود ترجلوا واسرعوا الى البناء الذى كان يبدو انهـا ستصطدم به . ورايتهم يصوبون رماحهم الطويلة من ذلك البناء لصد الطائرة وتخفيف صدمتها . ثم اصـــابوها بالخطاطيف والحبـال وجعلوا يجذبونها الى الارض



وبعد ان ربطوها جيدا وشـــدوها الى الارض اقتحموا جانبيها وفتشوها من المقدمة الى المؤخرة تفتيشا دقيقا . وشاهدتهم وهم يفحصون الملاحين الموتى ولا شك فى انهم كانوا ينقبون عن اى اثر للحياة فيهم . ثم رايت نفرا منهم يخرجون من الطـائرة بشخص ضئيل . وكان هذا المخلوق اقل فى الطول من نصف قامة المريخيين الخضر . ويمشى منتصبا على ساقين . فادركت انه مسخ آخر من سلالات المريخ التى لم اتشرف بمعرفتها بعد

وبعـــد ان القوا باسـرهم الى الارض شرعـــوا يطلقون على الطائرة النار بصورة منتظمة . واستمرت تلك العملية بضع ساعات ، شغلت خلالها المركبات بنقل الغنائم التى كانت مكونة من اسـلحة وذخائر وحرير وفراء وجواهر واوان منقوشة من الحجر وكميات من الاطعمة الصلبة والسائلة . وقرب من المـاء هى اول ما رايته من ذلك السائل منذ حللت كوكب المريخ

وبعد تحميل آخر عربة من الغنائم اصـــطف المحاربون حول الطائرة وجعلوا يدفعونها خارج المدينة الى الوادى فى اتجاه جنوبى

غربى ، ثم اعتلى ظهرها فريق منهم وانصرفوا الى ما خيل الى من موقفى البعيد انهم يفرغون محتويات آنية مختلفة على جثث الملاحين الموتى ، ثم هبطوا بسرعة الى الارض . والقى آخر واحد منهم شيئا على الطائرة وتمهل لحظة ليرى نتيجة عمله

وارتفع لسان من اللهب من حيث وقعت قذيفتـــه . ثم اسرع الجميع يفكون الحبال عن الطائرة ، وكان وزنها قـــد خف بتفريغ حمولتها ، فراحت تشق الهواء فى روعة وكأنها كتلة ضـــخمة من النيران الطائرة

وجعلت ترتفع رويدا رويدا متجهة نحو الجنوب الشرقى مع الريح والنار تاكلها . وجعلت ارقبها ساعات الى ان اختفت وراء الافق . وكان المنظر فظيعا يبعث القشعريرة فى بدنى وانا اتصور تلك المحرقة الجنائزية تمخر الهواء بغير قياد وعلى غير هدى . وترسم صـــورة مفزعة لوحشية ذلك الجنس الذى حللت بين ظهرانيه

وهبطت الى الطريق وانا نهب للانقباض . لان المنظر الذى شاهدته يبدو انه آية على هزيمة واستئصال قوات جنس شبيه بجنسنا البشرى ، لا من اشباه هؤلاء المحاربين الخضر البدائيين المتوحشين

ولم استطع ان اخلى نفسى من ذلك الاسى او الوهم . وداعبنى الامل فى ان يعود ذلك الاسطول الجوى العجيب ويصب نقمته على هذا الجنس الاخضر الذى تلقى قدومه بهذه الوحشية

ووجدت فى اعقابى وولا ، ذلك الكلب الامين الذى لم يكن يفارقنى وكانه ظلى . ولمـــا ظهرت فى الشارع اندفعت سولا نحوى وكاننى كنت ضالتها المنشودة التى لم تستطع العثور عليها حتى اوشكت ان تقنط من اللقاء

وعاد موكبنا الى الميـــدان حيث لبثنا اسبوعا والقوم فى حالة ترصد وتأهب خوفا من عودة ذلك الاســـطول الجوى . وكان من المفروض ان نرحل عن المدينة المهجورة الى المقر الدائم للملك . فما كانت تلك المدينة المهجورة الا مقاما موقوتا ينزل به القوم فى اعياد التفريخ . بيد ان بتومل كان جنديا محنكا لا يقع فى خطأ ساذج من قبيل الخروج الى الســهول المكشوفة بقافلة من العربات والاطفال ، متعرضا لاسطول جوى معاد . ولذا لبثنا فى المدينة المهجورة الى ان

رجح لدى الملك ان الخطر من عودة الاسطول قد زال



وفى طريق عودتى مع سولا الى الميدان الكبير رايت مشهدا ملأنى بالفزع الممزوج بالخوف والتطلع والاسى مع شىء من الاغتباط. ومرد هذه المشاعر المتناقضة اننى حينما اقتربت من حفنة المريخيين الخضر لمحت اسير معركة الطائرات والجنود يجرونه الى بناء قريب . وكان اعنف الجميع فى الاخذ بناصيته اثنتان من الاناث

وكان المنظر الذى رايته قوام فتاة شبيهة فى جميع تفاصيلها بنساء الارض كما عهدتهن فى حياتى الماضية

ولم تفطن الفتاة لوجودى فى البداية ، ولكن بينما هى داخلة من البوابة الكبيرة حيث تسجن ، التفتت فالتقت عيناها بعينى

وكان وجهها بيضاويا جميلا غاية الجمال . وملامحها دقيقة غاية الدقة تستهوى القلب ، وعيناها واسعتان لامعتان وشعرها غزير حالك السواد متموج صفف تصفيفا طريفا زادها فتنة واغراء . وكانت بشرتها تضرب الى حمرة نحاسية خفيفة تبدو رائعة وقد توهجت وجنتاها القرمزيتان ، واستدارت شفتاها كأنهما جوهرتان من العقيق المشع ، فكانت آية للناظرين

ومما لفت نظرى — والحق يقال — ان جسمها البديع التكوين لم يكن عليه من الثياب اكثر مما يرتديه المريخيون الخضر انفسهم . فهى عارية تماما الا من حليها الكثيرة . التى كانت تزين بها ذراعيها وصدرها من غير ان تحجب شيئا من مفاتنها المتناسقة

ولما راتنى اتسعت حدقتاها فى دهشة واشارت بيدها الطليقة اشارة لم استطع طبعا ان افهمها . ثم لم تلبث نظرة الامل والشجاعة ان اختفت وبدا عليها الضيق والمقت . فادركت انى لم ارد على اشارتها ، التى كانت ولا شك استغاثة . ثم جروها جرا الى اعماق ذلك البناء المهجور حيث سجنوها

الفصل الثامن

كيف تعلمت اللغة

ولما ثبت الى نفسى نظرت الى سولا التى كانت ترقب ذلك المشهد وادهشنى ان ارى تعبيرا غريبا على محياها الذى كان جامدا فى العادة لا اتبين له تعبيرا ، ولم يكن لى علم بالذى كانت فيه او يجول بنفسها ، فانى حتى ذلك الحين لم اكن قد تعلمت من لسان اهل المريخ الخضر الا النذر القليل الذى احتاج اليه فى قضاء ضرورات حياتى اليومية بينهم

ولما وصلت الى عتبة باب البناء الذى نقيم به كانت هناك مفاجاة غريبة فى انتظارى . اذ اقترب محارب يحمل الاسلحة والزخارف والاهبة الكاملة التى عهدتها فى بنى جنسه ، واذا به يقدم ذلك كله الى مشفوعا بعبارات من لغتهم لم افهم لها معنى ، وكان منظره فى عمومه ينبىء عن الاحترام والوعيد لى فى آن واحد

وانصرفت سولا بمساعدة عدة نساء اخر الى تجهيز احزمة تلك الاسلحة وتقصيرها حتى تتفق مع حجمى . فلما فرغن من ذلك العمل اخذت اتجول مدججا باسلحة الحرب كواحد من ابناء المريخ

ومن تلك اللحظة بدات سولا تبصرنى بالاسرار الغامضة لتلك الاسلحة المتباينة . وجعلت اقضى جملة ساعات كل يوم فى التمرين مع الطفل المريخى على استعمال تلك الاسلحة فى الميدان . وكانت خبرتى العسكرية فى كوكب الارض عونا لى على التقدم السريع بصورة اكسبتنى رضاء معلمتى

وقد كان تدريبى وتدريب الاطفال معهودا بالكلية الى النساء . فالنساء فى المريخ يشرفن على تدريب الاطفال على فنون الدفاع

والهجوم كافة ، وهن ايضا اللواتي يصنعن جميع الادوات التي يحتاج اليها المريخيون الخضر في ممارسة الحرب فهن اللواتي يصنعن البارود والقذائف والاسلحة النارية . فكل شيء له قيمة في المريخ تصنعه النساء . وفي وقت المعركة تكون الاناث القوة الاحتياطية ، حتى اذا احتاج الامر الى تدخلهن الفعلي حاربن بمزيد من الوحشية والذكاء فيفقن الذكور

اما الذكور فيتمرنون على الفنون العليا للحرب وهي المناورة بالفرق المجمعة والتكتيك ورسم الخطط ، وليست لديهم قواعد ثابتة ، بل انهم يضعون لكل حالة قاعدة قائمة براسها

بل ان هذا شانهم في كافة اعمالهم ، فلا معنى عندهم للسوابق والتقاليد حين يفصلون في القضايا . واما الآداب الاجتماعية الموروثة فعقاب خرقها موكول لشيوخ العشائر . واذا كان هناك ما احسد عليه المريخيين، فشيء واحد هو انهم لا يعرفون في محاكمهم طائفة المحامين !

ولبثت بضعة ايام لااري الاسيرةالحسناء بعدذلك اللقاء الخاطف. الى ان لمحتها لمحا خاطفا ايضا وهي تقاد الى قاعة الاجتماع الكبرى التي حظيت فيها شخصيا باول مقابلة لي بالملك بتومل

ولم يفتني ان الحظ فظاظة متعمدة ولا ضرورة لها او مبرر في طريقة معاملة حراسها وهي بعيدة كل البعد عن طريقة الحنان والامومة التي تعاملني بها سولا ، بل عن سلوك الاحترام المهذب الذي يتخذه مني سائر المريخيين الخضر كلما احتكوا بي

ولاحظت في المرتين ان الاسيرة تتبادل الكلمات مع حراسها ، فادركت انها تتكلم لغتهم او انها على الاقل تعرف لغة مشتركة بينها وبينهم . وكان هذا سببا في انني اخذت بعد ذلك استحث سولا لتعليمي مزيدا من اسرار لغتها ، وفي مدى بضعة ايام كنت قد حذقت اللسان المريخي الى درجة تكفي للتفاهم به . وبحيث افهم تقريبا كل ما اسمعه بذلك اللسان



وفي ذلك الوقت كانت حجرة نومنا قد ضمت ثلاث اناث او اربعا ، وطفلين حديثي التفريخ ، فضلا عن سولا وربيبها الطفل وانا والكلب

دولا . وبعد ان ياوى الجميع الى المخدع كان من عادة الاناث البالغات ان يتبادلن الاحاديث والسمر برهة قصيرة قبل الاستغراق فى النوم . ولما كنت الآن افهم لغتهم ، صار الانصات لتلك الاحاديث هوايتى المفضلة ، وان كنت لا اشترك فيها باية كلمة

وفى الليلة التالية لاقتياد الاسيرة الى حجرة الاجتماع الكبرى ، كان ذلك الحادث هو موضوع السمر الليلى ، فارهفت اذنى للسمع ، وكنت اخشى ان استوضح سولا شيئا من امر الاسيرة الحسناء ، خوفا من ذلك التعبير الغريب الذى رايته على محياها بعد اول لقاء بينى وبين الاسيرة . فمن يدرينى ان ذلك التعبير لم يكن ينم عن غيرة . ولما كنت اقيس كل شىء بمقاييس الارضية ، فقد وجدت من المأمون ان اتصنع عدم الاكتراث بالموضوع الى ان اعرف عن يقين موقف سولا من فاتنتى المجهولة

وكانت ساركويا ، وهى احدى الاناث العجائز اللواتى يشاركننا حجرتنا ، من بين من حضروا ذلك الاجتماع بصفتها من حراس الاسيرة ، والى ساركويا كانت توجه الاسئلة والاستفسارات من بقية الاناث حول اخبار الاجتماع . . فسألتها احداهن :

– متى ياترى سنحظى باعدام تلك الحمراء ؟ ام لعل الملك بتومل ينوى ان يحتفظ بها اسيرة طمعا فى الفدية ؟

وارهفت اذنى جيدا للجواب فقالت ساركويا :

– لقد قرروا ان نحملها معنا الى العاصمة ، ويكون تعذيبها حتى الموت ضمن المهرجان الذى نقيمه امام هاجوس

وسمعت عندئذ سولا تقول :

– انها لن تحتمل التعذيب طويلا ، ثم انها ضئيلة جدا وبارعة الجمال ، فكنت افضل ان يبقوا عليها حية الى ان يفتديها قومها

فزمجرت النساء الاخريات غضبا من هذا الضعف الذى اظهرته سولا ، وقالت ساركويا لها بلهجة التقريع :

– للاسف يا سولا انك لم تولدى منذ مليون سنة ، حينما كانت كل منخفضات الارض ملآنة بالماء . وكان الناس فى رخاوة ذلك السائل الذى يمخرون فوقه . اما اليوم فقد تقدم جنسنا حتى اصبحت هذه العواطف دليلا على الخور والانحلال ، ولن يكون فى

صالحك لو عرف تارس تاركاس انك تضمرين هذه المشاعر المنحلة . لانى اشك فى انه سيسمح عندئذ لك بالقيام بمسئوليات الامومة الخطيرة

فاجابت سولا قائلة :

ــ لا ارى خطأ فى اعرابى عن الاهتمام بتلك المراة الحمراء ، فانها لم تصبنا باذى . وما كانت لتؤذينا لو اننا وقعنا بين يديها ، فرجال جنسها هم الذين يحاربوننا لا النساء . وكان اعتقادى دائما ان سلوكهم العدائى نحونا انما هو رد فعل لسلوكنا نحوهم . وهم يعيشون فى سلام وهدوء الا حينما يدعوهم الواجب للحرب . اما نحن فلا نسالم احدا، بل نحن فى حرب دائم بين افراد جنسنا الخضر. او بيننا وبين الحمر . بل وابناء العشيرة الواحدة منا لا يكفون عن التقاتل . فأوقاتنا هنا اراقة متصلة للدماء منذ نخرج من البيضة الى ان يحتوينا نهر الاسرار المظلم ويحملنا الى المجهول . فالسعيد منا حقا من يموت فى طفولته ولا يعمر ليعيش على ذلك النحو الدامى. ولك ان تقولى ماتشائين لتاركاس فلست اعرف مصيرا اشد تعاسة لى من ان يناط بشخصى استمرار النوع فى حياة هذا منوالها الغريب

وكانت هذه الصراحة الحماسية من سولا موضع دهشة النساء الاخريات وذهولهن ، فساد الصمت طويلا ثم غرقنا فى النعاس . وخرجت من الحديث بشىء ثمين ، هو حسن نية سولا تجاه الاسيرة المسكينة . وشعرت بالحظ الموفور لوقوعى بين يدى هذه الرحيمة بالذات لا بين يدى انثى من الاخريات

وكنت اعلم انها مولعة بى . فلما اكتشفت كراهيتها للقسوة والوحشية ايقنت باستطاعتى ان اعتمد عليها لمساعدتى انا والاسيرة الحسناء على الهرب . ان كان ذلك فى حدود الامكان

وكنت لا اعلم اين اهرب ولا كيف . وهل حيث اهرب سيكون خيرا لى من مقامى هذا ، بيد انى كنت مستعدا للمخاطرة للخروج من بيئة هؤلاء الخضر سفاكى الدماء . و[illegible] بالى اين اهدا هو اللغز الذى رايته غامضا كلغز الشباب الدائم الذى اعيى اهل الارض

وقررت ان ابوح لسولا بمكنون قلبى فى اول فرصة واطلب اليها المعونة صراحة . وارتحت لهذا التصميم فاسلمت نفسى للنعاس بين الحرير والفراء . ذلك النعاس الذى لا تكدره فوق ظهر المريخ رؤى الاحلام

الفصل التاسع

بطل وزعيم

واستيقظت مبكرا فى الصباح التالى ٠ وكنت متمتعا بحرية كبيرة ٠ بعد أن أبلغتنى سولا بأننى حر أتجول كيف أشاء ما دمت لا أحاول الخروج من المدينة ٠ وكانت قد حـــذرتنى من الخروج الى الشوارع أعزل ، لأن المدينة كغيرها من المدن القديمة المهجـورة فى المـريخ مأهولة بالقرود البيض الذين التقيت بهم فى اليوم الثانى من حلولى بالمريخ

وعندما حذرتني سولا من مغادرة حـدود المدينة أوضحت لى أن الكلب وولا سيمنعني من ذلك ان أقدمت عليه ٠ وحذرتنى من اثارة طبيعته المتوحشة ان تجاهلت تحذيره لى من تجـــاوز الحدود ٠ فان طبيعة ذلك الكلب كما قالت لى تجعله يعود بى الى المدينة حيا أوميتا اذا أصررت على معارضته

وفى ذلك الصباح كنت قد اخترت شارعا جديدا من شـــوارع المدينة كى أرتاده وأكشف مجاهله ٠ واذا بى أجد نفسى فجأة عند حدود المدينة ٠ ورأيت أمامى تلالا منخفضة تخترقها وديان ضيقة ٠ فمالت نفسى الى اكتشاف الريف الواقع أمامي ٠ وهي صفة اكتسبتها من حياتي الارضية وغالبني شوقي للصعود الى قمة التلال لمشاهدة المنظر الذى تحجبه عني سفوحها ٠ وخطر لى أن ذلك ربما كان فرصة طيبة لاختبار سلوك الكلب وولا معى

وكنت واثقا أن الكلب يحبني ٠ بل اني رأيت عنده دلائل مودة لى أكثر مما رأيته عند أى مخلوق مريخى آخر من بشر او وحش ٠ وكنت واثقا أن عرفان الجميل الذى يكنه نحوى حـين أنقذت حيـاته

مرتين سوف يكون ارجح لديه من الواجب المفروض عليه من سادته القساة ٠

فلما اقتربت من خط الحدود اندفع وولا أمامي والقى بجسمه كله أمام قدمي ليمنعني من الحركة٠وكان ذلك السلوك أقرب الى المناشدة والضراعة منه الى الوحشة ٠ فلم يكشر فى هذهالمرة عنأنيابه الهائلة، ولم يزمجر زمجرته المروعة ٠

ولما كنت محروما من صداقة بني جنسي وصحبتهم ، تضخم عندي شعور الود نحو وولا وسولا ٠ فمن شأن أهل الارض أن يلتمسوا منفسا لعواطفهم الطبيعية أينما حلوا ، ولهذا قررت أن أناشد نظير تلك الغريزة فى هذا الحيوان ، واثقا انه لن يخذلني

ولم يسبق لى داعبته أو هدهدته ٠ ولكني فى تلك اللحظة جلست على الارض وأحطت بذراعى عنقه الضخم واخذت أربت عليه وأدلله بلغة المريخ الجديدة كما أدلل كلبى على ظهر كوكب الارض أو أى صديق آخر من أعضاء مملكة الحيوان ٠

وكانت استجابته لآيات توددى غريبة الى درجة عظيمة ٠ فقد اتسعت فتحة فمه الى اقصاها من غير أن يكشف عن أنيابه ، وتقلص أنفه الى أن اختفت عيناه الكبيرتان بين ثنايا لحمه ، وشعرت أن هذا التقلص هو مقابل الابتسام فى تعبيراتنا الارضية !

والقى وولا بنفسه على ظهره وأخذ يتمسح بقدمي ٠ ثم قفز فى الهواء وارتمى نحوى فدفعني على الارض بثقله الضخم٠وأخذ يتواثب من حولى كما يلعب الجرو الصغير ، فمس قلبى هذا المنظر وأخذت أقهقه فى ثورة ضحك كانت أول ما داعب شفتي من نوعها منذ أيام طويلة ، وعلى التحقيق منذ غادر باول المعسكر فوق صهوة جواده ٠

وأفزع ضحكي وولا المسكين ٠ فكف عن اللعب والمرح وزحف نحوى فى ندم والقى براسه القبيح فى حجرى حزينا ، فتذكرتماذا يعني الضحك على ظهر المريخ ٠ انه يعني العذاب والالم والموت ٠ فهدأت من نفسى واخذت أربت على راس المسكين وظهره وأتحدث اليه بضع دقائق الى أن سرى عنه٠ثم أمرته بلهجة حازمة أن يتبعني، ونهضت واقفا ويممت شطر التلال غير متردد ٠

وانحلت من تلك اللحظة مشكلة السلطة بيننا فاصبح وولا عبدى

الخاضع واصبحت أنا سيده الوحيد الذى لا ترد له اشارة · ولم يستغرق مسيرى الى التلال أكثر من بضع دقائق · ولم أجد هناك شيئا يستحق الاهتمام فالوديان ليس بها الا أزهار غريبة التكوين براقة الالوان ·

ومن فوق قمة التل الاول رأيت مجموعة أخرى من التلال تمتد نحو الشمال وتتدرج فى الارتفاع الى أن تصبح جبالا هائلة ، ولم أعرف الا فيما بعد أن القليل جدا من القمم فوق سطح المريخ تزيد على اربعة آلاف قدم ، فالارتفاع والضخامة نسبيان هناك ·

واعظم أهمية لتلك النزهة انها وطدت التفاهم بينى وبين وولا الذى كان تاركاس يركن اليه كلية فى حراستى · واصبحت موقنا اننى لست أسيرا الا بصفتى النظرية ، ولكننى فى واقع الامر مطلق السراح كامل الحرية · وبهذا الشعور عدت الى حدود المدينة قبل أن يكتشف أهلها التغير الذى طرأ على قيام وولا بمهمته ·

وقر رايى الا أحاول مغادرة حدود المدينة الاعند ما أكون متأهبا لتركها نهائيا ، لان المحاولة الفاشلة ستؤدى ولا شك الى أن يسلبونى كل ما أتمتع به من الحريات · والى وفاة وولا بنيران سادته القساة ·



ولما عدت الى الميدان الكبير رأيت الفتاة الاسيرة للمرة الثالثة ، وكانت واقفة بين حراسها أمام مدخل قاعة الاجتماع · فلما اقتربت منها رمقتنى بنظرة استعلاء ، وأولتنى ظهرها بصورة واضحة ، وبحركة نسوية تفيض بدلال الانوثة كما نعرفها فى دنيا الارض · فمع أنها آذت كبريائى ، الا أنها أشاعت فى قلبى آنسا ودفئا يشعر بهما الغريب كلما تنسم ريح موطنه النائى · فما كان أندى على قلبى من الاحساس بأن على ظهر كوكب المريخ مخلوق آخر ــ وهذا المخلوق أنثى ! ــ له مثل أحاسيس آدمية متحضرة ، وسلوك يدل على وجدان وغرور ودلال ، فريح الآدمية حبيب ، ولو هب من أغوار الضعف فى النفس البشرية ، ولو آذى الكرامة ايذاء أليما ·

ولو أرادت أنثى خضراء مريخية أن تعبر عن كراهيتها أو استيائها ، لعبرت عنهما بحد السيف أو بفوهة مسدس · ولحسن الحظ أن بلادة حس أهل المريخ جعلت غضبهم لا يثور الا لعظائم الامور

وينبغي أن أقرر هنا أن سولا كانت شذوذا خارجا عن هذه القاعدة، فلم أرها مطلقا ــ والحق يقال ــ تبدي قسوة أو تجرح شعوري بفظاظة في العمل أو الاشارة أو الاحساس . بل كانت دائما مثال الرقة وطيبة الطوية . فهي ــ كما قالت عنها زميلتها ساركويا ــ أثرا نادرا متخلفا عن جنس باد وانقرض منذ زمن طويل من فوق هذا الكوكب

ولما رأيت الاسيرة محور الاهتمام ، أسرعت كي ارى ما الموضوع، ولم يطل بي الانتظار اذ شاهدت الملك بتومل وحاشيته من القواد يقتربون من المبنى ، ثم أشار الى الحراس أن يدخلوا الاسيرة ، ودخل مع رجاله قاعة الاجتماع . ولما كنت أشعر انني موضع تدليل من القوم ، وموقن انهم لا يعلمون مبلغ اتقاني للغتهم ــ لأني كنت قد توسلت الى سولا كي لا تفشي هذا السر متعللا بأني لاأريد أن يطالبني أحد بالتحدث معه الى أن أتقنها تماما بحيث لاأثير الضحك والسخرية. لذا غامرت بدخول قاعة الاجتماع مع الداخلين لأصغي لما يدور فيها

وتفرق الحاضرون على درجات المنصة ، في حين وقفت الاسيرة في حضيض القاعة بين حارستيها ، ومن بينهما ساركويا ، فعلمت أنها بذلك محيطة بخطوات الاجتماعات السابقة التي روت في السمر الليلي تفاصيلها . وكان سلوكها ازاء الاسيرة بالغ الفظاظة والعنف، فاذا قبضت عليها غرست اظافرها البدائية في لحمها الغض ، او لوت ذراعها بأسلوب مؤلم . واذا احتاج الامر لحركتها خطوة أو خطوتين لكزتها بقسوة أو دفعتها امامها دفعا عنيفا . فكأنها تصب على هذه المسكينة الرقيقة كل الحقد والوحشية والسخط الذي تجمع في التسعمائة عام من عمرها ، والذي ترسب من أجيال أجدادها القساة الغابرين

أما الحارسة الاخرى فكانت أقل قساوة ، لأنها كانت غير مكترثة اطلاقا لما يحدث للسجينة ، ولو تركت لها الاسيرة بمفردها لما لقيت منها أية خشونة . ولحسن الطالع أنها كانت حارستها الليلية .

ولما رفع الملك بتومل عينيه ليخاطب الاسيرة ، وقع نظره علي فالتفت الى تاركاس وكلمه بشيء من نفاد الصبر . فأجابه تارس تاركاس بلفظ لم أسمعه ولكنه جعل بتومل يبتسم ، وبعد ذلك لم يعرني أحد التفاتا . وسأل بتومل الاسيرة قائلا :

ــ ما اسمك ؟

فأجابته الحسناء الحمراء بثبات قائلة :

ـ ديانوريس ، بنت مورس كياك

وما كنه هذه البعثة التى جئتم فيها ؟ وما الغاية منها ؟

ـ كانت بعثة علمية خالصة لوجه البحث ، أرسلها جدى والد أبى لاكتشاف التيارات الهوائية والقيام بفحوص عن كثافة الجوهنا

وكان صوت الاسيرة ثابتا ، جميل الجرس ، هادئا ، وهى تستطرد قائلة :

ـ ولذا كنا غير متأهبين للقتال ، بحكم اننا فى بعثة مسالمة كما يدل على ذلك علمنا المنشور على طائرتنا ، ولون تلك الطائرات ، والعمل الذى كنا بصدده فيه مصلحة لكم كما أن فيه مصلحة لنا . فأنتم تعلمون جيدا انه لولا جهود سلالتنا الحمراء وأبحاثنا لما أمكن أن يوجد فى المريخ هواء أو ماء يكفى لحياة انسان واحد من جنسنا او جنسكم . فأعمالنا العلمية هذه أجيال طويلة هى التى كفلت الماء والهواء لهذا الكوكب ، وكفلت الابقاء على المنسوب المطلوب منهما بغير خسارة أو نقص بالاستعمال المستمر ، وواظبنا على ذلك العمل الجليل رغم تدخل رجالكم الخضر بجهالة ووحشية . فلماذا أيها الخضر ترفضون أن تتعلموا التعايش السلمى والودى مع رفاقكم أبناء هذا الكوكب ؟ لماذا تصرون على أن تكونوا كأجدادكم بغير لغة مكتوبة وبغير فن وبغير مساكن وبغير عواطف وبغير حب ؟ لماذا تصرون على أن تظلوا ذرات غفلا متشابهة ، عبيدا ذائبين فى كتلة المجموع ؟ انكم تتباغضون . يكره الواحد منكم أخاه ، كما يكره مجموعكم غيره من الاجناس . فعودوا الى أصلنا المشترك ، الى الارومة التى كان ديدنها الود والاخاء والرحمة . ان الطريق ممهد والباب مفتوح . وستجدون أيدى الحمر ممدودة لكم لتساعدكم وتأخذ بايديكم .. وبتعاوننا ستكون جهودنا اوفق وأجدى لرد الحياة وتجديدها فى كوكبنا الذى تخبو جذوة الحياة فيه وتضمحل بكارثة من كوارث الطبيعة . انى أناشدكم هذا بلسان قومى ، وأنا حفيدة أعظم وأقوى عواهل الحمر . فهل أنتم منتهون عن سياستكم جانحون الى السلم والخير والوئام ؟

ولما صمتت الحسناء ، ظل بتومل وقواده يحملقون فيها صامتين بضع لحظات . والله وحده أعلم ماذا كان يجول برؤوسهم . ولكنى

اعتقد أن كلام الاميرة الجميلة ترك أثره فيهم ·ولو ان الشجاعة واتت واحداً منهم في تلك اللحظة كي يخرج على تقاليد جنسهم الموروثة ويفتح عقله وقلبه ويلبي ذلك النداء ، لتغير وجه تاريخ المريخ

ورأيت تارس تاركاس ينهض للكلام · وعلى سحنته تعبير لم أر له مثيلا من قبل على وجه محارب أخضر · ففي طواياه كان الصراع محتدما بين الوراثة والتقاليد من جهة والعقل من جهة أخرى · فلما فتح فاه لينطق كان شيء من اللين والرفق يضيء محياه ···

ولم يقدر للكلمات الخطيرة التي كان مفروضا أن تخرج من فم تارس تاركاس أن تقال ، لان محاربا شابا انتفض منبريا من بين الصفوف ، فصفع الفتاة المسكينة صفعة ألقتها على الارض ، ثم وضع قدمه فوق جسدها وتوجه الى المجتمعين وانفجر مقهقها قهقهة بشعة

وخيل الى برهة من الوقت أن تارس تاركاس سيقضي عليه من توه، وكذلك سحنة الملك بتومل لم تكن تنبي عن خير كثير ينويه للفتى الوقح ، ولكن الموقف مر بغير تعقيب ، لأن طبيعة القوم الوحشية ارتدت اليهم ، فابتسموا لفعلته · وعلمت فيما بعد أن فعلة هذا الفتى تعتبر عند القوم من قبيل الطرف المسلية ، على حسب آدابهم الوحشية ·

وشهد الله أن الصفعة التي انهالت على وجه الفتاة كأنما لطمت صفحة وجهي · حتى لقد قفزت من الرعدة قفزة نقلتني الى منتصف القاعة · ولما دوت في البهو قهقهة ذلك الفتى كنت قد صرت أمامه مباشرة · وكان ذلك الوحش طويلا فارع الطول ، تبلغ قامته اثنى عشر قدما ، ومدججا بالسلاح من فرعه الى قدمه ، ومع هذا أحسبني كنت مستعدا لمقاتلة الحاضرين جميعا وأنا في ثورة غضبي الجامح ··

وقفزت الى فوق وصفعته على وجهه صفعة جمعت لها قوتي · فلما جرد سيفه القصير جردت سيفي وقفزت مرة أخرى الى صدره وركزت احدى قدمي على قبضة مسدسه وبيدي اليسرى جذبت نابا من أنيابه، ثم طعنت صدره العريض مرة بعد مرة

ولم يستطع استخدام سيفه القصير لاني كنت ملتصقا به ، ولم يستطع تجريد مسدسه رغم القانون الصارم الذي يقضي بألا تحارب في مبارزة فردية الا بالسلاح الذي هوجمت به ، ولكني كنت واقفا على قبضة ذلك المسدس ، فلم يكن أمامه الا أن يحاول التخلص مني

ومن قبضتي.ورغم وزنه وحجمه لم يكن الفتى أقوى مني بنية بكثير. فما هي الا لحظة او لحظتان حتي سقط على الارض مضرجا بدمه ، وقد فارقته الحياة

وكانت دياثوريس قد نهضت على أحد مرفقيها وأخـــذت ترقب المعركة محملقة في دهشة . فلما وقفت على قدمي رفعتها عن الارض بين ذراعي وحملتها الى احدى الارائك المصفوفة على جانبي القاعة

وفي هذه المرة أيضا لم يتعرض لى أحد من المريخيين الخضر.فنزعت قطعة حرير من معطفي وحاولت أن أجفف الدم وأوقف النزف الذي سال من أنفها . ونجحت في ذلك لان النزف كان رعافا أنفيا بسيطا لحسن الحظ . ولما امكنها الكلام وضعت يدها على ذراعي ونظرت في عيني وقالت :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا فعلته وأنت الذي ضن على بايماءة معرفة وتشجيع في ساعة محنتي الاولى ؟ وها أنت تخاطر بحيـاتك وتقتل واحدا من رفاقك في سبيلي ! . . انى عاجـــزة عن فهمك . أي طراز غريب من الناس أنت ! انى أراك بين الخضر ولست مثلهم شـكلا ولا قامة ولا سجية . . بل أنت أقـــرب الى بني جنسي ، وان كان لونك أسمر نوعا ما من لون القردة البيض ! أية خلقة عجيبة محيرة خلقتك! خبرني بربك أانسان أنت أم أسمى من انسان ؟

فقلت لها بصوت يختلج بالانفعال :

ـ انها لقصة طويلة . . أطول كثيرا من أن أقصها عليك الآن.وانها من العجب بحيث لا أكاد أصدقها شخصيا ، فأخشى لهذا الا يصدقها سواى . وحسبك الآن أن تعلمي انى صديق لك ، ما سمح لنا آسرونا القساة بالصداقة ، وما سمحوا لى بحمايتك وخدمتك

فازدادت حدقتاها اتساعا وهتفت بى :

ـ أأسير انت أيضا مثلى ؟ ولكن لماذا أنت مسلح بسلاح قوادهم ؟ وما اسمك ؟ ومن أى الاوطان أنت ؟

ـ أجل انى أسير مثلك يا دياثوريس . واسمى جون كارتر ، من فيرجينيا ، احدى ولايات أمريكا الشمالية،في كوكب الارض ، موطني الاصلي . أما لماذا سمحوا لى بعدة قوادهم الحربية فأمر لا أدريه ، وما كنت أدرى ان الرتبة التى تدل عليها تلك العدة هى رتبة قائد

وقطع علينا الحديث اقتراب أحد المحاربين يحمل بين يديه أسلحة وزينة معدنية وأوسمة فقدمها الى فى احترام وتوقير ، وكفتنى نظرة واحدة كى أرى جثة المحارب الذى صرعته وقد جردت من ذلك كله ، فعلمت أنها أسلابه صارت من حقى بحكم الغلبة والنصر ٠٠٠ وكان ذلك آية لى بانى قتلت فى هذه المعركة خصمى ، وأدركت ان هذه تقاليد أولئك القساة كلما قهر أحد منهم رفيقا فى المبارزة

وفيما أنا أستعد لتسلم هذه الاسلاب الحربية،رأيت تارس تاركاس ونفرا من المحاربين يتداولون معا ثم يتجهون نحونا ، وثبت تارس تاركاس نظراته فى وجهى وعلى محياه تعبير يدل على الحيرة والتساؤل ثم قال لى :

ــ انك تتكلم لسان قومنا « البرسوم » بطلاقة مدهشة ، وكنا منذ أيام نحسبك أصما أخرسا ٠ فأين تعلمت لغة البرسوم يا جون كارتر ؟

فقلت له فى غير تردد :

ــ أنت شخصيا يا تارس تاركاس مسئول عن هذا ، لانك زودتنى بمعلمة ممتازة قديرة للغاية ٠ وانى أشكر سولا على جهودها المثمرة

ــ لقد أحسنت تعليمك اللغة حقا ٠ ولكن تربيتك لم تزل بحاجة الى استكمال ٠ أتعلم ماذا كانت تكلفك جسارتك الطائشة لو أنك فشلت فى قتل أى واحد من القائدين اللذين ترتدى أسلابهما وأوسمتهما الآن ؟

فقلت له باسما فى هدوء :

ــ أحسب ان أحدهما لو فشلت فى قتله ، كان حريا أن يقتلنى !

ــ كلا ٠ أنت مخطىء فى هذا ٠ فان المريخى الاخضر لا يقدم على قتل أسير الا عند الضرورة القصوى ٠ فاننا نؤثر أن نحتفظ بالاسير لغاية أهم عندنا من قتله

ونضحت سحنته باحتمالات غامضة تختفى وراء هذا التلميح ، ثم استطرد ببطء وهدوء قائلا :

ــ وأمامك أمر واحد يمكن أن ينقذك الآن ، وهو أن يراعى «هاجوس» قوتك الفائقة وبسالتك العظيمة ويعتبرك أهلا لشرف خدمته،فتقبلك الجماعة فردا فيها ، وتعد تاركانيا بمعنى الكلمة ٠ والى أن نصل الى

مقر هاجوس العظيم ، اقتضت ارادة الملك بتومل أن نعاملك بالاحترام الذي أنت جدير به لما أبديته من بسالة واقدام. ولذا ستكون معاملتك مؤقتا باعتبارك قائدا تاركانيا ولكن لا تنس أن كل قائد من رتبتك يعتبر مسئولا عن تسليمك سالما صحيحا الى أعظم وأقوى وأضرى حكامنا ، هاجوس العظيم . اني قد بلغت !

ـ لقد وعيت ما قلت يا تارس تاركاس . ولكنى كما تعلم لست من البرسوم ووسائلكم ليست وسائلى ، ولا أسلوبكم فى الامور أسلوبى . ولذا فسوف لا أسلك فى المستقبل الا كما سلكت فى الماضى ، بوحى من ضميرى وأخلاق جنسى. فان تركتمونى لحال سبيلى، فارقتكم بسلام ، والا فليتحمل كل برسومى يتعرض لى مغبة أعماله ما لم يحترمني ويرع حقوقى كغريب بينكم . وليكن واضحا أنه أيا كانت النية تجاه هذه الفتاة المسكينة ، فكل من تعرض لها بسوء ، أو وجه اليها اهانة فى المستقبل ، سيؤدى عن ذلك حسابا كاملا أمامى . وأنا مدرك انكم تصغرون شأن عواطف الكرم والعطف والرحمة . ولكنى أقدسها ، وفى الوقت نفسه مستعد لاقناع أى محارب منكم بأن هذه الصفات لا تتعارض أبدا مع القدرة على النزال !

وأثرت هذه العبارات فى سامعيها الخضر ، فصار سلوكهم نحوى بعدها أكثر توقيرا واحتراما .. وبدا على تارس تاركاس نفسه وكأنه سر من اجابتى . ولكن تعليقه كان غامضا لم أفهم منه سوى اسم هاجوس .

والتفت بعد ذلك الى ديائوريس وساعدتها على الوقوف ، ثم أخذتها معي واتجهت الى الباب ، متجاهلا الحراس ونظرات القواد المتسائلة . ألست الآن قائدا مثلهم ؟! اذن سأستخدم امتيازات رتبتي وأسلك سلوكها

وهكذا خرجت ديائوريس أميرة هليوم مع جون كارتر المواطن الفرجينى ، يتبعهما الكلب الامين وولا ، والصمت مطبق حولهم ، من قاعة الاجتماع الكبرى



ولما وصلنا الى المنفذ الخارجي، تقدمت الحارستان منها كأنهما تريدان وضع يدهما عليها كسابق العهد ، فتراجعت ديائوريس نحوى ولاذت بى ، وأحسست بيديها الصغيرتين تتعلقان بذراعى فى تشبث مؤثر.

فدفعت المرأتين بعيدا عنها وزجرتهما قائلا أن سولا هي التي ستتولى أمر الأسرة منذ هذه اللحظة • ثم حذرت ساركويا من ابداء أية قسوة او فظاظة نحو دياتوريس ، والا حلت بها نقمتي !

وللأسف كانت لتحذيراتي نتيجة عكسية ، ونجم عنها ضرر أكثر مما توقعت لها من نفع • فان الرجال في المريخ لا يقتلون النساء ، والنساء لا يقتلن الرجال ، لذا اكتفت ساركويا بان رمقتنا بنظرة منكرة ثم انصرفت لتدبر لنا السوء

وبحثت عن سولا وأخبرتها برغبتي في أن تتولى منذ الآن حراسة دياتوريس كما تولت حراستي ، وأن تبحث عن موضع آخر نقيم به حيث لا تتعرض ديا توريس وسولا لأذى ساركويا •• أما أنا فسأقيم في منازل الرجال

ونظرت سولا الى النياشين والزخارف التي غنمتها وصارت ترصع ذراعي وكتفي ، ثم قالت :

ـ أنت الآن من كبار القواد يا جون كارتر • ويجب علي أن أنفذ رغباتك كلها • ولكني في الواقع كنت أسعد بالقيام بها حتى ولو لم يكن هناك هذا الالزام • فان الرجل الذي تحمل أسلابه كان شابا ، وكان من أشجع المحاربين وأقواهم عودا وأمهرهم في القتال ، يخشى الجميع بأسه ، حتى أنه شق طريقه بسرعة ، بقتل جميع رؤسائه رتبة فوق رتبة ، وكل قتيل يقتله يغنم بحكم التقاليد عندنا رتبته ومركزه الى أن وصل الى الدرجة التالية مباشرة لمرتبة تارس تاركاس الذي يحتل ـ كما تعلم ـ المكانة التالية للعاهل بتومل • فأنت بقتله قد اصبحت واحدا من احد عشر قائدا لهم رتبتك الرفيعة . أنت الآن من كبراء العشيرة

فسألتها على البديهة :

ـ واذا قتلت بتومل نفسه ؟

فقالت ببساطة كأنها تجمع اثنين واثنين :

ـ تصبح الرجل الاول في القبيلة يا جون كارتر •• ولكنك لن تظفر بذلك الشرف الا اذا وافقت القبيلة كلها على مبارزتك للعاهل بتومل • أو الا اذا هاجمك بتومل ابتداء ، فيكون قتلك اياه دفاعا عن النفس ، فتصبح وارثا لمرتبته

فضحكت وغيرت موضوع الحديث ، اذ لم تكن لى رغبة خاصـة فى قتل بتومل ، ولا فى أن أصبح عاملا فى قبيلته

وصحبت سولا وديا توريس فى البحث عن مسكن جـديد لهما ، الى أن عثرنا عليه فى بناء أقرب من مسكننا السابق الى قاعة الاجتماع، وأعظم فخامة منه • ووجدنا فيه معدات للنوم المريح ، من أسرة أثرية ضخمة من المعدن الثمين ، ذات زخارف ذهبيـة تتدلى من السقوف العالية المشيدة من الرخام • وأما زخارف الجـدران فدقيقة الصنع بالغة الروعة والجمال • وكانت تختلف عن غيرها من التصاوير فى الابنية الاخرى ، بكونها حافلة بصور أشخاص من البشر ، يشبهونني، والوانهم أقرب للبياض من ديا توريس ، يرتدون ثيابا فخمة ،مزينة بحلى من المعدن والجواهر ، وشعرهم الجميـل ذهبى اللون أو نحاسى ضارب للحمرة • والرجال منهم حليقو اللحى ، وأسـلحتهم قليـلة خفيفة • ومعظم المناظر التى تمثلهم يبدون فيها لاهين أو متنزهين

وصفقت ديا توريس بيديها اعجابا عند مشاهدة هـذه المناظر واللوحات الفخمة والزخارف الثمينة الراقية ، التى بقيت بعد انقراض أصحابها • وأما سولا فكان يبدو عليها أنها لا تكترث لها ، وكأنهـا لا تراها أصلا

وقررنا أن نتخذ هذا المخدع فى الطابق الثانى ، وهو مطل عـلى الميدان ، لاقامة ديا توريس وسولا ، على أن تستخدما الحجرة الداخلية المتصلة بالمخدع للطهو والمئونة• ثم طلبت من سولا أن تحضر الى هنا الاغطية اللازمة وأدوات الطهو والاطعمة التى تحتاج اليها ، وأخبرتها انى سأقوم على حراسة ديا توريس الى أن تعود •••

وما أن غادرتنا سولا ، حتى التفتت الى ديا توريس وهى تبتسم ابتسامة باهتة وقالت :

ـ والآن ، هل تظن أسيرتك يمكن أن تهرب لو تركتها ، اللهم الا لتلحق بك كى تستغفرك لسوء ظنها بك وتطلب منك الصـفح لما أضمرته من سخط عليك فى الايام الماضية ؟

ـ أنت على حق فى أنه لا هرب ولا نجاة لأحدنا الا معا •••

ـ لقد سمعت حديثك الجرىء مع الشـخص الذى دعوته تارس تاركاس • وأعتقد أنى أفهم موقفك جيدا بين هؤلاء الناس • ولـكن

الذى لم أفهمه هو قولك انك لست من البرسوم · واستحلفك باسم جدى الاكبر أن تخبرني من أين جئت ؟ انك تشبه قومي ، ولكنك تختلف عنهم كثيرا · وقد سمعتك تتكلم بلساننا ، وسمعتك كذلك تقول لتارس تاركاس انك لم تتعلمه الا أخيرا · وجميع البرسوميين يتكلمون لسانا واحدا من القطب الشمالى الى القطب الجنوبى ، وان اختلفت لغاتهم المكتوبة ·· ويقال انه لا توجد لغات اخرى الا فى وادى « دور » حيث يصب نهر «ايس» الغامض فى بحر العدم . والاساطير كلها مجمعة على أن أحدا لم يعد من رحلته فى ذلك النهر أو من وادى « دور » · فلا تقل لى أنك عدت من هناك بلغة أخرى ·· فلو قلت ذلك لقتلوك أينما وجدوك على وجه البرسوم ، فأناشدك أن تنفى ذلك عنك !

وكانت عيناها تفيضان بنور عجيب ، وصوتها يفيض بالضراعة ، ويداها الصغيرتان تتحسسان صدرى كأنهما تريدان انتزاع الانكار من قلبى ! فقلت :

ـ لا علم لى بتقاليدكم يا ديا توريس · ولكن تقاليدنا فى فيرجينيا ان الرجل المهذب لا يكذب ولو لانقاذ حياته · ولهذا أصدقك القول انى لست من وادى دور ، ولم أر فى حياتى نهر ايس ولا بحر العدم· فهل تصدقيننى ؟

وأدركت عندئذ انني كنت متلهفا جدا أن تصدقنى ديا ، لا خوفا من نتائج عدم تصديقها اياى وشيوع الفكرة باننى آت من جنة البرسوم او جهنمه . لست ادرى !. فلماذا كنت متلهفا هكذا اذن ؟ ولماذا اكترث لما تظنه أو لا تظنه ؟

ونظرت الى وجهها الجميل ، وقد رفعته نحوى ، وعيناها الصافيتان تفتحان لى مغاليق روحها وأعماقها · فلما التقت عينانا عرفت الجواب الصحيح ··· فارتجفت أوصالى !

ويبدو أن رجفة كرجفتى كانت تهز كيانها ، فابتعدت عنى وتنهدت، ثم رفعت الى وجهها الصافى الصادق الجاد وهمست بصوت رخيم ساحر :

ـ أصدقك يا جون كارتر · أنا لا أدرى ماذا تعنى بقولك «السيد المهذب » · ولم أسمع من قبل بفرجينيا ·ولكننا هنا فى بلاد البرسوم لا يكذب أحد مطلقا · ان لم يرد أحد أن يقول الحق ، فانه يسكت ·

فأين فيرجينيا وطنك هذا يا جون كارتر ؟

وخيل الى ان اسم وطنى الجميل لم يكن يوما أجمل فى السمع مما نطقته هذه الحسناء بشفتيها الكاملتى الحسن · وأجبتها قائلا :

ـ انا من عالم آخر · من كوكب آخر · كوكب الارض العظيم · الذى يدور حول شمسنا المشتركة ، ولكن بعيدا عن البرسوم ، الذى نسميه فى لغتنا الارضية المريخ · أما كيف جئت الى هنا فلا أستطيع ان اخبرك ، لانى لا أدرى عن ذلك شيئا · ولكن ها أنذا على كل حال ، وبما أن وجودى هنا قد اتاح لى أن أعرف ديا توريس وأخدمها ، فأنا سعيد بوجودى هنا !

فنظرت الى بعينين مضطربتين نظرة طويلة متسائلة ، وكنت أعلم تمام العلم مدى صعوبة تصديق أقوالى تلك،وما كنت أطمع أن تصدقها مهما كان مبلغ احترامها وثقتها بى · وكنت افضل الا أخبرها بأى شىء عن ماضى حياتى ، ولكن من ذا الذى يقوى وهو ينظر الى أغوار هاتين المقلتين الصافيتين أن يرفض لصاحبتهما طلبا مهما كان خطيرا ؟

وأخيرا ابتسمت ديا توريس وقالت :

ـ ينبغى على أن أصدقك وان كنت لا افهم ما تقول · وأنا طبعا مقتنعة بأنك لست من أهل البرسوم المحدثين ، فأنت تشبه قومى ولكنك مختلف عنهم جدا · ومع هذا فلماذا أكد ذهنى بمثل هذه المعضلة ما دام قلبى يحدثنى بأنى أصدقك لانى أريد أن أصدقك ؟

وانه لمنطق سديد · منطق أرضى · منطق نسوى·وكان فى الواقع هو المنطق الوحيد الذى يمكن أن تعالج به مشكلتى المعقدة

وانتقلنا الى حديث عام ، تبادلنا فيه أسئلة وأجوبة كثيرة · وكانت متشوقة أن تعرف شيئا عن عادات قومى والاحداث الكبرى فى كوكب الارض ، ووجدت عندها معلومات كثيرة عن كوكبنا ، فدهشت ، فضحكت وقالت :

ـ ان أى تلميذ فى مدارس البرسوم يعرف جغرافية كوكبكم كما يعرف جغرافية كوكبنا تماما ؟ وكذلك تاريخكم العام ، لاننا نرى بسهولة كل ما يجرى لديكم من تطورات ، خلال المناظير··· ان كوكبكم من أقرب الاجرام السماوية ، وهو مكشوف لنا جدا

فذهلت لسماع ذلك منها ، كما أذهلها سماع قصتى تماما ·

وصارحتها بذلك ، فشرحت لى اجمالا النظام العلمى الذى برع قومها فى تحسينه لمعرفة ما يدور فى الكواكب الاخرى بدقة عظيمة ٠٠ حتى ان أشياء لا يزيد حجمها فى الارض على عود العشب الاخضر تبـــدو واضحة فى لوحاتهم العلمية ٠ وقد رايت بعينى فى وطنها ، هليوم ، كثيرا من تلك الصور،كما شاهدت الادوات الرائعة التى يستخدمونها فى ذلك ٠

وسألتها بعد ذلك قائلا :

ـ واذا كنت عليمة بأحوال كوكب الارض ، فلماذا لم تدركى على الفور انى مطابق للصور التى لديكم عن جنسنا الارضى ؟

فابتسمت ابتسامة الكبير أمام جهالة الطفل الصغير وقالت :

ـ لان جميع الكواكب التى يشبه جوها جو البرسوم قليلا أوكثيرا، تبدو عليهـــا مظاهر حياة حيوانية متقاربة الشـــبه ، تكاد تطابقك وتطابقنى فى الشكل ٠ ثم لا تنس أن رجال الارض يغطون أجسامهم دائما بقطع غريبة الشكل قبيحة المنظـــر من القماش ، كما يغطون رؤوسهم بأشياء عجيبة المنظر لم نستطع أن ندرك لها مغـــزى ٠ أما أنت عندما عثر عليك التركان فكنت غير مشوه أو متنكر فى الاقمشة٠ وكانت العلامة الوحيدة على انك لست من البرسوم ، انك لا تتزين بالزخارف ٠ ولكن عدم برســـوميتك لعطلك من الزخارف ، يقابله الظن بعدم أرضيتك لتجردك من الثياب !

وعندئذ رويت لها بالتفصيل ظروف مغـادرتى كوكب الارض الى هنا ، وأخبرتها كيف أن جسدى ملقى بثيابى الكاملة فى ذلك الكهف

وفى تلك اللحظة عادت سولا بأشيائنا القليلة ، وأحضرت معهـــا ربيبها الصغير الذى سيشاركهما ولا شك مسكنهما الجديد

وسألتنا سولا هل حضر زائر أثناء غيابها ، وبدت عليها الدهشة عندما أجبتها عن ذلك السؤال بالنفى ٠ ويظهر أنهـا التقت أثنـــاء صعودها السلم بالعجوز ساركويا هابطة ٠ فاستنتجنا انها ولا شك كانت تسترق السمع ، ولما كان ما بيننا خلوا من الاهمية والاسرار ، فقد طردنا الموضوع من ذهننا،مكتفين باتخاذ أقصى الحذر فى المستقبل

وانصرفت أنا وديا ثوريس بعد ذلك الى مشاهدة وفحص دقائق البناء والنقوش فى حجرات البناء الاخرى ٠ وأخبرتنى أن أصحـاب هذه الفنون والعمارات كانت حضارتهم مزدهرة منـذ نحو مائة الف سنة أو تزيد ٠ وانهم كانوا الاجداد الاولين لقومها ، ولكنهم اختلطوا

بعد ذلك بجنس آخر من المريخيين الاولين ، لونهم شديد السمرة ، بل أقرب الى الســـواد ، كما اختلطوا بالجنس الاصفر المحمر الذى ازدهرت حضارته فى ذلك العصر نفسه

وقد اضطرت هذه الاجناس المريخية الثلاثة الى الاندماج والمصاهرة عندما أخذت بحار المريخ تجف ، مما ألجأهم الى الانحصار فى المناطق الخصيبة التى أخذت تزداد ضيقا ، وأن يدافعوا عن أنفسهم، فى ظروف حياة قاسية ضد رجال البادية الهمج خضر اللون عمالقة الاجسام !

وهذه المصاهرة الثلاثية أجيالا متعاقبة أنتجت ذلك الجنس الرقيق الجميل الذى من سلالته ديا توريس • وللاسف ضاعت آثار كثيرة من تلك الحضارة السالفة المزدهرة فى الحروب التى ثارت بين الاجناس الثلاثة قبل التصالح والتصاهر ، وفى الحروب التى ثارت بينهم وبين الخضر العمالقة بعد ذلك

ولكن لحسن الحظ أن الجنس الاحمر من قوم ديا توريس قد وصلوا الآن الى درجة من الحضارة أعادوا بها كشف أمجاد أجدادهم ، وزادوا عليها بالمبتدعات العلمية والعملية •••

وعلمت منها أيضا أن ذلك الجنس الدائر من البرسوم كانوا أهل فن وأهل أدب وشعر ، ولكن محفوظاتهم كلها ذهبت أدراج الرياح مع الزمن ، وروت لى ديا توريس أساطير كثيرة عن ذلك الجنس اللطيف الدمث الراقى ، وعرفت منها أيضا أن هذه المدينة المهجورة التى نقيم بها كانت مركزا كبيرا للتجارة والثقافة ، وكان اسمها « كوراد » • وقد شيدوها على مرفأ طبيعى جميل ، وتحيط بها التلال المعشوشبة • والوادى الصغير الواقع غربى المدينة هو كل ما تبقى من ذلك المرفأ • أما الممر الذى بين التلال الى البحر القديم الجاف ، فكان القنــاة التى تمخرها السفن الى أن تبلغ أبواب المدينة العظيمة

وكانت شواطىء تلك البحار الغابرة مرصعة بمثل تلك المدينة • وكلما انحسرت مياه المحيط كانوا يبنون مدنا جديدة على الشواطىء الجديدة ، متتبعين الماء فى نقصانه المستمر •••

وقد شغلنا فى اكتشاف خفايا البناء ، ومراجعة تاريخ هذا الشعب المنقرض ، حتى دهمنا اقتراب الغــروب ونحن لا ندرى ، ووردنا الى الواقع رسول جاء من لدى العاهل بتومل يدعونى للمثول بين يديه فورا • فودعت ديا توريس وسولا، وأمرت وولا أن يظل فى حراستهما، ثم أسرعت الى قاعة الاجتماع ، حيث وجــدت العاهل بتومل وتارس تاركاس جالسين فوق المنصة

الفصل العاشر

اسير ذو سلطان

ولما دخلت على العاهل بتومل وسلمت عليه ، أشار الى أن أتقدم ، فتقدمت • وثبت في وجهي عينيه الكبيرتين البشعتين ثم قال :

ـ لقد لبثت معنا بضعة أيام ، ومع ذلك استطعت بباسك أن تظفر بمكانة رفيعة بيننا • ومهما يكن من أمر هذه المكانة ، فأنت لست منا ، ولا تجب لك علينا حقوق أو ذمة

وصمت قليلا ثم استطرد :

ـ ان موقفك غريب حقا ، فأنت أسير ، ومع هذا تصدر أوامر ينبغي أن تطاع • وأنت غريب عنا ، ومع هذا فأنت قائد تاركاني • وأنت قزم هزيل ممسوخ ، ومع هذا تستطيع أن تصرع محاربا قويا عملاقا بضربة واحدة من قبضتك ••• وقد بلغنا الآن أنك دبرت خطة للهرب مع أسيرة أخرى من جنس آخر • وهذه الاسيرة باعترافها تكاد تعتقد انك عائد من وادي « دور » •• وأية تهمة من هذه التهم كافية ـ ان ثبتت ـ لاعدامك • ولكننا شعب عادل ، ولهذا ستظفر بمحاكمة عادلة بمجرد عودتنا الى « ثارك » ، ان شاءت ذلك ارادة هاجوس العظيم

واستأنف الكلام بنبراته الحلقية المروعة قائلا :

ـ ولكن اذا هربت يا جون كارتر مع الفتاة الحمراء ، سأتحمل أنا عبء المسئولية أمام هاجوس العظيم • ولذا سأواجه تارس تاركاس ، فاما ان أثبت حقي في الحكم والسلطان ، أو ينتقل زخرف جثتي الى رجل أقدر مني على الحكم والسلطان • فهذه هي عادتنا معاشر التاركان ••• أجل سيكون على أن أبارز تارس تاركاس ، لاننا نحكم معا العشائر الصغرى من الشعب الاخضر • ولا رغبة لدينا في الخلاف

والمقاتلة فيما بيننا ولذا يسرني كثيرا أن تموت يا جون كارتر ! ٠
ولكن ليس لنا أن نقتلك بدون اذن من هاجوس العظيم الا في احدى حالتين : اما في دفاع شرعي عن النفس اذا هاجمت أحدنا ، أو اذا شرعت في الفرار ٠ ومن واجبي الشرعي أن أنذرك بأننا نتربص بك أحد هذين الامرين كي نبادر بالتخلص من هذه المسئولية الضخمة وذلك الحرج الذي خلقه لنا وجودك الشاذ بيننا ! واعلم ان تسليم الفتاة الحمراء سالمة الى هاجوس العظيم أمر في غاية الاهمية والخطورة ٠ لانه لم يسبق للتاركان أن قنصوا مثل هذه الأسيرة منذ ألف سنة ، فهي حفيدة أعظم عاهل للحمر ، وهو في الوقت نفسه ألد أعدائنا ٠ الا انى قد بلغت ! ولئن قالت لنا الفتاة الحمراء أننا مجردون من عواطف البشرية الرقيقة المهذبة ، فمما لا شك فيه أننا شعب عادل صادق غير مخادع ٠ والآن لك أن تنصرف !

فدرت على عقبي وغادرت قاعة الاجتماع ٠٠٠

هذه اذن هي بداية مكائد العجوز الشريرة ساركويا ! فما من أحد سواها يمكن أن يكون مسئولا عن ذلك التبليغ ضدنا بهذه الصورة التي وصلت الى مسامع الملك بتومل بهذه السرعة الخارقة ٠ وعادت الى ذاكرتي على الفور أطراف الحديث التي تجاذبناها عن الهرب وعن موطني

وكانت ساركويا في ذلك الوقت أكبر الاناث من عشيرة تارس تاركاس وأحظاهن بثقته ٠ ولذا كانت ذات سلطان عظيم جداً ، باعتبار ان تارس تاركاس هو التالي في المكانة للملك بتومل وموضع سره وثقته أكثر من أي محارب آخر ٠٠

وبدلا من أن تطير هذه التهديدات فكرة الهرب من ذهني ، اذا بها تزيدها سيطرة على كل جارحة من جوارحي ٠٠ ولاسيما من أجل ديا ثوريس ٠ فان احساسي كان يوحي الى بأن مصيرا فظيعا يتربص بها بمجرد الوصول الى مقر هاجوس

وقد وصفت لى سولا هاجوس بما يجعله مثالا فظيعا لكل رواسب أجداده من الوحشية والقسوة ٠ فهو بارد العواطف ، ماكر ، خبيث ، محب للدماء ٠ وكان مجرد تصوري أن الفاتنة المعبودة ديا ثوريس

يمكن أن تذهب فريسة لذلك الوحش الشرير المولع بالتعذيب ،كافية لكى يتصبب العرق البارد على جسدى كله



وبينما أنا أتجول فى الميدان غارقا فى أفكارى السوداء اقترب منى تارس تاركاس وكان قادما من قاعة الاجتماع . فلم ألحظ فى معاملته لى أدنى تغيير ، بل حيانى كأنه لم يفارقنى الا منذ لحظات وسألنى :

ـ أين تقيم الآن يا جون كارتر ؟

فقلت له :

ـ لم أختر لى حتى الآن مقرا . فقد خطر لى أنه يحسن أن أترك السكن مع النساء . فاما أن أقيم بمفردى أو مع المحاربين الآخرين .

وكنت أنتظر الفرصة التى أسالك فيها النصيحة ، لانى كما تعلم لم أعرف بعد عادات التاركان وتقاليدهم المرعية

ـ تعال معى ...

وذهبت معه عبر الميدان الى بناء سرنى أنه متصل بالبناء الذى أقامت به سولا والاسيرة والطفل . وقال لى تارس تاركاس :

ـ مسكنى بالطابق الاول من هذا البناء . أما الطابق الثانى فمشغول كله بالمحاربين . ولكن الطابق الثالث وما فوقه خال ، وفى وسعك أن تختار منها ما تريد

واستطرد بعد قليل قائلا :

ـ علمت أنك نزلت عن امرأتك الى الاسيرة الحمراء . وتصرفاتك كما قلت أنت مختلفة تماما عن تصرفاتنا وطباعنا . ولكنك تحسن القتال بحيث تستطيع أن تفرض بقوتك ما تريد ... ولذا فانت حر فى التنازل عن امرأتك لأسيرة . ولكن اعلم ان من حقك كقائد كبير منا أن تكون لك نساء يخدمنك ، وعلى حسب تقاليدنا لك الحق فى أن تختار أى امرأة أو ان شئت جميع النساء من حاشيات القواد الذين ترتدى الآن أوسمتهم بعد أن قتلتهم

فشكرته ، وأكدت له اننى أستطيع الاستغناء عن خدمة النساء اللهم الا فى اعداد الطعام . فوعدنى أن يبعث الىّ نساء للقيام بهذه المهمة ، وللعناية أيضا بأسلحتى وصنع الذخيرة لى . مؤكدا لى أن ذلك

ضروری للغاية • فاقترحت عليه أن تأتى النسوة معهن بفرش للنوم من الحراير والفراء ، مما يمكن ان يوجد بين أسلابى،لان الليل قارس البرد ، وليس عندى شیء من تلك الادوات • فوعدنى أن يقضى لى ذلك أيضا ثم انصرف

ولما تركنى وحدى ، صعدت الى الطوابق العليـــا لابحث عن مقر مناسب • فوجدت البناء حافلا بالزخارف كالابنية الاخرى ،وسرعان ما غرقت فى مهمة الاستكشاف والفحص والمشاهدة

وأخيرا اخترت حجرة تطل على الواجهة فى الطابق الثالث ، لانهـا أقرب الى ديا توريس التى كانت حجرتها فى الطابق الثـــانى بالمبنى الملاصق • وخطر لى انى ربما استطعت أن أجد وسيلة للاتصال بها ، وأرتب طريقة تمكنها من اخطارى بسرعة اذا احتـــاجت لخدماتى أو لحمايتى

وكانت حجرتى متصلة بحمامات وحجرات ملابس ومخادع أخرى وصالونات ، وعدد الحجرات فى ذلك الطابق أكثر من عشر والنوافذ الخلفية تطل على مربع كبير الارض يتوسط ظهور الابنية الاربعة ،وقد امتلأ بالحيوانات ودواب الجنود المقيمين فى الابنية المتجاورة

ولم يكن هذا الفناء مقفرا من الزخارف ، بل رأيت فيه النافورات والمقاعد الحجرية الجميلة التى تدل على سالف المجد والترف عندما كان ماهولا بذلك الجنس الاشقر الرقيق الضاحك

وغرقت فى تخيل الحياة فى ذلك العهد الغابر الجميل،الى أن ردتنى الى الواقع خطوات بضع أناث يحملن أثقالا من الاسلحة والحرير والفراء والجواهر وأدوات الطهو وآنية بها أطعمة وأشربة ، ومن بينها جانب من أسلاب الطائرة

ويظهر ان هذا كله كان من ممتلكات القـائدين الذين صرعتهما ، وقد صارت الآن ـ بمقتضى تقاليد التاركان ـ ملكا لى

وأشرت اليهن فوضعن احمالهن فى الغرف الخلفيـــة ثم انصرفن ، ولكن ليرجعن حاملات أثقالا جديدة•أما فى المرة الثالثة فرجعن ومعهن خمس عشرة أنثى وطفل ، يبدو أنهم كانوا حاشيتى القائدين المقتولين

ولم تكن العلاقة مفهومة لى تماما • فهاتيك النسوة لسن قريبات القائدين ولا زوجاتهما ولا من خدمهما • وانما هى عـــلاقة من نوع لا نستطيع تفسيره بمقاييسنا الارضية

والملكية فى عشائر المريخيين الخضر شائعة بين أعضاء العشـــيرة كلهم ، ما عدا الاسلحة الشخصية ، والاوسمة ، وحرير النوم والفراء للغطاء • فهذه وحدها ملكية خاصة لا يجوز سلبها الا بالقتل •وليس لأحد أن يحتفظ منها باكثر من حاجته الفعلية ، وما زاد عن ذلك فهو فى أمانته لكى يعطيه للاطفال الجدد كلما احتاجوا اليه

أما النساء والاطفال فى حاشية الرجل منهم فيمكن اعتبارهم وحدة عسكرية تحت امرته ، هو المسئول عنهـــا باكثر من وجه ، كوجوه التدريب والتعليم والنظام والعيالة • والنساء لسن زوجاته بأى معنى من المعانى • وليس لدى المريخيين الخضر لفظ يدل على الزواج بالمعنى الارضى للكلمة • فالتعاشر الزوجى مسألة مصلحة اجتماعية فحسب، وتوجهها الجماعة بغير مراعاة للانتخاب الطبيعى • فمجلس القواد فى كل عشيرة هو الذى يرتب هذه الاتصالات والمخالطات ، كما يرتبهـا صاحب ضيعة يملك قطعانا من السائمة أو الماشية فى موسم الاخصاب، رائده تقوية النسل والحصول على خصائص معينة من هذه العملية••

وقد يكون هذا مستساغا من الوجهة النظرية ، ولكن نتيجة هذه السياسة فى أجيال متعاقبة ، مع فصل الجنين عن امه الطبيعية ،ودع عنك فصله عن أبيه الطبيعى ، كانت فظيعة وحشية •• فها نحن أمام مخلوقات قاسية ، باردة القلب ، مجدبة الحيـاة من كل ما هو رقيق رفيع أنيس دافئ•

وانه لصحيح تماما ان المريخيين الخضر يتمتعون بعفة أخلاقية كاملة، رجالا ونساء ، فيما عدا هاجوس المنحل الذى يختلف عن أفراد شعبه بكونه شهوانيا دنيئا جامحا• ولكنى أفضل مزيدا من التوازن العاطفى ولو على حساب العفة أحيانا !

ولما وجدتنى مسئولا عن هذه المخلوقات الخمسة عشر ، أمرتهم أن يقيموا فى الطابق العلوى ، وأن يتركوا لى الطابق الثـالث • وكلفت احدى الفتيات بطهو طعامى ، أما الاخـــريات فأمرتهن أن يمارسن الاعمال التى كن يقمن بها من قبل

وهكذا باعدت بينى وبينهن ، ولم يعد أمرهن يشغلنى أو يعنينى كثيرا ••

الفصل الحادى عشر

الحب فى المريخ

مكثنا فى المدينة المهجورة بعد معركة الطـــائرات بضعة أيام على سبيل الاحتياط من عودة الطائرات للهجوم أو الانتقـــام ٠٠٠ فان هجوم الطائرات على قافلة عربات محملة بالاطفال والنساء فى أرض السهول المكشوفة كان يبدو كارثة محققة لا يمكن أن يتعـــرض لها بسهولة محاربون محنكون كالخضر

وفى مدة الفراغ هذه استطاع تارس تاركاس أن يبصرنى بكثيرمن عادات التاركان وفنونهم فى الحـــرب ، بما فى ذلك دروس الركوب وقيادة وتوجيه تلك الدواب الضخمة التى تحمل المحاربين

وهذه الدواب متوحشة وخطرة كراكبيهـــا تماما ٠ ولكنها متى روضت اسلست قيادها وكفت اغراض أصحابها . وكانت قدآلت الى ملكية اثنتين منها مع أسلاب القائدين المقتولين ٠ وبعد برهة قصيرة كنت قد حذقت ركوبهما كأهل المريخ تماما

والعادة المتبعة ان الدابة التى لا تحسن الاستجابة للتوجيهـــات التلباثية لراكبها تضرب بمقبض المسدس بين الاذنين ، فاذا لم تسلس القياد استمر الضرب الى أن يحدث أحد أمرين : فاما أن تخضع واما أن تلقى براكبها عن ظهرها !

وفى الحالة الثانية تنقلب المسألة الى معركة حياة أو موت بين الرجل والدابة ٠ فما لم يكن الرجل سريعا سرعة كافية فى استعمال مسدسه ، فلن يعيش ليركب دابة أخرى ٠ بل يجمع نساؤه أشـــلاءه الممزقة ويحرقنها على حسب التقاليد التاركانية

وكانت تجربتى السابقة مع الكلب وولا حافزا لى على معاملة دابتى

بالحسنى · ولكنى بدأت بان افهمتهما جيدا أنهما لاتستطيعان اسقاطى عن صهوتيهما ، واستعملت قبضة مسدسى أكثر من مرة للضرب بين أذنيهما ، لتأكيد سيطرتى عليهما · ثم رحت أكسب ثقتهما تدريجيا بعد ذلك بنفس الوسائل التى كنت أكتسب بها ثقة جيادى على ظهر كوكب الارض ، وهى الرفق والرعاية · فما هى الا بضعة أيام حتى كانت دابتاى أعجوبة القوم وموضع دهشتهم جميعا · فهما تسيران خلفى كظل ، وكأنهما كلبان أمينـان ، ويمسحان بعنقيهما الطويلين كتفى آية على الاخلاص والمودة ، ويطيعان كل رغبة لى فى لهفة وسرور، حتى ظن أهل المريخ الخضر انى أتمتع بقوة أرضية لا عهد لهم بها فى المريخ

ولقد سألنى تارس تاركاس ذات يوم بعد الظهر ، بعـد أن رآنى أدس ذراعى كله داخل فكى احديهما لاخرج حصاة انغرست بين انياب الدابة وهى تأكل من العشب الذى يكسو كل أرض المريخ :

ـ كيف سحرتهما هكذا ؟

فقلت بهدوء :

ـ بالرفق والرحمة والحنان · وها أنت ترى يا تارس تاركاس أن الاحساسات الناعمة الرقيقة والمشاعر الرحيمة لها نفعها وقيمتهـــا العملية ، حتى للمحاربين · فانى بهذا الاسلوب واثق من طاعة دابتى لى سواء فى الزحف أو فى ميدان القتال · وبذلك أغدو محاربا أكفأ ، لانى كنت سيداً أرق وأرحم ! واعتقد أن محاربيك سوف يجـــدون أسلوبى خيرا لهم وأبقى فى معاملة دوابهم · وانى لأذكر انك قلت لى منذ بضعة أيام ان هذه الحيوانات النارية المزاج كثيرا ما كانت سببا حاسما فى تغيير مصائر الحرب من هزيمة الى نصر ، او العكس ···

ـ أرنى كيف تصل الى تلك النتائج العجيبة ···

فشرعت أشرح بقـــدر امكانى طريقتنا الارضية فى التـــدريب والترويض ، وجعلنى أكرر الشرح والبيان أمام بتومل وحيثة المحاربين مجتمعة . فكانت تلك اللحظة بداية تحول فى معـــاملة تلك الدواب المسكينة · ففى الحال صدر أمر بتومل باتباع أســاليبى ، وبعد أيام قليلة كانت هناك فرقة كاملة من تلك الدواب الطيعة السعيدة تخطو خطوات منتظمة متوافقة كفرق الخيالة فى أرضنا · وكانت هذه النتيجة

من الاثر العظيم لدى بتومل حتى لقد كافأني بخلخال ذهبي كان يزين به قدمه ، عربونا لتقديره

وفي اليوم السابع لموقعة الطائرات بدأنا الرحيل نحو العاصمة ثازك وقد اطمأن بتومل الى أن عودة الطائرات للهجوم تعتبر غير متوقعة

وفي الايام السابقة على السفر مباشرة لم أر ديا توريس كثيرا ، وذلك لانشغالي الكبير بدروس الفروسية التي أعطيتها لتارس تاركاس ولدروس المناورات والمبارزة

وفي المرات القليلة التي زرت فيها مقرها وجدتها غائبة ، تتمشى في الطرقات مع سولا للنزهة ، أو تكشف خفايا الابنية المحيطة بالميدان ، وكنت قد حذرتهما من الدخول في الابنية البعيدة عن الميدان خوفا من القردة البيضاء التي كنت أعرف ضراوتها بالتجربة المرة . وكان مبعث اطمئناني على ديا توريس بالأكثر وجود الكلب وولا في حراستها ، وان سولا مدججة بالسلاح وتحسن الرماية

وفي المساء السابق على يوم الرحيل شاهدتهما قادمتين الى الميدان من الشارع الكبير المؤدى الى الشرق ، فتقدمت للقائهما ، ثم قلت لسولا اني سأتولى منها حراسة ديا توريس ، وأرسلتها الى المنزل لقضاء مهمة تافهة تذرعت بها

وكنت أحب سولا واثق بها ، ولكنني مع ذلك أردت أن انفرد بديا توريس التي كانت تمثل لي كل ما غادرته على وجه الارض من جميل ورفيق وأنس صحبة

وكان يبدو لي أن بيننا نحن الاثنين من الاواصر والاهتمام المتبادل ما يجعلنا كأننا ولدنا تحت سقف واحد ، لا في كوكبين مختلفين ، يفصل بينهما في فضاء الكون ثمانية وأربعون مليون ميل ...

وأما أنها كانت تشاركني مشاعري في ذلك الصدد، فذلك ماكنت متأكدا منه تماما ، لان اقترابي منها أذهب من وجهها تعبير الحيرة والتخاذل واليأس ، وحل محله ابتسام مشرق وترحيب ، وهي تضع يدها اليمنى الصغيرة فوق كتفي الايسر ، وهي تحية أهل المريخ الحمر ، ثم قالت لي بعد أن ابتعدت سولا :

ـ لقد أخبرت ساركويا سولا انك أصبحت تاركانيا صميما، ولهذا

فسوف لا أراك آلا كما أرى أى محارب آخر

فقلت لها :

ـ ساركويا كذابة أثيمة من الطراز الاول ، رغم ما يزعمه التاركان من تمسكهم التام بالصدق ٠٠

فضحكت ديا توريس وقالت :

ـ كنت واثقة انك حتى لو أصبحت عضوا فى جماعتهم حقا ، فلن تقطع عنى صداقتك ، فلدينا مثل يقول ان المحارب قد يستبدل زينته وأوسمته ، ولكن قلبه لا يتبدل أبدا ولا يتحول ٠٠ وان كنت أعتقد انهم حاولوا أن يفرقوا بيننا فى هذه الايام باستمرار

ـ وكيف ذلك ٠٠

ـ لقد لاحظت انك كلما كنت تخلو من العمل ، كانت احـــدى العجائز من حاشية تارس تاركاس تسرع الينا وتجتهد في دفعنا أنا وسولا الى الخروج حتى لا تجدنى عند حضورك ٠ وفى ذات مرة دفعونى دفعا للنزول الى قبو البناء تحت الارض لمســاعدتهن فى خلط بارود الراديوم الفظيع واعداد قذائفهن المريعة ٠ وأنت تعلم طبعا ان اعداد هذا البارود يجب أن يتم في ضوء صناعي،لان تعرضه لاشعةالشمس يتسبب عنه الانفجار دائما ٠ ألم تلاحظ أن قذائفهم تنفجر متى مست أى شىء ؟ وهذا الانفجار من الفظاعة بحيث لا يقاومه أى جسم مهما كان صلبا ، ويحدث عند تعرض الراديوم لأى شعاع من الشمس ، ولو كان ضعيفا ، ولهذا اذا كتب لك أن تشهد معركة ليلية فلن تسمع انفجارات ، ولكن متى طلع الصبح على الميدان ، بدأت الانفجـــارات تتوالى من الطلقات التى طاشت ٠ وهذا هو السبب فى أنهم يستخدمون فى المعارك الليلية قذائف خالية من الراديوم ، وغير قابلة للانفجار

وبطبيعة الحال كانت المعلومات التى تقدمهـــا لى ديا توريس عن القذائف والمعارك هامة جدا وثمينة للغاية ، ولكنى كنت مهتما أكثر من ذلك بطريقتهم فى معاملتها ، وحرصهم على عدم اجتماعنا ٠ فقد أدهشنى ذلك جدا ، ولاسيما انهم كانوا يعرضونها بذلك لاعمـــال خطيرة ومرهقة ، فثار غضبى وسألتها بلهفة والدم يتصاعد الى وجهى ودماغى :

ـ هل قسوا عليك يا ديا توريس ؟

ـ ليس كثيرا يا جون كارتر ٠٠٠ لم يؤذوا شيئا مني سوى كبريائي وكرامتي ٠ فهم يعلمون اني سـليلة عشرة آلاف عاهل حمر ، واني أنحدر مباشرة من أصلاب أول صانع في البرسوم كلها لقطرات المياه من الهواء ٠ أما هم فلا يعرفون أمهاتهم ، فضلا عن آبائهم ٠٠٠ فهل تعجب لحقدهم وغيرتهم مني ؟ انهم في الواقع حاقـدون على قدرهم الغاشم ومصيرهم القاتم ٠٠ ويرونني حائزة لكل ما حرموا منه،وكل ما لن يحصلوا عليه ٠٠٠ فلترث لهم يا قائدي العزيز ، ففي وسعنا حتى ونحن نموت بأيديهم أن نبذل لهم رثاءنا ، ما دمنـا أعظم منهم وأسعد ٠ وهذا ما يعلمونه جيدا ٠٠٠

ولو أني فهمت وقتئذ ماذا تعنيه بقولها لي « يا قائدي العزيز » ٠ أو لو أني فهمت وقتئذ مضمون هـذا اللفظ في عرف المريخيين الحمر لنالت مني الدهشة ما لم تنله من قبل ٠ ولكني لم استطع أن افهم ذلك على وجهه الصحيح الا بعد شهور طويلة ٠ أجل ، كنت لا أزال جاهلا بالكثير من أمور البرسوم

ـ أجل يا ديا توريس ٠ لعل خير ما نستطيعه أمام القدر الغاشم أن ننحني له ، ما دمنا لا نستطيع مقاومته ٠ واني لأتمنى أن أكون حاضرا في المرة القادمة عندما يجترىء اي مريخي أخضر او أصفر او احمر أو بنفسجي على الاساءة اليك ولو بتقطيبة صامتة يا اميرتي !

فشهقت ديا توريس عند سماع كلمتي الاخيرة ، وحملقت في وجهي وقد اتسعت حدقتاها وهي لاهثة ، ثم أرسلت ضحكة قصيرة غريبة ، أظهرت النونتين الجميلتين في وجهها البديع ، وهزت رأسها وهتفت :

ـ يا لك من طفل ! أنت محارب عظيم ومع هذا فأنت طفل متعثر !

فسألتها وقد ارتبكت جدا :

ـ ماذا فعلت ؟

ـ يوما ما يا جون كارتر ستعرف ، ان كتبت لنا الحيـاة ٠ ولكن ليس لي أن أخبرك بما فعلت ٠ ولكن حسبك اني انا ابنة مورس كياك ، ابن توردوس مورس العظيم ، قد استمعت لك ولم أغضب ٠٠٠

ثم انفجرت مرة أخرى في احدى نوبات ضحكها الصافية المرحة ، وأخذت تمازحني لباسي كمحـارب تاركاني ، رغم رقة قلبي ورخاوة عواطفي :

ـ أظنك لو جرحت خصما فى الحرب ، حريا أن تحمله إلى البيت وتعكف على تمريضه الى أن يسترد صحته !

فقلت لها بدهشة :

ـ هذا بالضبط ما نصنعه فى كوكب الارض ، وهو أقل ما يجب بين البشر المتحضرين

فانشأت تضحك من جديد بكل كيانها · ولم تستطع أن تفهم هذا السلوك · فرغم رقتها وجمالها ، كانت مريخية العواطف · ولدى المريخى لا يستحق العدو الا القتل · وكل قتيل من الاعداء معناه غنيمة وأسلاب · وانفساح المجال المحدود فى ذلك الكوكب أمام بقية الاحياء

وكنت متشوقا جدا لاعرف ما الذى أضحكها فى كلامى أو فعالى ، فجعلت ألحف فى سؤالها عن ذلك ، فصاحت :

ـ كلا ، حسبك أنك قلتها ، وانى سمعتك·· واذا عرفت الموضوع على حقيقته ، وكنت أنا قد مت ـ كما هو منتظر بعد بضعة ليـــال ـ فتذكر يا جون كارتر انى سمعتك ، ولم أفعل أكثر من أنى ابتسمت!

فزاد ذلك من غموض المسألة فى نظرى ، وزدت الحاحا عليهـا أن تفسر لى المسألة ، ولكنها أصرت على موقفها ،فاضطررت للسكوت

وكان النهار قد أفل ، وحل الليل ونحن نتجول فى الشارع تحت ضوء القمرين ، وكأننا وحدنا فى الكون ، والسعادة تغمرنى لهـــذا الاحساس

وداهمتنا برودة الليل المريخى ، فرفعت الحرير الذى فوق كتفى وغطيت به كاهل ديا ثوريس · فكلما لمست يدى جسدها سرت الرجفة فى جوارحى كلها ، رجفة لم أشعر بها فى حياتى للمس مخلوق بشرى، وخيل الى أنها انعطفت نحوى قليلا ·· ولما طال استقرار يدى عـــلى كتفها أكثر مما يلزم لوضع الدثار لم تبتعد ، ولم تقل شيئا

ومشينا والصمت مخيم حولنا فوق وجه ذلك الكوكب الميت ،وفى صدر أحدنا على الاقل ولدت جذوة أقدم المشاعر ، وأقدرها على التجدد

احببت ديا ثوريس · ودلنى على ذلك ارتجافى للمس كتفها العارى دليلا لا يأتيه الباطل ، وعلمت انى أحببتها منذ أول لحظة التقت فيهـا عينى بعينيها فى ذلك الميدان ···

كان اول ما خطر ببالي أن أصارحها بحبي . ثم فكرت في موقفها اليائس ، وكيف أنني وحدى أستطيع ان أخفف عنها أعباء الاسر وأحميها في حدود استطاعتي الضعيفة من آلاف الاعداء الذين توارثوا عداوتها ويجب أن تواجههم عند وصولها الى تارك . فلم أجسر أن أضيف الى متاعبها ألما أو أسفا بمصارحتها بحب اغلب الظن انها لا تبادلني اياه .

وخشيت أن تظن بى استغلال موقفها الحرج للتأثير على مشاعرها وارادتها ، ولذا أغلقت فمي على سرى . ولما رأيتها صامتة قلت :

ـ لماذا أنت صامتة يا ديا توريس ؟ لعلك تفضلين أن تعودى الى صحبة سولا في مسكنكما ؟

فغمغمت قائلة :

ـ كلا . فأنا سعيدة هنا جدا . ولست أدرى لماذا أشعر دواما بالسعادة والرضى حين تكون معي أنت الغريب عني ياجون كارتر . وحينما أكون معك يبدو لى أني بخير وأمان . واني سأعود معك عن قريب الى بلاط أبي وأحس بذراعيه القويين من حولى ، وبدموع أمي وقبلاتها على خدى .

فسألتها باهتمام :

ـ وهل يعرف أهل البرسوم التقبيل ؟

فأجابتني بصوت منخفض به شحنة قوية من التفكير

ـ نعم يعرفه الآباء والامهات والاخوة والاخوات ... والمحبون .

ـ وانت يادياتوريس . الك ولدان واخوة واخوات ؟

ـ نعم

ـ و ... حبيب ؟

فصمتت . ولم أجسر ان أكرر عليها السؤال . وأخيرا قالت

ـ ان الرجل من أهل البرسوم لا يسال النساء أسئلة شخصية. ما عدا والدته ، والمرأة التي قاتل من أجلها وكسبها بانتصاره

وسمعت نفسي أقول بعجلة

ـ ولكنى قاتلت ...

وتمنيت لو أن لساني انتزع من فمى ، لانها قبل أن أتوقف نظرت

الى نظرة غريبة . ولما توقفت رفعت دثار الحرير الذى كنت قد وضعته على كتفها وقدمته الى، ثم ابتعدت من غير أن تقول كلمة واحدة، وقد شمخت برأسها فى هيبة الملكات الى الميدان ثم الى باب مسكنها

ولم احاول ان اتبعها الا لكى أتأكد انها وصلت الى مسكنها سالمة. ثم أرسلت وولا ليكون معها ثم عدت الى بيتى كسيف البال .

وجلست متربعا ساعات طويلة . وأنا فى ضيق شديد أفكر فى الدور العجيب الذى يقوم به الحظ للعبث بنا نحن الفانين المساكين

اذن هذا هو الحب !

لقد هربت منه طول حياتى رغم طوافى بقارات الارض الخمس وبحارها السبعة . وبالرغم من جمال الفاتنات اللواتى صادفتهن فى طريقى وكانت الفرصة متاحة لى كى أتعلق بهن . وبالرغم من تفتح نفسى للحب وبحثى المستمر عن مثل الاعلى فى المرأة . ولكن الدهر أبى لى أن أحب الا مخلوقة من عالم آخر ، ومن جنس قد يشبه جنسنا ولكنه ليس هو ، انها امرأة خرجت من بيضة ، ومدى عمرها قد يصل الى ألف سنة ، ولشعبها عادات وأفكار غريبة . امرأة قد تكون آمالها ومسراتها ومقاييسها الخلقية مختلفة جدا عن مقاييسى وآمالى وذوقى .

أجل انى أحمق اذ وقعت فى الحب بهذه الصورة . ولكنى وقعت وانتهى الامر ، ولو خيرت لما اخترت الا ذلك الذى كان . وهكذا دأب الحب على الدوام ، ودأب المحبين .

كانت ديا توريس فى نظرى جماع ما فى الكون من كمال ، وما فى النفس من فضيلة ومن جمال ومن نبل ومن خير . وكنت أومن بذلك من اعماق فؤادى . وانى اذكر الآن تلك الليلة المقمرة كأنها كانت بالامس ، مع ان عشرين سنة كاملة انقضت على ذلك التاريخ . عشت عشرا منها أقاتل فى سبيل ديا توريس وذويها . والعشرة الاخرى من الاعوام عشتها على ذكراها

وطلع نهار السفر الى ثارك صافيا حارا . وهذا شأن جميع الايام فى المريخ فيما عدا الاسابيع الستة التى يذوب فيها الجليد عند القطبين . وبحثت عن ديا توريس فى العربات المعدة للرحيل . ولكنها أشاحت عنى بوجهها ورأيت الدم الاحمر يصعد الى وجنتها . ولحماقتى التى هى حماقة كل عاشق ازورت مع انه كان أولى بى أن أتجاهل

سلوكها وأحاول التحدث اليها عسى أن أظفر بالصلح .

وكان الواجب يحتم أنا سهر على راحتها . ولذا ألقيت نظرة على ركبتها وسويت لها بيدى الحرير والفراء . وفطنت وأنا أفعل ذلك الى شيء أفزعني جداً ، وهو أن كعبها تحيط به سلسلة غليظة تربطها بجانب العربة . فالتفت الى سولا وصحت بها

ـ ما معنى هذا ؟

ـ ساركويا هي التي رأت ذلك .

وكان وجه سولا ينضح باستياء من هذا الذى حدث . فلما قمت بفحص السلسلة وجدتها مقفلة بقفل ضخم . فسألت سولا :

ـ أين المفتاح يا سولا ؟ اعطنى اياه .

ـ انه مع ساركويا ياجون كارتر .

وعلى الفور ذهبت الى تارس تاركاس واحتججت لديه بشدة على ذلك الاذلال الذى لا لزوم له والقسوة التي لا أجد لها مبررا . فقال :

ـ يا جون كارتر . أن كان من الممكن لك ولديا ثوريس أن تهربا ، فسيكون ذلك في هذه الرحلة . ونحن نعلم انك لن تذهب بدونها . وأنت قد أثبت أنك محارب قدير قوى . وليست لدينا رغبة في تكبيلك بالاغلال . ولهذا قررنا أن نستبقيكما معا بهذه الطريقة .

وأدركت ما في منطقه من وجاهة . وكنت أعلم انه لا جدوى من استئناف قراره هذا . ولكنى طلبت أن يؤخذ المفتاح من ساركويا. وأن ينبه عليها بعدم التعرض للاسيرة في شيء ، وقلت أيضا :

ـ أنك يا تارس تاركاس لا شك قائم لى بهذا الفضل ، لما أشعر به نحوك من الصداقة .

ـ الصداقة ؟ هذا شيء لا وجود له يا جون كارتر . ولكنى سأنفذ لك ما أردت . وسآمر ساركويا أن تكف عن مضايقة الفتاة . وأكثر من هذا سأحتفظ أنا شخصيا بالمفتاح

فقلت باسما :

ـ الا اذا كنت تريد أن تعهد الى بهذه المهمة .

فنظر الى نظرة طويلة ثاقبة جادة ثم قال :

ـ ان أنت أعطيتنى وعدا بشرفك أنك لن تحاول الهرب وانها سوف

لا تهرب قبل أن نصل سالمين الى بلاط هاجوس العظيم ، فلك أن تأخذ المفتاح وتلقى بالاغلال الى نهر ايس ٠٠

ـ بل الافضل أن تحتفظ أنت بالمفتاح يا تارس تاركاس

فابتسم ولم يقل شيئا ٠ ولكنى فى تلك الليلة حين حللنا بمنزل فى الطريق لقضاء الليل ، رأيته يحل وثاق ديا ثوريس بنفسه

والحق أنه رغم ما فى تارس تاركاس من ضراوة وبرود عواطف ٠ الا أن شيئا فى أعماقه كان يبدو لى فى حالة صراع للظهور ٠ ولعلها بقية أثر من غريزة انسانية مندثرة تراوده منحدرة من أجداده الغابرين وتعكر عليه طمانينته الى فظائع قومه

وعندما اقتربت من مركبة ديا ثوريس مررت بساركويا ٠ فرشقتنى بنظرة سوداء مسمومة ، نزلت بلسما على قلبى لما أشعرتنى به من انتصار ٠ وبعد بضع لحظات رأيتها منهمكة فى الحديث مع محارب اسمه زاد وهو مخلوق ضخم قوى ، الا أنه لم يقتل أحدا من القواد طول حياته ، ولذا ظل جنديا بسيطا ٠ وبينما ساركويا تتحدث الى زاد لمحته يرمقنى ٠ فادركت أنها تحثه على أن يفعل شيئا ما ضدى ٠ ولم أكترث لذلك الامر فى حينه ٠ ولكنى فى اليوم التالى تذكرت ذلك كله بسبب ما وقع

وفى تلك الليلة لم استطع أن أظفر من دياثوريس بكلمة واحدة ٠ ولم تجب ندائى ٠ بل انها لم تحرك جفنها اعترافا بوجودى ٠ فلجأت الى ما يصنعه العشاق فى لحظات اليأس ٠ أرسلت اليها رسولا ٠ وكان هذا الرسول الامين هو سولا التى بحثت عنها فى أرجاء المعسكر وسألتها لماذا تتجاهلنى ديا ثوريس ، وترفض أن تكلمنى ٠ فظهرت عليها الحيرة ثم قالت :

انها تقول انك أغضبتها ٠ وهذا كل ما أخبرتنى به ، وانها بنت أمير وحفيدة ملك ٠ وانها أهينت من جانب مخلوق ليس أهلا بتلميع أسنان قطة جدتها !

فوجمت ٠ هذا اذن هو مكانى فى نظر دياثوريس ٠ ومع هذا غلبنى الضحك للصورة الهزلية التى رسمتها تلك العبارة ٠ كما ذكرتنى بريح الارض حيث كنا نقول شيئا آخر شبيها بذلك للتدليل على الازدراء « ليس جديرا بتلميع حذائها ٠ » وشرد ذهنى على الفور

الى أفراد عائلتى فى فرجينيا. والى سلالتنا العريقة ومكانتنا المرموقة. وكيف صرت هنا فى المريخ مخلوقا تافها وضيع المكانة . أحط بكثير من قطة جدتها

ونمت فى تلك الليلة وأنا مغيظ . وصحوت مبكرا حيث استأنفت المسير مع القافلة . وكان المسير طويلا رتيبا . الى أن وصلنا قبل الليل الى بناء يبدو عليه انه مفرخة للبيض . فأرسل بتومل تارس تاركاس مع عشرة جنود لفحصها . فعاد الينا يقول ان البيض صغير الحجم نوعا وان المفرخة لعشيرة من الخضر تسمى وارهون . وان الاسمنت لم يكد يجف فى سدة البناء مما يدل على انهم لا يتقدمون ننا الا بمسيرة يوم واحد . ورأيت النشاط للحرب يدب فى ملامح وجهه

وعلى الفور هجم جنودنا على المفرخة وحطموا جميع البيض الذى فيها بسيوفهم القصيرة . ثم استأنفنا المسير . وسألت تارس تاركاس

ـ ان هذا البيض صغير . فهل أصحابه يشبهونكم ؟

فشرح لى ان البيض يبدأ صغيرا بطبيعة الحال ، بحكم خروجه من جسم المرأة . ولكنه يكبر فى المفرخة وينمو مدى خمس سنوات الى أن يصل الى الحجم الضخم الذى رأيته يوم حلولى بالمريخ

وكانت هذه المعلومات قيمة جدا بالنسبة لى . اذ كنت حائرا فى كيفية وضع نسائهم لبيض بهذه الضخامة وحمدت الله مستريحا لأن البيض الذى رأيته لم يكن أكبر من بيض الاوز

وبعد تحطيم بيض الوارهون بقليل توقفنا عن المسير لنريح الدواب. وبينما أنا أربت على دابتى اذا بالمحارب زاد يقترب منى ويضرب بلا مقدمات دابتى ضربة فظيعة بسيفه الطويل

ولم أكن بحاجة الى كتاب فى تقاليد أهل المريخ الخضر لأفهم ما ينبغى أن أرد به هذه الاهانة . فقد رأيته يقف متحديا ينتظرنى بسيفه الطويل . فلم يكن أمامى الا تجريد سيفى لأنازله نزالا شريفا عادلا بمثل سلاحه أو بما هو أقل منه

وقد تخيرت نفس سلاحه لأنى كنت أعلم اعتزازه بقدرته على استخدام السيف الطويل . فأحببت أن أحزمه به

وكان القتال بيننا طويلا أخر استئناف السير ساعة كاملة وقد أحاط بنا القوم كلهم ولكنهم تركوا لنا فراغا حلقة نصف قطرها مائة

قدم . وقد حاول زاد فى البداية أن ينقض على ليجهز على ، كما ينقض الثور على ذئب . ولكنى كنت أسرع منه حركة . فقفزت متراجعا وخدشت بالسيف ذراعه ، وتكررت هذه المناورة فسرعان ما تصبب الدم من عشرة جروح صغيرة فى جسمه

وقد عدل بعد ذلك خطته وبارزنى ببراعة فائقة وفن دقيق واعترف أنه محارب عظيم بالسيف . ولكنى كنت أشد منه احتمالا وأخف حركة بسبب استعدادى الارضى لمقاومة جاذبية المريخ

ودرنا فى الحلقة جملة مرات فى موقف متكافىء . وأخيرا أدرك زاد أنه تعب وأوشك على الاعياء ، فأراد أن يختم المبارزة بانتصار صاعق . وفى لحظة هجومه سطع فى عينى ضوء قوى جدا فلم أتبين وثبته ، فوثبت حيثما اتفق الى أحد الجانبين لأتفادى سيفه الطويل . ولكنى لم أنجح الا نجاحا جزئيا ، لأنى أحسست ألما حادا فى كتفى الايسر

ولكن عندما درت بعينى لأحدد موضع خصمى التقى نظرى بصورة كان فيها أكبر العزاء لى عن جرحى . فقد رأيت فوق عربة دياثوريس ثلاثة أشخاص واقفين لمشاهدة المبارزة . وهم دياثوريس وسولا وساركويا . ورأيت دياثوريس تنقض كالنمرة على ساركويا وتطيح من يدها شيئا توهج فى ضوء الشمس وهو يقع على الارض . فأدركت عندئذ ما الذى أعمانى فى تلك اللحظة الحاسمة . وان ساركويا وجدت الوسيلة لقتلى بغير يدها

ورأيت شيئا آخر كنت مستعدا أن أدفع حياتى كلها ثمنا لتفاديه . فلما أطاحت دياثوريس بالمرآة من يد ساركويا ، تقلص وجه ساركويا غضبا ونزعت خنجرها لتسدد ضربة هائلة الى دياثوريس . فقفزت سولا الامينة ووقفت بينهما . وآخر ما رأيت هبوط الخنجر فوق صدرها

ولم يترك لى خصمى فسحة أكثر من ذلك للنظر فى شىء . بل هاجمنى بعنف فاضطررت للانصراف بكليتى اليه . وهددنى أكثر من مرة بسن سيفه ، فألقيت بنفسى عليه وقد عزمت الاموت وحدى . وشعرت بالسيف يمزق صدرى . ثم اسودت الدنيا أمامى وخارت ركبتاى من تحتى

الفصل الثاني عشر

قصة سولا

ولما ثبت الى رشدى ـ وكان سقوطى لم يدم كما علمت بعد الا لحظة ـ وثبت واقفا أبحث عن سيفى فوجدته مدفونا الى المقبض فى صدر زاد المريخى ، الذى كان صريعا جثة هامدة على العشب الناعم، ووجدت سيفه قد اخترق الجانب الايسر من صدرى ، ولكنه لم يخرق الا اللحم والعضلات التى تغطى الاضلاع · وكان الجرح يؤلمنى ولكنه غير مميت

وأخرجت النصل من جسمى ، ثم استرددت سيفى،وأدرت ظهرى لجثته القبيحة واتجهت وأنا فى حالة اعياء وتقزز ومرارة نحو المركبات التى تحمل حاشيتى وممتلكاتى · واستقبلنى المريخيون بموجة من التصفيق ، ولكنى لم أكترث لذلك الاعجاب

واخذ نسائى يضمدن جرحى بالبراعة التى تعهد فى جميع المريخيات وبتلك الادهنة المجربة بين شعب تعتبر الجراح عنصرا أساسيا فى حياته ، وسرعان ما تم التضميد بحيث ارتد الى جزء كبير من روحى المعنوية وبدأ الاعياء يزايلنى بسرعة عجيبة ، حتى ان التحسن الذى طرأ على حالتى فى ساعة كان يحتاج على وجه الارض الى أيام عديدة من الاستلقاء التام فى الفراش

وعلى أثر انتهائهن من ذلك التضميد البارع توجهت الى مركبة دياتوريس فى لهفة ، فوجدت المسكينة سولا مضمدة الصدر·ولكنى اطمأننت سريعا على صحتها وعلمت أن خنجر ساركويا لم يصبها الا بجرح سطحى ، لأنه ارتطم ببعض حليها المعدنية

واقتربت فوجدت دياتوريس راقدة بين الحرير والفراء غارقة فى دموعها ، ولم تلحظ وجودى ، بل ولم تسمعنى أتحدث مع سولا التى

كانت واقفة على مسافة قريبة من المركبة . فسألت سولا وأنا أشير بحركة من رأسي الى ناحية دياثوريس

ـ هل أصابها سوء ؟

ـ كلا . ولكنها ظنتك قتلت

فقلت مبتسما :

ـ ولهذا أحزنها أن قطة جدتها لن تجد من يلمع لها أسنانها ؟

ـ انك تظلمها يا جون كارتر . وأنا لا أدرك تصرفاتك ولا أفهم تصرفاتها ، ولكني واثقة أن حفيدة عشرة آلاف ملك لا يمكن أن تحزن بهذه الصورة لوفاة أى انسان ما لم يكن ذا مكانة بالغة السمو في وجدانها ، انها تنتمي الى جنس متكبر ، ولكنهم اهل عدل ، شأن جميع البرسوم ، ولا بد أنك آلمتها أو أسأت اليها اساءة بالغة حتى انها تجاهلت وجودك حيا مع انها تندبك الآن ميتا . واعلم ياجون كارتر ان الدموع شيء نادر جدا على وجه كوكبنا . ولذا من الصعب على أن أفسرها . فأنا لم أشهد في حياتي كلها أحدا يبكى فيما عدا دياثوريس اللهم الا شخصين بكى أحدهما حزنا وبكى الآخر غيظا . اما الشخص الاول الذى بكى حزنا فكانت امى ، وكان ذلك قبل مقتلها بسنوات . وأما الشخص الآخر فكان ساركويا عندما أبعدوها عنى اليوم

فصحت متعجبا :

ـ أمك ! ولكنك يا سولا لا يمكن أن تكوني قد عرفت من هي أمك؟

ـ بل عرفتها . وأكثر من هذا عرفت أبي أيضا . وان أحببت أن تسمع قصتي العجيبة الخارقة لأحوال البرسوم جميعا فتعال الى العربة الليلة ياجون كارتر لأخبرك بما لم أخبر به أحدا من قبل في حياتي كلها . أما الآن فقد أعطيت الاشارة لاستئناف السير . ويجب أن تذهب . ولكن عدني أن تحضر الليلة الى العربة

ـ سأحضر الليلة يا سولا . ولكن ينبغي أن تخبرى دياثوريس انى حى وبخير عافية . ولست انوى أن أقحم نفسي عليها . وأوصيك ألا تدعيها تعلم أني رأيت دموعها . واما ان أحبت أن تكلمني فاني رهن اشارتها

واستقلت سولا العربة التي تهادت الى مكانها من القافلة .

واسرعت أنا الى دابتي فركبتها وعدوت الى محل بجوار تارس تاركاس في مؤخرة القافلة

وتقدمت القافلة في صمت ٠ فان عجلات المركبات الضخمة وقوائم الدواب لم تكن تحدث صوتا ، لأنها كانت تسير فوق بساط كثيف من ذلك العشب المريخي الناعم ٠ ولم يكن يعكر هذا الصمت السائد الا صوت حيوان يزمجر او دابة تريد أن تقاتل دابة أخرى ٠ واهل المريخ لا يتحدثون كثيرا فيما بينهم ،فعادة السمر غير معروفة لديهم ٠ واذا اقتضت الضرورة كلاما فبمقاطع كثيرة وبصوت منخفض عميق كانه صدى رعد في مكان سحيق

وكان هذا الزحف اول منظر لتحركات ضخمة أشاهده على سطح المريخ ٠ فأدهشني أن ارى العشب الطويل ينهض قائما بعد مرورنا فوقه فلا يبقى أثر لمرورنا وكأننا نمخر في الماء ٠ وأما الغبار فلا وجود له على سطح ذلك الكوكب ٠ فهو زحف نظيف ولكنه مقلق لرجل من أبناء الارض ٠ زحف صامت كأنه منظر في حلم يكاد يشك في واقعيته لأنه لا يرى له أثراً ملموسا

وعسكرنا تلك الليلة على سفح التل الذى يعتبر حافة البحر الميت الجاف ، ذلك البحر الذى استغرق اجتيازنا قاعه مدى يومين ، وكانت دوابنا قد ظلت اليومين بغير شراب ٠ بل ظلت كذلك مقدار شهرين منذ تركت اضاصمة ثارك ٠ وقد أوضح لى تارس تاركاس أن تلك الدواب لا تكاد تحتاج الى الشرب وانها تكتفي بأكل العشب الذى يغطى سطح المريخ ، وفيه من الرطوبة ما يكفى حاجة تلك الحيوانات من السوائل



وبعد أن تناولنا وجبة المساء من ذلك الطعام الشبيه بالجبن،وذلك اللبن النباتي ، ذهبت أنشد سولا فوجدتها تقوم ببعض اعمال بيتية في ضوء مشعل ٠ فلما اقتربت منها رفعت الى وجها يشع بالسرور والترحيب وقالت :

ــ اني سعيدة بقدومك ٠ فان ديا توريس نامت ٠ وأنا بمفردي٠ وقومي لا يكترثون بي يا جون كارتر لأني مختلفة عنهم ٠ واني لحزينة للقدر الذى قسم لى أن اعيش حياتي كلها بينهم وانا لست مثلهم ٠ وكثيرا ما تمنيت لو كنت امرأة خضراء بمعنى الكلمة ،

لا تعرف نفسي الحب ولا الامل ، ولكنني للأسف عرفت الحب فكان في ذلك هلاكي • وقد وعدتك ياجون كارتر أن أخبرك قصتي • أو بالأصح قصة والدي • ومما عرفته منك عن أحوال قومك أوقن أن القصة سوف لا تبدو غريبة في نظرك • أما في نظر المريخيين الخضر فلا تعي ذاكرة المعمرين منهم ولا تعي الاساطير الموروثة بينهم شبيها لها • وقد كانت أمي ضئيلة الحجم • أضأل من أن تسمح لها بمسئوليات الامومة • فان قوادنا ورؤساءنا يهتمون جدا بالحجم في مسالة النسل والتناسل • وكانت كذلك أقل برودا وقسوة من معظم النساء الخضر ، وكثيرا ما كانت تجوب طرقات ثارك المقفرة وحدها أو تذهب فتجلس بين الازهار البرية التي تنبت على سفوح التلال القريبة ، وتموج في صدرها رغبات وخواطر اعتقد أنني اليوم والمرأة التركانية الوحيدة التي تفقه معناها • وهل في ذلك منعجب؟ فما أنا الا ابنتها ! وهناك بين التلال التقت بمحارب شاب كانمعهودا اليه بحراسة دواب الحمل والحرب التي ترعى بين التلال • وبدأ الحديث بينهما في الموضوعات المعتادة التي لا تتجاوز النطاق العام • ولكن شيئا فشيئا ، بتكرار اللقاء بينهما ، أخذ الحديثبينهما ينصب على شخصيتهما وآمالهما ومطامعهما • ووثقت به أمي فحدثته بنفورها الشديد من قسوة جنسهما ومن حياته الخالية من الحب • وتوقعت أمي بعد ذلك أن تنهمر من شفتيه الباردتين القاسيتين الشتائم والاتهامات • ولكن اذا به يحتويها بين ذراعيه ويقبلها • وابقيا حبهما سرا مدى ست سنوات طوال • وكانت أمي من نساء حاشية هاجوس العظيم • وأما حبيبها فكان جنديا بسيطا لا يحمل اى رتبة • ولو فرض أن خرقهما لتقاليد التاركان اكتشف لنالا عقابهما في الساحة الكبرى أمام هاجوس العظيم وجموع الشعب • وكانت البيضة التي جئت منها قد أخفيت داخل اناء زجاجي كبير فوق أعلى برج عتيق مهجور في ثارك القديمة • وكانت أمي تزور البيضة مرة كل سنة مدى السنوات الخمس التي استغرقتها عملية التفريخ ، ولم تجسر أن تذهب أكثر من مرة في السنة خوفا من الافتضاح • وفي خلال تلك السنوات الخمس حصل أبي على ترقيات واسعة بما قتله من القواد وغنمه من أوسمتهم وعلاماتهم • ولميخمد حبه لأمي • بل كان مطمعه الوحيد في الحياة أن يصل الى انتزاع



وكانت أمي تزور البيضة مرة كل سنة مدى السنوات التي استغرقها التفريخ

علامات هاجوس نفسه كي يصبح الحاكم الاعلى للتاركان ، ويكون له الحق في ضمها اليه علنا ، وتكون لديه السلطة لحماية ابنته ، التي بغير تلك السلطة تعدم ولا شك ان افتضح سر ولادتها الشرعية • ولا شك أن حلمه كان جامحا في الخيال • فخمس سنوات لا تكفي لصعوده مدارج السلطة من محارب مغمور الى مطاولة هاجوس وانتزاع سلطانه المطلق • ولكنه على كل حال صعد السلم وثبا واصبح مرموق المكانة في مجامع تارك • وفي ذات يوم ضاعت الفرصة الى الابد لحماية محبوبته ، اذ صدر اليه الامر بالخروج الى الجنوب الاقصى لمحاربة سكانه والاستيلاء على فرائهم ، فمن عادة الخضر ألا يصنعوا سلعة يمكن انتزاعها بالحرب من يد الآخرين، ودامت الحملة أربع سنوات • فلما رجع كانت البيضة قد فقست منذ سنة • فاستمرت والدتي تحبسني في البرج العتيق المهجور وتزورني في الليل لتمنحني الحب الذى كانت الحياة في مجتمعنا تضن على كلتينا به . وكانت تطمع عند حضور الدفعة الجديدة من أطفال المفرخة العامة أن تخلطني بسائر الاطفال ، وبذلك تضمن ضياع معالم الاثم الذى اقترفته في حق تقاليد الخضر الموروثة • وعلمتني اللغة بسرعة وعادات قومي •

وفي ذات ليلة أخبرتني هذه القصة التي رويتها لك الآن وشددت على بالكتمان بعد أن تخلطني بالصغار الآخرين بحيث لا أفعل مايدل على اختلافي عنهم • وأوصتني ألا اظهر تعلقا بها يكشف عن الصلة الحقيقية بيننا ، ثم احتضنتني وهمست في أذني باسم أبي ، وعندئذ شع في ظلام قاعة البرج ضوء ، ورأينا ساركويا واقفة تحملق في أمي بعينين حاقدتين ، فتملكني الرعب ، وادركنا أنها سمعت القصة من وراء الباب ، ولا شك انها ارتابت في كثرة خروج أمي ليلا فتعقبتها، ولكن شيئا واحدا من عناصر القصة ظلت تجهله ساركويا وذلك هو اسم أبي ، فأخذت تلح على أمي أن تذكره لها • وتوعدتها وسبتها بيد انها لم تستطع أن تستخرج منها اسم شريكها في اثمها • ولكي تنقذني أمي من شر ساركويا قالت لها اني لا أعرف من هو أبي وانها وحدها تحتفظ بالسر وتتحمل المسئولية • فخرجت ساركويا مغيظة وأبلغت هوجوس بالموضوع ، فلفتني أمي في الحرير والفراء لفا محكما ثم حملتني وأخذت تجري كالمجنونة الى خارج المدينة في الاتجاه

المؤدى الى الجنوب حيث الرجل الذى تتمنى ان ترى وجهه مرة أخيرة قبل أن تموت . وعندما اقتربنا من حدود المدينة الجنوبية ترامى الينا عبر السهل ومن الممر الوحيد الذى يخترق الجبال الى ابواب المدينة صوت مطايا وصليل أسلحة يدل على اقتراب الجنود . فخيل الى والدتى ان والدى رجع من حملته . ولكنها حرصا عليه لم تندفع نحوه . بل احتمت فى ظل مدخل بيت انتظارا لدخول الموكب . واتضح انه ليس موكب أبى . بل الموكب العسكرى العائد من المفرخة العامة بالدفعة الجديدة من الاطفال . فلما اقتربت مركبة من مكمننا ألقت بى فى مؤخرتها خلسة بعد أن اعتصرتنى فوق صدرها فى ضمة محمومة . واثقة انها لن تضمنى الى صدرها بعد تلك الليلة بل لن يرى احدانا وجه الاخرى وفى زحام الوصول وافراح العودة اختلطت بالاطفال ودخلت معهم حجرة واسعة حيث قدمت الينا النساء اللواتى لم يذهبن الى المفرخة طعاما وتولين رعايتنا . وفى الصباح تولين توزيعنا على حاشيات كبار القواد . ولم أر وجه أمى بعد تلك الليلة . فقد سجنها هاجوس . واستخدم ضدها أبشع الوان التعذيب . وعلمت فيما بعد انها قالت لهم بأنها قتلتنى لتحمينى من مثل مصيرها . ثم ألحقت جثتى للقردة البيض . ولكن ساركويا لم تصدقها . وأظنها الى اليوم يخامرها الشك فى حقيقة نسبى . ولكنها لا تجسر على التصريح بذلك فى الوقت الحاضر لأنها ترتاب فيما أعتقد فى شخصية أبى . ولما عاد أبى من حملته وعلم بقصة أمى . كنت حاضرة حينما أخبره هاجوس بالامر . فلم يظهر عليه ما يدل على أى انفعال . ولكنه لم يضحك حينما استغرق هاجوس فى الضحك وهو يصف له احتضارها . ومن تلك اللحظة أصبح أقسى رجل بين قومه القساة . وانى فى انتظار اليوم الذى يحقق فيه مطمعه الاعظم ويضع قدمه فوق جثة هاجوس . فانى واثقة انه يتحين الفرصة ليصب عليه انتقامه الفظيع . وواثقة ان حبه العظيم ما زالت جذوته فى صدره متوقدة كأول يوم توهجت فيه منذ نحو اربعين سنة

فسألتها :

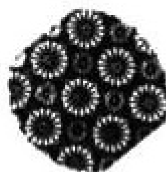
– وهل والدك يا سولا معنا الآن ؟

– نعم ولكنه لا يعرف حقيقتى ولا يعرف من التى وشت بأمى عند هاجوس . فأنا وحدى أعرف اسم أبى . وأنا وهاجوس وساركويا

وحدنا نعلم أنها حملت عنه عبء العذاب والموت

وظلت سولا صامتة بضع لحظات وقد استولى عليها الأسى والوجوم فأخذتني الشفقة بها . وأخيرا قالت :

ـ ياجون كارتر ، ان كان رجل بمعنى الكلمة سار فوق سطح كوكبنا البارد الخامد الميت فهو أنت . وأنا واثقة بك . وسروري قد يساعدك أو يساعد ديا ثوريس ولهـذا سأخبرك باسم أبي . حتى تستخدم هـذا السر في الوقت الذى تراه مناسبا ، وواثقة أنك تستطيع أن تكذب لتحمى السر عند اللزوم . لهـذا سأصرح لك باسم أبي ولا اقيدك بشرط الكتمان بل أترك ذلك لتقديرك . ان والدى هو تارس تاركاس



الفصل الثالث عشر

خطة الهرب

لم تقع حوادث تذكر في بقية رحلتنا الى مدينة ثارك التي استغرقت عشرين يوما بين صعود وهبوط وبين وقت وآخر كانت الطلائع تسبقنا وتفحص الطريق بالمناظير المقربة للتأكد من خلوه من الاعداء الحمر ولم نصادف في طريقنا شخصا واحدا اللهم الا انسانا كان نائما على حافة الطريق فلما أيقظه اقترابنا ولى هاربا · ولم يلق اليه التاركانيون بالا

أما ديا توريس فلم أتحدث اليها لانها لم ترسل الى مع سولا برغبتها في مقابلتي · وأعتقد ان الرجل الشجاع في الحرب جبان في الحب وهذا هو سر تفوق المخنثين والمتحللين الجبناء علينا في ميادين الغرام، لانهم أجرأ على النساء منا

وبعد حلولي بالمريخ بثلاثين يوما تماما دخلنا مدينة ثارك العتيقة عاصمة الحضر التي يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثين ألفا ينقسمون الى خمس وعشرين عشيرة · على كل عشيرة ملك أو عاهل مثل بتومل · أما العاهل الاعظم فهو هاجوس الذي يدين له الجميع بالطاعة المطلقة

وان أردنا الدقة فخمس عشائر تقيم باستمرار في ثارك أما العشرون عشيرة الباقية فمتفرقة في المدن الخربة المتناثرة في مملكة هاجوس المترامية

وكان دخولنا الى الميدان الرئيسي الكبير في ساعة مبكرة من بعد الظهر · فلم تجد البعثة العائدة استقبالا وديا حماسيا ، بل كانت التحيات في المستوى المألوف الذي يكاد يدخل في باب الرسميات · ولكن عندما اتضح ان البعثة أحضرت معها أسيرين ، ثار اهتمام الناس

الى درجة كبيرة وأصبحت أنا وديا توريس محور الاسئلة المتلاحقة

وسرعان ما ذهبوا بنا الى محل اقامة جديد ، وصرفنا بقية النهار في اعداد أنفسنا للاستقرار • وكان بيتي مطلا على شارع واسع يؤدى الى الميدان الكبير من جهة الجنوب • وهو الشارع نفسه الذى سرنا فيه من بوابة المدينة الى مركزها • وكان البناء كله تحت تصرفي وقد وجدت فيه دلائل الفخامة التي كنت وجدتها في المدينةالسابقة• ولكن بصورة أضخم وأفخم ، ولا شك ان مسكني الجديد كان يصلح لاقامة أعظم أباطرة الارض • ولكن هؤلاء القوم كانوا لا يحفلون الا بالضخامة ورحابة الحجرات • فكلما كان البناء فسيحا زاد قدره لديهم ، ولذا كان هاجوس مقيما في أضخم أبنية المدينة ، أما البناء التالي له في الضخامة فمخصص للعاهل بتومل أكبر ملوك العشائر الخمس والعشرين • والبيت الذى يليه في الحجم مخصص لملك أقل شأنا • وذلك بصرف النظر عن معدات الراحة وهل تتوفر مع ضخامة البناء أو لا تتوفر ، وأما الجنود فكانوايقيمون مع القوادالذين ينضوون تحت لوائهم ، أو في أى بناء خال داخل حدود الحي المخصص لعشيرته• ولم يكن يشذ عن هذا التقسيم الا ملوك العشائر ، فقد كانوا جميعا يقيمون في أبنية تطل على الميدان الاكبر

ولما فرغت من ترتيب بيتي الجديد ، كان الوقت قد اقترب من الغروب ، فأسرعت على نية البحث عن مقر سولا ومن يلوذ بها ، لاني كنت مصمما على التحدث الى ديا توريس ، وأن أحاول اقناعها بعقد هدنة بيننا الى أن أجد وسيلة لمساعدتها على الهرب

وجعلت أبحث وأنقب بغير جدوى الى أن اختفت الشمس تماما • ثم لمحت رأس وولا يطل من نافذة بالطابق الثاني • ولم أنتظر أن يدعوني أحد بل رحت أصعد السلم الدائرى الى الطابق الثاني ثم دخلت حجرة كبيرة في واجهة البناء ، حيث استقبلني وولا بحماسة شديدة • حتى أوشكت أن أظنه سيلتهمني عندما فتح فمه الواسع وانقض على كتفي • ولاطفته مهدئا ثم نظرت حولي عسى أن أرى أثرا ينم على ديا توريس • ولما لم أجد شيئا ناديت باسمها• فسمعت همسا يجيبني من أقصى المسكن • فأسرعت الى جوارها ، ووجدتها مستلقية بين الحرير والفراء فوق مقعد عتيق من الخشب المحفور • فلما رأتني نهضت واقفة وحدقت في عيني وقالت :

ـ ما الذى يريده القائد التاركاني من أسيرته ديا توريس ؟

ـ لست أدرى يا ديا توريس ما الذى أغضبك مني ، لانه لم يكن من مرادى ان أؤذيك أو اهينك، وأنا الذى كنت آمل أن احميك وأسرى عنك . ولك مطلق الحرية الا ترى وجهى . ولكن يجب أن تساعديني على تمهيد سبيل الفرار لك ، ما استطعت ذلك ، وعندما تعودين سالمة الى بلاط أبيك في مقدورك أن تصنعى بى ما تشائين . ولكن منذ الآن حتى ذلك اليوم سأظل سيدك المتصرف الذى يأمرك بمساعدته على تمكينك من الفرار . ويجب أن تطيعيه

فخيل الى وهى تطيل النظر الى وجهى فى جد صارم انها رقت لى . قالت :

ـ لقد فهمت كلماتك أيها القائد . ولكنى عاجزة عن فهمك أنت . فأنت مزيج غريب من الطفل والرجل والوحش والانسان النبيل . وكم كنت أتمنى لو استطعت أن أقرأ قلبك

ـ انظرى يا ديا توريس الى موطىء قدميك ، فهناك يرقد قلبى منذ تلك الليلة فى مدينة كوراد ، وسيظل حيث هو يخفق لك وحدك الى أن يسكت الموت ضرباته الى الابد

فخطت نحوى خطوة ويداها الجميلتان ممدودتان فى حركة دعائية وهمست :

ـ ما الذى تعنيه يا جون كارتر ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

ـ أريد أن أقول لك ما عاهدت نفسى ألا أقوله لك الا بعدما ينتهى أسرك بين الرجال الخضر . بل وما خيل الى من سلوكك نحوى فى العشرين يوما الاخيرة انى لن أقوله لك أبدا . ان الذى أريد أن أقوله لك يا ديا توريس انى ملك يمينك جسدا وروحا ، لخدمتك والقتال فى سبيلك ، بل الموت فى سبيلك ، ولا أسالك فى مقابل ذلك الا شيئا واحدا . وهو ألا تظهرى ما يدل على الانكار أو الاقرار لكلماتى الى أن تعودى سالمة بين قومك . فان شعورى نحوك لن يتأثر بشىء . ولا احب أن يتأثر شعورك نحوى بدافع الامتنان

ـ سأحترم رغبتك يا جون كارتر لانى أدرك البواعث الذى أملتها عليك وسأقبل خدماتك بنفس الروح التى أخضع بها لسلطانك . وستكون كلمتك قانونا بالنسبة لى . لقد أسأت اليك فى ذهنى مرتين . ولهذا أسألك الصفح مرة أخرى

ولم نستطع الاستطراد في موضوعات شخصية بسبب دخول سولا التي كانت مضطربة جدا على خلاف عادتها · وصرخت :

ـ لقد مثلت الملعونة ساركويا أمام هاجوس · وان صح ما سمعته في الميدان عند القصر فالامل في نجاتكما ضئيل

فسألتها ديا توريس :

ـ ماذا يقولون ؟

ـ انك ستقذفين الى الكلاب الوحشية في الساحة الكبرى عندما تجتمع العشائر كلها للالعاب السنوية

فقلت لها :

ـ انك يا سولا تاركانية · ولكنك تمقتين عادات قومك كما نمقتها · فلماذا لا تنضمين الينا في محاولة يائسة للهـــرب ؟ انى واثق ان ديا توريس سوف تمنحك المأوى والحماية بين قومها · ولن يكون مصيرك هناك أنكد مما هو هاهنا

فصاحت ديا توريس :

ـ أجل ، تعالى معنا يا سولا وستكونين هناك أحسن حالا · وانى أعدك لا ببيت فحسب ، بل بالحب والحنان اللذين تتوق اليهما طبيعتك والذين تأباهما عليك دائما تقاليد قومك ، تعالى معنا يا سولا · فان هربنا من دونك فسيكون مصيرك فظيعا ، لانهم سيتهمونك بمساعدتنا في الفرار أما اذا ذهبت معنا فستجدين الســـعادة بين قوم يعرفون معنى الحب والعطف والامتنان · قولى انك ستأتين معنا يا سولا ؟

فهمست سولا قائلة كأنها تحدث نفسها :

ـ ان القناة الجافة التي تقود الى مملكة الحمر لا تبعد سوى خمسين ميــلا الى الجنوب · وتســـتطيع الدابة السريعة أن تقطعها في ثلاث ساعات · ومن هناك لا تبعد مدينة هليوم أكثر من خمسمائة ميل · وسيعرفون أننا هربنا الى هناك فيتعقبوننا · ان فرصتنا للهرب ضئيلة · ووحشيتهم فظيعة

فسألتها :

ـ الا توجد طريقة أخرى للوصول الى هليوم ؟ الا تســـتطيعين أن ترسمي لى رسما تخطيطيا للاقليم الذى يجب أن نجتازه ياديا توريس؟

فاجابتنى ديا توريس قائلة :

ـ نعم أستطيع أن أرسم هذا الرسم

ثم تناولت من شعرها ماسة كبيرة وجعلت ترســـم فوق الارض الرخامية اول خريطة لاراضى البرسوم رأيتها بعيني • وكانت مملوءة بخطوط طولية ودوائر ، اما الخطوط فقالت انها قنوات جافة • وأما الدوائر فهي مدن • وأشارت الى دائرة فى الشمال الغربى من موقعنا وقالت ان ها هنا مدينة هليوم • وكانت بقربها مدن أخرى ولكنهـا مأهولة بأعداء الحمر • وبعد أن درست الخريطة بعناية أشرت الى قناة جافة فى أقصى الشمال منا وسألتها :

ـ الا تشق هذه القناة أملاك جدك ؟

ـ بلى • ولكنها تبعد عنا مائتي ميل • فهـــذا هو الطريق الذى عبرناه عند حضورنا الى مدينة ثارك

ـ انهم لن يشكوا مطلقا فى أننا سلكنا هذا الطريق البعيد • ولذا أعتقد ان هذا أفضل طريق لهروبنا

ووافقتنى سولا على رأيى • وقررنا اننا ينبغى أن نبرح ثارك فى تلك الليلة نفسها • وبمجرد حصولى على دوابى ، وكان المفروض أن تركب سولا دابة ، وأركب أنا مع ديا توريس الدابة الاخرى • وكل منا يحمل من الطعام والشراب ما يكفينا يومين • مادام من المستحيل حث الجياد على الاسراع فى مثل هذه المسافة الطويلة

وأمرت سولا أن تذهب مع ديا توريس من شارع مهجور الى الحدود الجنوبية للمدينة حيث سألحق بهما ومعى الدابتان بأسرع ما يمكن • ثم تركتهما لجمع المئونة والحرير والفراء التى سنحتاج اليها • وتسللت بسرعة الى الجزء الخلفى من الطابق الاول ، حيث دخلت الفناء الذى به دوابنا

وعرفت دابتاى رائحتى ، فأحدثتا ضجة خشيت أن تنبه الجنود ، كما ان دخول حظائر الدواب ليلا لا تؤمن عاقبتـــه ، اذ قد يتراءى لاحداها أن تهجم على

وبخفة تسللت من النافذة الخلفية الى البوابات الكبرى التى تفتح على شارع خلف الفناء • وهناك ناديت دابتي بصوت ضعيف • وانى أحمد الله الذى الهمنى أن أكسب محبتهما منذالبداية • فحيـــاتى وحياة من أحب معلقتان الآن بمدى حبهما لى

وأسرعت الدابتان وتبعتانى فى صمت · ولم أقم بوضع السروج عليهما بل أخذت العنان بيدى وتسللت متواريا بظلال الجـدران الى الموضع الذى حددته لمقابلة سولا وديا ثوريس

وكنت واثقا ان سولا وديا ثوريس سوف لا تجدان عناء كبيرا فى الوصول الى مكان اللقاء الذى حددته لهما من قبـل من غير أن يفطن اليهما أحد · أما أنا فكانت الدابتان الكبيرتان مصدر قلق لى · اذ لم يكن من المألوف أن يغادر المحاربون المدينة بعد سدول الظلام

ووصلت أخيرا بسلام الى مكان اللقاء · ولكنى لم أجد هنـاك ديا ثوريس وسولا ، فأدخلت الدابتين الى بهو أحد الابنية ، واعتقدت ان بعض النسوة قد عوقن سولا عن الخروج بمهمة أو حديث · ولم يبدأ قلقى الا بعد مرور ساعة على الموعد · فلما مر نصف ساعة آخر اشتد قلقى·وبعد ذلك سمعت فى سكون الليل صوتا واضحا لجماعةقادمة· لا يدل صوتها على أنهم قوم يتسللون هربا

وسرعان ما اقتربت الجماعة منى وأنا متوار بمدخل البناء ، فلمحت نحو عشرين محاربا والتقطت أذنى من كلماتهم ما أفزع قلبى :

ـ ربما كان قد دبر الالتقاء بهما خارج المدينة ···

ثم مروا من أمامى فلم أسمع أكثر من ذلك · الا أن ذلك كان كافيا ومعناه أن خطتنا قد افتضحت · وان فرارنا أصبح بعد الآن عسيرا للغاية · وصار أملى الوحيد ان أعود من غير ان يرانى أحد الى محل اقامة ديا ثوريس لاعرف ماذا وقع لها · ولكن كيف أفعل ذلك وهذه الدواب الضخمة معى ، والمدينة ربما قامت وقعدت للبحث عنى ؟

وفجأة خطر لى خاطر · اذ استعنت بما أعرفه عن هندسـة تلك الابنية العتيقة المتشابهة ، وان فناء داخليا يوجـد وسط ظهور كل أربعة منها ، فشققت طريقى فى الظلام بين الحجرات وأنا أنادى الدابتين لتتبعانى · وكانت الابواب من الاتساع بحيث تسمح لها بالمرور · وأخيرا وصلنا الى الفناء الداخلى حيث وجدت بساط العشب النـاعم المعتاد الذى يكفل لهما الطعام والشراب الى أن أعود بهما الى حظيرتهما

وكنت موقنا أن المريخيين الخضر لن يدخلوا البناء المهجور بحثا عن الدابتين أو عنى ، لعلمى انهم لا يخاطرون مطلقا بدخول تلك الابنية المتطرفة خوفا من عدوهم الفظيع القرد الابيض

وتسللت خارجا بعد أن فككت سروج الدابتين · ثم رحت أجتاز فناء بعد فناء بكل حذر ، الى أن وصلت الى الفناء الخلفي لمسكن ديا توريس · وهناك طبعا وجدت دواب المحاربين المقيمين في المنزل · وخوفا من مقابلة المحاربين أنفسهم لو دخلت من الباب قررت الاعتماد على قدرتي الخارقة في مقاومة جاذبية المريخ ، وقفزت قفزة هائلة فتعلقت بحافة النافذة بالطابق الثاني · ثم دخلت الحجرة وجعلت أتسلل بخفة الى واجهة البناء حيث قدرت أن توجد حجرة ديا توريس · ولم أعرف اني وصلت الى حجرتها الا عندما بلغت بابها وسمعت أصواتا

وقاومت رغبتي في اقتحام الحجرة ووقفت أصغي في الخارج لأتأكد ان ديا توريس هناك فعلا وانه من المأمون لي أن أدخل

وخيرا صنعت حقا بهذا الاحتياط ، لان الاصوات التي سمعتها كانت أصوات رجال · والكلمات التي وصلت الى أذني حملت لي نذيرا جاء في أوانه · وكان المتكلم قائدا يصدر الاوامر الى أربعة من جنوده قائلا لهم :

ـ وعندما يعود الى حجرته ، وهو لا شك سيفعل عندما يتبين انهما لم تذهبا للقائه عند أطراف المدينة ، فعليكم أنتم الاربعة أن تثبوا عليه وتجردوه من سلاحه · وسيحتاج ذلك الى قوة أربعتكم معا اذا كان ما يروى عن قوته صحيحا · وبعد أن توثقوه جيدا احملوه الى مقر عاهل العشيرة حيث يجده هاجوس تحت طلبه · ولا تسمحوا له بالحديث الى أحد · ولا خطر من عودة الفتاة ، لانها في هذه المرة ، ستكون بين ذراعي هاجوس · ولن تأخذه فيها رحمة · والحقيقة ان ساركويا العظيمة قامت الليلة بعمل جليل · وسأذهب الآن ولكني أنذركم انكم ان فشلتم في القبض عليه عندما يأتي ، سآمر بالقائكم في نهر ايس



ولما سكت المتكلم استدار ليغادر الحجرة من الباب الذي كنت واقفا عنده ، ولكن ما كانت بي حاجة الى الانتظار بعد وقد سمعت ما يكفي لامتلاء نفسي بالغيظ والفزع · فتسللت خارجا الى الفناء الخلفي من نفس الطريق الذي جئت منه وكانت خطتي قد تكونت على الفور ، فعبرت الميدان والشارع المواجه له ثم وجدت نفسي واقفا في فناء قصر هاجوس

وقد دلتني أضواء حجرات الطابق الاول أين يجب أن أبحث أولا ، ثم تقدمت نحو النوافذ ونظرت الى الداخل · ولكني وجدت الحجرات الخلفية المطلة على الفناء حافلة بالجنود والنساء · ثم نظرت الى الطوابق العليا فوجدتها مظلمة ،فقررت أن أدخل البناء من تلك المواضع ، ولم يستغرق وصولي الى النوافذ العليا الا لحظة ، مقدارالوثوب ، ثم القيت نفسي في حجرات الطابق الثالث المظلمة

ولحسن الحظ ان الحجرة التي تخيرتهاكانت غير ماهولة ولا مفروشة فزحفت بخفة الى الدهليز وهناك وجدت ضوءا في الحجرات الامامية· فأخذت أزحف الى ما خيل الى أنه باب تلك الحجرة · ولكني اكتشفت انه مجرد فتحة تطل على حجرة داخلية في الطابق الاول ترتفع جدرانها الى القبة العظيمة الضخمة المستديرة التي تعج بالقواد والمحـــاربين والنساء · وفي صدرها منصة عالية فخمة جلس فوقها أبشع وأقبح وحش رأته عيناى

كان يتمتع بملامح الخضر القاسية الباردة القبيحة ، ولكنها أبشع وأخس بما تفيض به من حيوانية وبهيمية استغرق فيها ســـنوات طويلة · ولم أجد فيه شيئا من الهيبة أو الترفع ، وهو متربع عـــلى المنصة بأذرعه الستة المتماثلة وكأنه أخطبوط ضخم

بيد أن المنظر الذي جمد الدم في عـــروقي انني رأيت ديا ثوريس وسولا واقفتين هناك أمامه · وعيناه البهيميتان الجشـــعتان تتجولان بين كنوز جمالها الفتان

وكانت ديا ثوريس تتكلم ولكني لم أستطع أن أسمع ما تقول ، ولا أن أسمع رده المزمجر · كانت واقفة أمامه منتصبة القامة شـــامخة الرأس واستطعت على بعد المسافة أن أطالع في وجهها الاشـــمئزاز والبغضاء ونظرتها المتعالية الثابتة التي لا تنم عن خوف

انها حقا ابنة ألف ملك ، فكل أنملة من جسدها الصغير البـــديع التكوين كانت تفيض بمهابة تسحق هذا الوحش الضخم وتحيلـــه قزما · فهي بلا شك أقوى من في القاعة شـــخصية ، وأنا واثق انهم كانوا يحسون بذلك

ورأيت هاجوس يشير بيده كي تخلى القاعة وأن يتركوا الاسيرتين بين يديه وحدهما · فأخذ القواد والمحاربون والنساءينسحبون بسرعة

ويتوارون في الحجرات المحيطة بالقاعة وبقيت ديا توريس وسولا وحدهما بين يدى هاجوس

وكان قائد واحد قد تردد في الخروج، فرأيته يقف بمفرده متواريا بأحد الاعمدة الضخمة التي تنتشر في القاعة . وأصابعه تداعب بعصبية مقبض سيفه الطويل . وعيناه القاسيتان مثبتتان في بغضاء على هاجوس

وكان هذا المحارب هو تارس تاركاس . وكنت أستطيع أن أقرأ أفكاره كأنها كتاب مفتوح لما ارتسم على وجهه من حقد . ولا شك أنه كان يفكر في تلك المرأة الاخرى التي وقفت منذ اربعين عاما أمام هذا الحيوان ، ولو انه أتيح لى أن أهمس بكلمة واحدة في أذن تارس تاركاس في تلك اللحظة لكان ملك هاجوس قد انتهى . ولكن تارس تاركاس انسحب بعد لحظة واحدة من القاعة وهو لا يدرى بذلك انه ترك ابنته تحت رحمة أبغض أعدائه

ونهض هاجوس واقفا . فأسرعت الى السلم الدائرى وقد كاد يطير صوابي وهبطت الى الطابق السفلي . ولم يكن هناك أحد في طريقى فوصلت الى ذلك الطابق وأخذت مكاني وراء نفس العامود الذى أخلاه تارس تاركاس منذ لحظة . وبمجرد وصولى سمعت هاجوس يقول موجها الكلام الى ديا توريس :

ـ يا أميرة هليوم . في وسعى أن أبتز فدية ضخمة من قومك ان أنا رددتك اليهم سالمة ، ولكن أفضل من ذلك عندى ألف مرة أن أرى هذا الوجه الجميل يتقلص بآلام التعذيب . واعدك أنه سيكون تعذيبا طويل الامد . فعشرة أيام من التلذذ أقل بكثير من التعبير عن الحب الذى أكنه لسلالتك . وسيكون تعذيبك شبحا يقض الحمر الى أجيال طويلة . وسيرتجفون في الظلام حينما يروى لهم آباؤهم آيات انتقام الخضر الذى صب على شخصك الجميل ، وآيات البأس والقسوة التي أظهرها هاجوس . ولكنك قبل ابتداء التعذيب ستكونين لى مدى ساعة قصيرة . وهذه الساعة أيضا ستصل تفاصيلها الى جدك مورس الكبير ملك الهليوم الاعظم حتى يتلوى على الارض حزنا وقهرا ، غدا سيبدأ التعذيب أيتها الاميرة . أما الليلة فانت حظية هاجوس . هلمى الى !

وقفز من المنصة وقبض على يدها بخشونة . ولكنه ما أن فعل

حتى وثبت بينهما وسيفي القصير يلمع في يميني، وكان في استطاعتي أن أغمده في صدره قبل أن يدري ماذا حدث · ولكني ما أن رفعت ذراعي لاضربه حتى تذكرت تارس تاركاس · ورغم حقدي الشديد وكراهيتي وبغضي لهاجوس لم أستطع أن أسلب تارس تاركاس حلاوة تلك اللحظة التي عاش لها كل هذا الزمن الطويل · ولذا لم أضربه بالسيف بل سددت اليه لكمة مليحة فوق فكه فسقط على الارض بلا حراك وكأنه ميت !

وفي الصمت الرهيب الذي ساد الموقف قبضت على يد ديا ثوريس وأومأت الى سولا فتبعتني وهربنا بلا صوت الى الطابق العلوى

ومن النافذة الخلفية ربطت أحزمتي الجلدية ودليت سولا أولا ، ثم ديا ثوريس الى أرض الفناء الخلفي · ثم قفزت بعدهما بخفة واخذتهما وتسللنا بالافنية وظلال الابنية الى أن وصلنا الى حيث تركت الدابتين في فناء البناء الذي يطل على حدود المدينة · ووضعت عليهما السروج ثم خرجت بالدابتين ، فأركبت سولا فوق أحديهما واردفت ديا ثوريس ورائي فوق الاخرى وأسرعنا خارجين من مدينة ثارك مخترقين التلال الجنوبية

وبدلا من الاتجاه الى أقصر الطرق نحو هليوم سرنا في الاتجاه المضاد الذي يعتبر أبعد الطرق واخطرها واشقها وطوله نحو مائتي ميل · وذلك حتى نتفادى المطاردين

ولم نتبادل كلمة واحدة الى أن ابتعدنا تماما عن المدينة · ولكني كنت أسمع طول الوقت نحيب ديا ثوريس الهادىء وهي متشبثة بي ورأسها العزيز مستقر فوق كتفي · ثم سمعتها تقول لي :

— اذا نجحنا يا قائدى فان دين هليوم لك سيكون دينا باهظا، أكبر من أن تستطيع الوفاء به ، أما اذا لم ننجح فلن يكون الدين أقل قيمة مع ان هليوم لن تدرى عنه شيئا · فانك انقذت آخر سلالتنا مما هو أسوأ وانكى من الموت

ولم أجبها · ولكني مددت يدي الى خصري حيث استقرت يدها وضغطت على أناملها الدقيقة · ثم ساد الصمت ولم يعكره صوت ونحن ننهب الطريق نهبا · وكل منا مشغول بخواطره وأفكاره

أما أنا فكنت لا أشعر الا بسرور طاغ ، وكنت أتمنى أن يستمر

ركوبي بهذه الصورة رغم كل خطر وجسم ديا توريس الدافيء ملتصق بجسمي . ولست أبالي بعد ذلك ماذا يكون . كنت مسرورا؟ كأننا وصلنا فعلا الى أبواب عليوم سالمين مع ان الخطر ما زال قائما ، بل اني في الواقع كنت أشفق من لحظة الوصول التي ستبعد جسمها عن جسمي

وكانت خطتنا الاولى مرتجلة حتى اننا وجدنا أنفسنا الآن بغير طعام أو شراب . وكنت أنا الشخص المسلح بين الثلاثة . ومع هذا كنت أحث الدابتين للاسراع بمعدل سيرهقهما عما قريب ، قبل أن نصل الى مرحلة معقولة

واستغرق ركوبنا طول الليل وسحابة اليوم التالي من غير أن نستريح الا فترات قصيرة جدا . وفي الليلة الثانية كنا نحن الخمسة في حالة اعياء تام ، فارتمينا فوق العشب ونمنا نحو ست ساعات ، ثم استأنفنا الرحلة قبل طلوع النهار ، وظللنا نركض طول النهار . وفي وقت متأخر من بعد الظهر لمحنا أشجارا غير بعيدة ، مما يعتبر على ظهر المريخ علامة على أنهار جافة ، فادركت على الفور أننا هلكنا ، فاننا في الواقع درنا في دائرة واسعة . وان كنا لا ندري بالضبط أين اتجاهنا . وكان الجوع والعطش والتعب قد أخذت منا كل مأخذ

ولمحت الى اليمين جبالا منخفضة . فقررت الاتجاه اليها للنظر من فوق قممها عسى أن نتبين طريقنا . وخيم الليل قبل أن نصل الى هدفنا ، فارتمينا على الارض في شبه اغماء من التعب والضعف ونمنا

واستيقظت في ساعة مبكرة من الصباح على جسم ضخم يلتصق بجسمي . ففتحت عيني مفزوعا ورأيت وولا يلوذ بي . فهذا الكلب الأمين الوحشي تبعنا في تلك المتاهة يهتدي برائحتنا ليقاسمنا مصيرنا أيا كان . فطوقت عنقه بذراعي وضغطت خده على خدي . ولا يخجلني أن أقول هذا . بل ولا يخجلني أن اعترف بالدموع التي جالت في عيني

وبعد قليل استيقظت ديا توريس وسولاوقررنا أن نزحف للوصول الى التلال . ولم نسر سوى ميل حتى لاحظت أن دابتي بدأت تتعثر بصورة مؤلمة مع أني لم أجهدها منذ ظهر اليوم السابق . ثم مالت على جانبها ووقعت على الارض . فوقعت أنا وديا توريس بعيدا فوق العشب ، ورغم تخلص الدابة من ثقلنا لم تستطع الوقوف . وقالت

لى سولا ان رطوبة الليل والراحة ذلك النهار قد تساعد على تنشيط الدابة ، فعدلت عن اعدامها · وأخذت أنزع عنها السرج ثم اتجهنا الى التل · فمشيت أنا وسولا وأركبت ديا توريس الدابة الاخرى

وسرنا ميلا ثم اذا ديا توريس تصيح بنا أنها رأت من موقعها العالى مجموعة ضخمة من الفرسان يمرون فى التلال على بعد بضعة أميال· فنظرت أنا وسولا حيث أشارت فتبينا بوضوح بضع مئات من الجنود الخيالة ويبدو أنهم كانوا متجهين الى الجنوب الغربى ، أى فى الاتجاه المضاد لنا · الذى يبعدهم عنا

ولا شك انهم كانوا جنودا تاركانيين أرسلوا للقبض علينا·فتنفسنا الصعداء لضلالهم عنا · ورفعت ديا توريس بسرعة من فوق الدابة ثم أمرت الحيوان بالاستلقاء على الارض · وفعلنا نحن الثلاثة مثل ذلك حتى لا يرانا الاعداء ، ولكننا كنا نراهم وهم يجتازون الممر بين الجبال ويختفون وراء صخرة ضخمة كانت بحمد الله تحجبهم عنا

وعندما اجتاز الممر آخر محارب ، رأيناه يقف ثم يخرج المنظــــار المقرب ويضعه على عينه ويفحص الافق كله فى جميع الاتجاهات · ولا شك ان هذا الرجل كان قائدا ، فالعادة عند الزحف لدى الخضر ان يسير القائد فى نهاية الطابور الزاحف · ولما رأينا المنظار يتجه نحونا قفزت قلوبنا فى صدورنا وشعرت بالعرق البارد يتصبب من كل خلية فى جسمى

وفجأة صار المنظار فى اتجاهنا ثم وقف · وأصبحت أعصابنا على شفا الانهيار لانى أشك ان أحدا من ثلاثتنا تنفس طيلة اللحظات التى سلط علينا فيها منظاره · ثم رفع المنظار عن عينيه ورأيناه يصيح مصدرا الاوامر الى المحاربين الذين تخفيهم عنا الصخرة

ولم ينتظر جنوده بل لكز دابته وأسرع يشق الفضــاء بجنون فى اتجاهنا·ولم يكن أمامنا الا فرصة واحدة يجب أن نقدم عليها بسرعة، فقد رفعت مسدسى المريخى الغريب الى كتفى ثم أطلقت النار · وفى الحال رأيت القائد يطير من فوق دابته الجامحة·وقفزت واقفا وانهضت الدابة وأمرت سولا أن تأخذ ديا توريس معها وتبذل جهدها للوصول الى التلال قبل أن يصل الجنود الخضر الينا

وكنت واثقا انهما ستجدان فى الصخور ملاذا مؤقتا · وحتى ان ماتتا جوعا وعطشــــا فذلك خير من وقوعهما فى أيدى التاركان ·

واجبرتهما على أخذ مسدسين واحتفظت بالبنـــدقية · وأوصيتهما باستعمال المسدسين في الانتحار عند اليأس بعد أن تدافعا قدر الامكان

ورفعت ديا توريس بين ذراعي وأركبتها على الدابة خلف ســولا

ـ وداعا يا أميرتي · وعسى أن نلتقي في هليوم· فقد جربت النجاة من مآزق أسوأ من هذا المأزق

وحاولت أن ابتسم وانا اكذب عليها · فصرخت :

ـ ماذا ؟ هل سوف لا تأتي معنا ؟

ـ كيف افعل يا ديا توريس ؟ ان احدا يجب أن يعطل هؤلاء الاوغاد قليلا · وانا استطيع الفرار منهم بمفردي بصورة أسهل كثيرا من أن تكون نحن الثلاثة معا

فقفزت من فوق الدابة وطوقت بذراعيها الغاليين عنقي وصــاحت تقول لسولا في اباء كريم :

ـ اهربي يا سولا ! فستبقى ديا توريس لتموت مع الرجـل الذي تحبه !

ونقشت هذه الكلمات على صفحة قلبي · فلو أني لقيت الموت مائة مرة لمت المائة مرة راضيا بعد أن سمعت هذه الكلمات · ولكن لسوء الحظ لم يكن في استطاعتي أن أمنح قلبي لحظة سرور ونشوة بهـذا الذي سمعت فعانقتها وأطبقت بفمي على شفتيها لاول مرة ثم رفعتها بسرعة واركبتها وراء سولا وأمرتها أن تمسكها عنوة ثم ضربت الدابة على فخذها فانطلقت بهما ، وديا توريس تقاوم بشــدة للتخلص من قبضة سولا القوية

والتفت فرأيت الجنود الخضر يتسلقون الصخرة وينظرون باحثين عن قائدهم · وبعد لحظة رأوه ثم رأوني· ولكنهم ما لمحوني حتى بدأت أطلق عليهم النار وأنا منبطح وسط الاعشـاب الطويلة · وكان في خزان البندقية نحو مائة طلقة · ومائة أخرى في الحزام على ظهري · وظللت اطلق النار حتى سقط كل جنـــدي حاول الخروج من وراء الصخرة

ولكن انتصاري كان قصير الامد · فسرعان ما تكاثر الالف محارب وهجموا هجمة رجل واحد · فجعلت أطلق نيراني الى أن نفذت ذخيرتي وصاروا على كثب مني · وبنظرة خاطفة تبينت ان ديا توريس وسولا

تمكنتا من الاختفاء في التلال . فنهضت واقفا وألقيت بندقيتي التي لا تقع فيها وأسرعت في الاتجاه المضاد للطريق الذي ذهبت فيه سولا وديا توريس

ولم يكن للمريخيين عهد باستعراضات القفز العالي ، فهذه أول مرة يرى فيها هؤلاء الجنود تلك القفزات الرائعة التي ألهبتهم بهـا واستدرجتهم بعيدا عن ديا توريس

ولكنهم جعلوا يجرون ورائي بكل قوة الى أن ارتطمت قدمي بصخرة فوقعت بين الاعشاب . ولما نظرت الى فوق . ورأيتهم قد تجمعوا على . فشهرت سيفي لادافع الدفاع الاخير ولكن كثرتهم غلبتني . فاغمى على بين أيديهم



ولابد أنني ظللت فاقد الرشد بضع ساعات . وأذكر جيدا شعور الدهشة الذي استولى على عندما تبينت اني لم امت . وكنت راقـدا وسط كومة من الحرير والفراء في ركن غرفة صـغيرة بها عـدد من المحاربين الخضر . وقد انحنت فوقي أنثى عجوز قبيحة

ولما فتحت عيني التفتت العجوز الى أحد المحاربين وقالت :

– سيعيش أيها الملك

فأجابها من خاطبته وهو يقف ويقترب مني :

– عظيم . فانه سيكون لعبة نادرة في الالعاب الكبرى

ولما وقع نظري عليه وجدت انه ليس تاركانيا . فزينته وأوسمته ليست مما يستعمله ذلك الجنس . وكان شخصا ضخما جدا تنتشر الندوب في وجهه وصدره ، وله سن واحدة مكسورة وأذن واحدة . وقد تعلقت من ثدييه جمجمتان بشريتان تتـدلى منهما بضعة أيدى بشرية مجففة

وكانت اشارته الى الالعاب الكبرى التي سمعت عنها كثـيرا في ثارك قد اقنعتني اني قفزت من الرمضاء الى النار

وبعد أن تبادل الملك بضع كلمات مع الأنثى التي أكدت له قدرتي على متابعة السفر ، أمر الملك أن يركبوني في مؤخرة القافلة . وفعلا ربطوني فوق دابة من أصعب الدواب التي رأيتها مراسـا ، وتولى جنديان من الجانبين حراستي ومنع الدابة من الجموح . وزحف الطابور

بسرعة . ولكنى لم أشعر لجراحى بالم شديد . لان علاج هذه العجوز كان مدهشا . وضماداتها كانت من أغرب ما رأيت

وقبيل الليل وصلنا الى كتلة الجيش المعسكرة لقضاء الليلة . وفى الحال أخذونى أمام القائد الذى اتضح لى انه الملك الاعظم لقبائل الورهون

وكان هذا الملك كثير الندوب ومتزينا بنفس أسلوب العاهل الذى قبض على واحضرنى . وكان هذا العاهل الاعظم اسمه باركوماس . وهو أصغر سنا من مساعده العجوز الذى قبض على والذى كان يسمى داكوفا . ولاحظت ان هذا المساعد العجوز كان يتعمد الاساءة الى مولاه الشاب . فهو مثلا لا يحييه التحية العسكرية المألوفة . وسمعته يقول وهو يقدمنى اليه :

- لقد قبضت على هذا المخلوق العجيب الذى يرتدى زى التاركان الحربى . ويسرنى أن يبارز دابة متوحشة فى الالعاب الكبرى

فأجابه مولاه الشاب باباء واعتداد :

- اذا رأى مولاك باركوس أن يموت ، فسيموت كما يريد له

فصاح داكوفا بغيظ :

- اذا رأى أن يموت ؟ أقسم بالايدى المجففة المدلاة فوق صدرى انه سوف يموت يا باركوماس . ولن ينقذه ضعفك . فلو ان الوارهون يحكمهم مولى حقيقى لما كان هذا حالهم ولكنهم محكومون بقلب خرع يستطيع داكوفا العجوز أن ينزع عنه أوسمته بيده المجردة !

فرمق باركوماس قائده المتمرد بتعال وازدراء وحقد ، ثم لم يجرد سلاحا ولم ينطق بكلمة ، بل انقض على رقبة داكوفا . وكانت هذه أول مرة أرى فيها محاربين أخضرين يتبارزان بالاسلحة الطبيعية والقوة الحيوانية . فكان المنظر أغرب من الخيال

كان كل منهما يحاول اقتلاع عين الآخر أو أذنه بيديه ، وينهش لحمه بأنيابه الى أن امتلأ جسداهما بشرائح من الجروح من الرأس الى القدم . بيد ان باركوماس كان أقوى وأسرع وأذكى من خصمه ، الى أن خيل الى أن داكوفا سينهار . ثم رأيت باركوماس يتراجع لينقض على خصمه من جديد . فكان هذا التراجع هو الفرصة التى ينتظرها داكوفا . فانقض على جسم خصمه وغرس نابه الوحيد فى بطن باركوماس . وبدفعة واحدة يائسة فتح جسد الملك الشاب بطوله الى أن اصطدمت نابه بعظام فك باركوماس . ثم جعل المنتصر والمهزوم يتدحرجان على العشب كتلتين من اللحم الهامد الممزق

مات باركوماس . ولولا الجهود الجبارة التي بذلتها نساء داكوفا لما أمكن انقاذه . وبعد ثلاثة أيام مشى داكوفا من غير معين الى جثة باركوماس التي لم ترفع من موضعها حسب التقاليد ، ثم وضع قدمه على عنق مولاه السابق وأعلن نفسه ملكا أعظم على الورهون

ونقلت يدا الملك القتيل وجمجمته الى التحنيط لتضاف الى زينة قاهره ، ثم تفرغ داكوفا لشئون الملك

وكان الزحف قد تأخر بسبب هذه المعركة . فقرر داكوفا الغاء الحملة التي كان القصد منها الاغارة على مدينة تاركانية صغيرة . وأرجأ الزحف والحملة الى ما بعد الالعاب الكبرى . وعاد الجيش الذى يبلغ عدده عشرة آلاف الى مدينة وارهون

وكانت هذه المعركة التي عرفت بها شراسة وضراوة هذا الشعب فاتحة لمناظر مماثلة كنت أراها يوميا وأنا بينهم . وهم جنس أقل عددا من التاركانيين ولكنهم أشد شراسة . ولا يكاد يمر يوم من غير مبارزات ومقاتلات بين هؤلاء المتوحشين . بل انى شهدت فى يوم واحد ثماني مبارزات الى الموت

وكان وصولنا الى مدينة وارهون بعد سير استغرق ثلاثة أيام . فألقوني على الفور فى السجن وقيدوني الى الارض والحيطان . وكان الطعام يجلب الى فى فترات . ولكن الظلام جعل من المستحيل على أن أعرف هل أنا فى ليل أم نهار ، وكم لبثت هناك ، أأياما أم أسابيع أم شهورا . فكانت هذه أفظع تجربة مرت بي وكادت تورثنى الجنون ولاسيما ان المكان كان غاصا بالهوام ذات العيون اللامعة التى تنظر الى بامعان

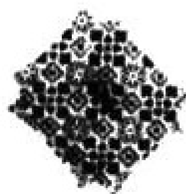
وكان الحارس يأبى أن يكلمنى كلمة واحدة وهو يحضر لى الطعام . فبمرور الايام تركزت فيه كراهيتي لابناء جنسه الذى أصبح يمثلهم في نظرى . ولاحظت أنه يتقدم دائما بشعلته الهزيلة الى حيث يضع الطعام فى متناول يدى . وحين كان ينحنى ليضعه على الارض كان رأسه في مستوى صدرى

وبمكر المجانين تراجعت الى الركن البعيد في زنزانتي عندما رأيته يقترب ذات مرة . وجمعت فى يدى جزءا من السلسلة الثقيلة التى تكبلنى . وكمنت له كما يكمن الحيوان المفترس . فلما انحنى ليضع الطعام على الارض ، رفعت السلسلة فوق رأسي ثم ضربت بها رأسه بكل ما أملك من قوة فسقط على الارض ميتـا من غير أن ينطق .

فانقضضت عليه كالمجنون أتحسس بأصابعى رقبته فى الظلام الى أن عثرت بسلسلة رفيعة تتدلى منها بضعة مفاتيح

وكان ملمس هذه المفاتيح كافيا أن يردنى الى صوابى . ففارقنى الجنون وعدت انسانا عاقلا حسن التدبير لخطوات فراره

وفيما كنت أنزع السلسلة من رقبة ضحيتى رأيت فى الظلام ستة أزواج من العيون المتوهجة تنظر الى ولا تطرف . ثم اقتربت منى ، فتراجعت فزعا منهـــا . وانكمشت فى الركن ومددت كفى أمامى . واقتربت العيون الى أن وصلت الى الجثـــة الهامدة تحت قدمى . ثم انسحبت وهى تحدث صوتا غريبا . ولم تلبث أن اختفت فى النهاية فى سرداب من سراديب سجنى



الفصل الرابع عشر

قتال في الساحة

وشيئا فشيئا بدات استرد هدوئي ورباطة جاشي . وحاولت من جديد ان استل المفاتيح من جثة السجان الميت ، ولكن عند ما تحسست في الظلام موضع الجثة افزعني ان اجدها قد اختفت من موضعها !

وادركت فجاة حقيقة ما وقع ، فاصحاب تلك العيون المتوهجة في الظلام نجحوا في جر فريستي بعيدا عني لكي ينهشوها في كهفهم وقد طال انتظارهم اسابيع لا ادرى ام شهورا لجر جثتي الى حيث يفترسونها

وحرمت من الطعام طيلة يومين تقريبا ، ثم ظهر سجان جديد واستمرت حياتي على وتيرتها السابقة ، ولكنني لم اسمح لعقلي بعد ذلك ان يطيش او يتداعى تحت اعباء الرعب الذى اعانيه في سجني

وبعد ذلك بمدة قصيرة جيء بسجين آخر وقيدوه بالقرب مني ، وعلى ضوء المشعل الخافت عرفت انه من المريخيين الحمر . وبصعوبة غالبت صبرى الى ان انصرف الحارس كي اخاطب هذا السجين ، وهمست له بالتحية في لغة قومه ، فأجابني قائلا :

– من انت يا من تتكلم من جوف الظلام ؟

– جون كارتر ، صديق لاهل هليوم الحمر

– انا من هليوم ولكني لا اتذكر اسمك

وبعد ذلك اخبرته قصتي كما كتبتها هنا ، ولكني حذفت منها كل ماله علاقة بالغرام الذى اكنه لديانوريس ، وثار اهتمام الرجل كثيرا لانباء اميرة هليوم ، وبدا عليه الاقتناع التام بأن سولا والاميرة

تمكنتا بسهولة من الوصول الى موضع امين بعد ان غادرتانى . واخبرنى انه يعرف ذلك الموضع جيدا ، فهذا النفق الذى مرت منه قوات الوارهون هو الوحيد فى تلك الجبال المؤدى الجنوب ، واستطرد قائلا :

ـ لقد دخلت ديائوريس وسولا الجبال من نقطة لا تبعد اذن عن النهر الكبير الجاف باكثر من خمسة اميال ، ولعلهما الآن فى امان

وكان اسم زميلى فى السجن كانتوس كان ، وهو ضابط برتبة الملازم فى اسطول الهليوم ، وكان من افراد البعثة العاثرة الحظ التى وقعت فى ايدى الساركان عند ما اسرت ديائوريس ، وقد روى لى الحوادث التى جرت بعد هزيمة طائراتهم

لقد عادوا الى هليوم جرحى ومعطوبين . ولكنهم فى الطريق مروا بالقرب من مدينة زودانجا ، عاصمة الاعداء التقليديين للهليوم بين المريخيين الحمر ، فهاجمتهم وحدات جوية مسلحة . وانتهى الهجوم بتدمير سفن الهليوم الجوية أو وقوعها فى الاسر ، ما عدا القطعة التى كان كانتوس كان من ضباطها ، وظلت ثلاث طائرات من زودانجا تطاردها جملة ايام ، ولكنها افلحت فى الهرب فى ليلة لم يطلع فيها القمر وعادت الى الهليوم

وكان وصول طائرته الى هليوم فى اليوم الثلاثين من اسر ديائوريس ، اى حوالى الوقت الذى وصلنا فيه الى مدينة تارك . وكان الاحياء فى طائرته نحو عشرة ، من مجموع قوتها الاصلى الذى يبلغ سبعمائة ضابط وجندى . وعلى الفور قامت سبعة اساطيل كبيرة ، كل اسطول منها يتكون من مائة سفينة جوية ضخمة ، للسفر للبحث عن ديائوريس ، وانطلقت من هذه السفن ثلاثة الاف وحدة صغيرة للبحث عن الاميرة فى كل موضع ممكن من فضاء المريخ

وقد تمكنت هذه الاساطيل من استئصال قبيلتين من المريخيين الخضر ، ابادتهم ابادة تامة من فوق وجه المريخ . ولكن لم تعثر على اثر للاميرة ديائوريس . وكان البحث محصورا فى القبائل الشمالية . ولم تتجه الاساطيل للبحث بين اصقاع الجنوب الامنذ بضعة ايام

واثناء هذه الحملة التفتيشية كان كانتوس كان يستقل طائرة فردية من آلاف الطائرات المكلفة بالتنقيب عن الاميرة . وشاء له سوء الحظ أن يعثر عليه الوارهون بعد ان نزل على الارض وراح يبحث عن الاميرة في مدينتهم

وقد أعجبت بشجاعة هذا الرجل واقدامه ، لانه هبط عند حدود المدينة وحده ثم دخل على قدميه الى الابنية المحيطة بالميدان وظل يومين يجوس خلال مساكنهم بحثا عن الاميرة المحبوبة الى ان وقع بين ايدى الجنود وهو يهم بمغادرة المدينة بعد ان اقتنع بأن دياثوريس ليست بها

واثناء مدة سجننا معا زادت اواصر المعرفة بيننا حتى صارت صداقة شخصية حميمة ، ولكن بعد أيام قليلة انتزعونا من سجننا بسبب الالعاب الكبرى . وكان ذلك فى صباح باكر ، فوجدنا انفسنا فى مدرج هائل بدلا من ان يشيدوه على وجه الارض ، شيدوه نزوليا تحت سطحها . وكان المدرج يتسع يومئذ لعشرين الفا من الوارهون اما الساحة المعدة للالعاب فكانت واسعة جدا ، ولكنها غير ممهدة ولا مستوية السطح وحولها كوم الوارهون حجارة من انقاض الابنية المتهدمة ليمنعوا الحيوانات والاسرى من الهجوم على مقاعد النظارة

وفى كل طرف من اطراف الساحة شيدت اقفاص ضخمة لاحتجاز الحيوانات والاسرى الى ان يأتى دور كل منهم كى يلقوا الموت الفظيع الذى دبر لهم فى تلك الحلبة

وحبسونا انا وكانتوس كان فى احد تلك الاقفاص . وفى اقفاص اخرى رأينا دواب متوحشة ، ومريخين خضرا ، ونساء من قبائل اخرى، ووحوشا من ضوارى المريخ لم اكن تشرفت بمعرفتها بعد . وكانت كلها تعن وتزأر فى وقت واحد فى ضجة تصم الآذان وكان منظر الواحد منها كافيا لبث الرعب فى أثبت القلوب

وشرح لى كانتوس كان انهم فى نهاية العاب اليوم يطلقون سراح اسير واحد . اما الباقون فيرقدون صرعى على أرض الحلبة ، والفائزون فى كل مباراة على حدة ، تجرى بينهم مباراة للتصفية الى ان يتبقى اثنان منهم فقط ، والفائز من الاثنين يطلق سراحه سواء كان وحشا او انسانا

وفى اليوم التالى تملأ الاقفاص بفوج جديد من الاسرى والضحايا وهكذا دواليك طيلة الايام العشرة التى يستمرها المهرجان

وبعد ان حبسونا فى القفص برهة قصيرة ابتدأ المدرج يغص بالمشاهدين وفى مدى ساعة واحدة لم يعد فيه موضع لقدم . وجلس داكوفا مع قواده ورؤساء العشائر فى وسط احد جوانب الساحة فوق منصة عالية كبيرة ، وباشارة من داكوفا فتحت ابواب قفصين ، وسيقت الى وسط الساحة اثنتا عشرة امراة من اهل المريخ الخضر .. واعطوا كل واحدة منهن خنجرا ، وفى الطرف الآخر من الساحة اعدوا اثنى عشر كلبا وحشيا واطلقوهم عليهن

واشحت بوجهى حتى لا ارى ذلك المنظر الفظيع ، ولكن اصوات التصفيق والضحك من النظارة دلتنى على ان المنظر كان يروق لهم جدا ، ولما نظرت الى الساحة حين قال لى كانتوس كان ان اللعبة انتهت رايت ثلاثة كلاب وحشية تقفز بين اشلاء الضحايا وهى تعوى ، وكانت النساء قد دافعن عن انفسهن دفاعا رائعا بقتلهن تسعة كلاب من تلك الوحوش المفترسة

وفوجئت الكلاب المنتصرة باطلاق وحش كالنمر عليها ، وعلى هذه الوتيرة استمر ذلك اليوم الطويل الحار الانفاس

وكان نصيبى خلال اليوم انى قاتلت فى البداية رجالا ثم وحوشا . وكان سيفى الطويل وبراعتى فى القفز والرشاقة سببا فى انتصارى بسهولة كان المسألة لعبة اطفال

وهكذا غنمت تصفيق المتفرجين المرة بعد المرة ، وفى النهاية تقريبا ارتفعت صيحات الجمهور تطالب بسحبى من الميدان واعتبارى عضوا فى قبائل الوارهون ، اى اعطائى حقوق المواطن

ولم يكن قد تبقى منا الا ثلاثة : انا ومحارب ضخم من قبائل الخضر الشمالية البعيدة ، وكانتوس كان . وكان على الاثنين ان يتبارزا ، ثم ابارز انا المنتصر منهما كى اظفر بحريتى حسب التقاليد

وكان كانتوس كان قد قاتل فى ذلك اليوم جملة مرات وانتصر كما انتصرت ، ولكنه كان يحصل على انتصاراته بصعوبة لا فى يسر مثلى . وكانت الصعوبة تزداد بالنسبة اليه حين يقاتل الخضر ولذا كنت قليل الامل فى ان يقهر خصمه الاخضر العملاق الذى فتك بكل

من يبارزوه طول النهار . وكان طول ذلك العملاق ستة عشر قدما اى نحو خمسة امتار اما كانتوس كان فكان طوله اقل من ستة اقدام اى انه فى طول انسان من اهل الارض

وعند ما تقدما للالتحام للمرة الاولى ، رايت نوعا من المبارزة بالسيف يجعل انتصار كانتوس كان امرا معلقا بالمصادفة الضعيفة فان كانتوس كان حين اصبح على مسافة عشرين قدما من خصمه العملاق رفع سيفه فوق كتفه ثم رمى به كما يرمى القوس السهم ، فكان كل شىء متوقفا على اصابة السيف لهدفه . وكم ادهشنى أن أرى السيف يشق الفضاء كالسهم ويخترق قلب العملاق فيسقط ميتا

واصبح على الآن ان ابارز كانتوس كان ، ولكن عند ما تقاربنا همست فى اذنه ان يطيل المبارزة الى هبوط الظلام عسى أن يتيسر لنا سبيل الهرب عندئذ

وادرك المتفرجون ان كل واحد منا لا يريد القضاء على الآخر فاخذوا يصرخون غضبا لاننا لا نقدم لهم التسلية المطلوبة . ولما رايت الظلام بدأ يخيم همست لكانتوس كان أن يرشق سيفه بين ذراعى الايسر وجسمى. وبعد ذلك تراجعت الى الوراء وتظاهرت بالوقوع على الارض وانا اقبض بذراعى الايسر جيدا على السيف، فظنوا أن السيف اخترق صدرى

وادرك كانتوس كان مرادى فاسرع نحوى ووضع قدمه فوق عنقى ثم سحب سيفه من جثتى ، ثم تصنع بانه ضربنى الضربة القاضية بقطع وريد الرقبة ، مع أن السيف غاص فى رمال الساحة وفى عتمة الظلام لم يميز أحد الحقيقة

وهمست له ان يذهب ويطالب بحريته ، ثم عليه أن يبحث عنى بين الجثث فى التلال الشرقية للمدينة ، فتركنى وذهب

وبعد ان اخلى المدرج من المتفرجين جعلت ازحف فى الظلام الى ان وصلت الى القمة . ولما كان المدرج فى مكان بعيد عن الميدان المركزى للمدينة فى بقعة منعزلة ، لم اجد صعوبة فى الوصول الى التلال الشرقية خارج المدينة



وظللت انتظر كانتوس كان فى التلال مدة يومين فلما لم يحضر

انطلقت سائرا على قدمى فى اتجاه شمالى غربى ، حيث قال لى ان اقرب نهر جاف موجود هناك . وعلى ضفاف تلك الانهار الجافة توجد اشجار اللبن . وكان غذائى الوحيد طبعا ما اجده من الباتات بين الحين والحين

وطال تجوالى اسبوعين . وانا اتخبط فى سراى ليلا مهتديا بالنجوم وحدها اما فى النهار فكنت اختبىء وراء صخرة او تل صغير مما اجده فى طريقى . وكم من مرة هاجمتنى الحيوانات المتوحشة التى كانت تهجم على فى الظلام . ولذا كنت اسير دائما شاهرا سيفى احتياطا للطوارىء . ولحسن الحظ ان قوة التلباثى عندى كانت قد ارهفت فى المريخ ، فكانت تنبهنى الى الخطر فى الوقت المناسب . ولكن ذات مرة وجدت مخالب قوية تنقض على عنقى ووجها غزيرالشعر يلتصق بوجهى قبل انافطن انى هوجمت!

ولست ادرى ما الذى احسست فى تلك اللحظة تحت وطأة ذلك الحيوان الضخم الثقيل الكثير السيقان . ولكن اصابعى كانت حول عنق الوحش قبل ان تنغرس مخالبه فى رقبتى . وببطء ارغمت الوجه الغزير الشعر على الابتعاد عنى وبدات اخنقه

وارتمينا على الارض نتدحرج معا . وانا اجاهد جهاد المستميت للقضاء على حياته . ولكنه كان اقوى منى . وشيئا فشيئا بدات عيناه المتوهجتان تقتربان منى حتى التصق وجهه بوجهى من جديد فأيقنت ان كل شىء قد انتهى هذه المرة . واذا بجسم يبرز من الظلام وينقض على الوحش الذى كان قد سمرنى فى الارض وشل حركتى

وظل الجسمان يتصارعان على العشب ويزاران وينهش كل منهما الآخر . ولكن اخيرا تغلب منقذى ووقف منتصرا فوق جثة الوحش الذى اوشك ان يقتلنى

وفجأة اشرق فى السماء احد القمرين التابعين للمريخ . فاذا بمنقذى هو وولا . ولكنى لا ادرى من اين جاء ولا كيف عثر على وظل هذا لغزا لا اجد له حلا

ولا شك اننى كنت سعيدا جدا بصحبته . ولكن هذه السعادة كان يشوبها القلق على السبب الذى دعاه لترك دياثوريس . فلا

شيء سوى موتها يمكن ان يفسر غيابه عنها ، لما اعلمه من حرصه الشديد على تنفيذ اوامرى

وزاد اشراق القمر فتبينت فى نوره ان وولا لم يعد الا اثرا هزيلا من صاحبى القديم . ورايته ينقض على فريسته ينهشها بشراهة ، فعلمت انه كاد يهلك جوعا

وانا شخصيا لم اكن احسن منه حالا بكثير . بيد انى لم استطع ان انزل بنفسى الى اكل اللحم النيىء . ثم لم تكن لدى وسيلة لاشعال النار ، ولما فرغ وولا من وجبته استأنفت رحلتى وانا فى حالة اعياء بحثا عن ذلك النهر الجاف

وفى فجر اليوم الخامس عشر اسعدنى ان ارى الاشجار العالية التى تدل على ضالتى المنشودة . وحول الظهر جررت نفسى جرا الى بوابة بناء ضخم ربما كانت مساحته اربعة اميال مربعة . وربما كان ارتفاعه فى الهواء نحو مائتى قدم

ولم اجد فى جدرانه ثغرة واحدة سوى ذلك الباب الذى وقعت على عتبته مستنفد القوة ، ولم يكن فى ذلك البناء مايدل على الحياة اطلاقا . ولم اجد للباب جرسا او اية وسيلة اخرى لاشعار اهله بوجودى ماعدا ثقب مستدير صغير فى الحائط القريب من الباب يكاد يكون فى حجم قلم الرصاص

وسبق الى ظنى انها انبوبة للتخاطب . فوضعت فمى فوقها وتأهبت ان انادى ، واذا بصوت يناديني من داخلها ويسألنى من اكون ومن اين جئت وما هو مرادى :

وشرحت له انى هارب من الوارهون واكاد اموت جوعا واعياء . فقال :

ـ انك ترتدى زينة المحاربين الخضر ، ويتبعك كلب . ومع ذلك فان سحنتك سحنة الحمر . ولكن لونك ليس لون الخضر ولا لون الحمر . فباسم الشعاع التاسع ، اى مخلوق انت ؟

ـ انا صديق للحمر ، وجائع . فباسم الرحمة افتح لنا

وعلى الفور رايت الباب يتراجع امامى الى ان غاص فى الحائط مقدار خمسين قدما . ثم توقف وبدأ ينجاب الى اليسار عن دهليز قصير ضيق فى نهايته باب آخر شبيه كل الشبه بالباب الاول الذى

اجتزته . ولم تقع عيني على احد . ولكن بمجرد مرورنا من الباب الاول عاد من تلقاء نفسه الى موضعه ورايته يتراجع الى مكانهالاول من الجدار الخارجي

وكنت قد لاحظت سمك الباب الضخم الذى لايقل عن عشرين قدما . فلما انتهت رحلة العودة للباب رأيت اسطوانات ضخمة من الصلب تهبط من السقف وتقف وراء الباب لتدعيمه

وانفتح امامي باب ثان وثالث على نفس الوتيرة قبل ان اصل الى حجرة داخلية واسعة وجدت فيها طعاما وشرابا موضوعين على مائدة ضخمة من الصخر . وسمعت صوتا يدعوني الى الطعام واطعام كلبي . واثناء انهماكي في الاكل وضعني محدثي الغامض تحت نيران اسئلته المحكمة . وقال في نهاية الاستجواب :

ـ ان اقوالك في غاية الغرابة . ولكنك بلا شك تقرر الحقيقة . كما انك ايضا بلا شك لست من اهل البرسوم . فهذا واضح لي من تركيب دماغك ومن الوضع الشاذ لاعضاء جسمك الداخلية ومن شكل قلبك وحجمه

فصحت به منزعجا :

ـ اتستطيع ان ترى مابداخل جسمي ؟

ـ نعم استطيع ان ارى كل شيء ماعدا افكارك . ولو انك كنت من اهل البرسوم لقرات افكارك ايضا

وبعد ذلك انفتح باب في نهاية الحجرة وتقدم نحوى رجل غريب هزيل جاف كانه مومياء صغيرة . وكان عاريا الا من قطعة ثياب واحدة او لعلها حلية ، هي ياقة او طوق من الذهب يستقر على صدره من طرفه حلية ضخمة في حجم طبق الغذاء مرصعةبماسات كبيرة الحجم ، اما الوسط فبه جوهرة غريبة فيحجم نصف الريال ، تشع منها تسعة الوان مختلفة متباينة هي الوان طيفنا الارضي السبعة ولونان جديدان جميلان لا عهد لي بهما ولا اعرف لهما اسما . ولا استطيع وصفهما اكثر من انهما اقرب الى اللون الاحمر ، واما جمالهما فلم اشهد له مثيلا



وجلس العجوز وتحدث الى ساعات طويلة ، والغريب في الامر

انى كنت استطيع طول الوقت ان اقرا جميع افكاره . اما هو فكان لاستطيع ان يقرا اية فكرة تجول براسى مالم اتكلم

وطبعا لم اطلعه على قدرتى تلك وبذلك عرفت الكثير مما صارت له قيمة عندى فيما بعد . وكان من المستحيل ان اعرفه لو انه ادرك ما اتمتع به من قدرة خارقة على قراءة فكره فان اهل المريخ لديهم قدرة عظيمة على تحويل افكارهم بدقة الى موضوعات اخرى فورا

وكان البناء الذى وجدت به نفسى يحتوى على الآلات التى تنتج الجو الصناعى الذى يحفظ الحياة على وجه المريخ . وكان سر المصنع كله يقوم على استخدام الشعاع التاسع الذى رايته ينبثق من جوهرة محدلى . وهذا الشعاع يستخلص من اشعة الشمس الاخرى بواسطة آلات دقيقة موضوعة فوق سقف البناء الضخم . وثلاثة ارباع هذا البناء مخصص لتخزين هذا الشعاع التاسع . الذى يعالج بالكهرباء ثم يوزع على خمسة مراكز متفرقة فوق سطح الكوكب حيث يختلط بالعناصر الجوية الاخرى

وهناك دائما رصيد مدخر من الاشعة التاسعة يكفى لتمويل جو المريخ لمدة الف سنة . وكل الخطر كما قال لى صديقى الجديد من وقوع عطب فى جهاز المضخات الذى يوزعه

واخذنى صديقى الى حجرة داخلية حيث رايت عشرين مضخة من الراديوم وكل واحدة منها تكفى لتزويد المريخ بالتركيب الجوى المطلوب.واخبرنى انه ظل ثمانمائة سنة يشرف على تلك المضخات التى تعمل بالتناوب . واحدة منها كل يوم . واليوم فى المريخ اربع وعشرون ساعة ونصف من ساعات الارض . وله مساعد واحد يقتسم معه نوبة الملاحظة . كل نصف سنة من سنوات المريخ . ونصف العام المريخى نحو ثلاثمائة اربعة واربعين من ايامنا الارضية. يقضيها الواحد منهم بمفرده فى ذلك المصنع الضخم المنعزل

وكل مريخى احمر يعلم منذ طفولته الباكرة قواعد صناعة الجو ولكن اثنين فى كل جيل يعرفان فقط سر الوصول الى ذلك البناء الذى شيدت جدرانه بحيث تقاوم كل هجوم . فسمك الجدار مائة وخمسون قدما . وحتى السقف محصن من هجوم الطائرات بعدسة سمكها خمسة اقدام . والخطر الوحيد من هجوم الخضر

الهمج . ووسائلهم لا تسمح لهم باقتحامه مهما فعلوا

والعجيب فى امر الابواب الخارجية انها مزودةبوسائل التلباثى . والاقفال مصنوعة بحيث تعمل لا بمفتاح بل بموجات عقلية معينة

واردت ان افاجىء الصديق الجديد بقدرتى على قراءة افكاره فاكتشف هذه الصيغة الذهنية التى تفتح الابواب . فسألته كيف استطاع ان يفتح تلك الابواب الضخمة وهو واقف فى الحجرة الداخلية للبناء ؟ وفى الحال قفزت الى ذهنه تسعة أصوات مريخية لم تلبث أن تلاشت واجابنى ان ذلك سر لايجوز له ان يفشيه

وبعد ذلك صار اكثر تحفظا فى حديثه معى كأنه يخشى ان يفشى سره الكبير وأصبحت اقرأ الشك والخوف فى نظراته وافكاره . وان ظلت كلماته مهذبة ودية

وقبل أن انسحب لقضاء الليل وعدنى ان يعطينى خطابا الى ضابط فى مزرعة قريبة يساعدنى على الذهاب الى زودنجا التى تعتبر اقرب مدينة مريخية الى ذلك المصنع ، ولكنه اوصانى قائلا :

ـ اياك ان تجعلهم يعرفوا صلتك بالهليوم . فهم فى حالة حرب معها . اما انا ومساعدى فلا ننتمى الى اى وطن او قبيلة . بل نحن ملك للكوكب كله . وهذا الطلسم الذى نرتديه فى أعناقنا يحمينا من جميع الايدى ، وفى جميع البقاع . حتى من الخضر انفسهم . وان كنا لانثق بوعودهم ونتجنب الاحتكاك بهم . والآن طابت ليلتك يا صديقى وارجو ان تنعم بنوم مريح ... طويل جدا

ومع انه كان يبتسم الا انى قرأت فى افكاره عندئذ مالم يكن يظن انى قرأته لانه يجهل قدرتى تلك فقد رأيته واقفا بجوارى وانا نائم وفى يده خنجر طويل وهو يقول :

ـ انى آسف . ولكن مصلحة البرسوم العليا فى موتك

ولما أغلق على باب حجرتى جعلت أفكر ماذا اصنع وكيف اهرب من هذه الاسوار الضخمة . لقد عرفت نيته . ومن السهل ان اقتله . ولكن كيف اهرب من هذا السجن . ثم ان توقف المضخات عن العمل سيقضى على حياتى مع جميع اهل المريخ حتى ديا ثوريس . هذا ان لم تكن قد ماتت فعلا . أما الآخرون فكنت لا آبه لهم كقلامة ظفر . الا ان صورة ديا ثوريس وحدها كانت كافية لردى عن قتل مضيفى

وبحــذر فتحت باب حجرتي وخرجت ومعي وولا ابحث عن الابواب . وفي املي ان افتح الاقفال بالموجات التسعة التي قراتهـا في ذهن الشيخ . وتسللت في دهليز بعد دهليز الى ان وصلت الى البهو الـكبير الذي تناولت فيه طعامي ذلك اليوم بعد صوم طويل . ولـكنى لم اعثر لمضيفي على اثر ولم ادر اين يقضي الليل

وكنت على اهبة دخول القاعة عندما حذرني صوت من خلفي فتواريت بظل فجوة في الدهليز وجذبت وولا خلفي. واذا بالعجوز يمر بجواري متسللا وفي يده خنجر طويل حاد كان يشحذه على حجر صلد ، وقرات في ذهنه انه سيذهب للتفتيش على المضخات مدة ثلاثين دقيقة ، ثم يعود الى حجرة نومي ليجهز علي

ولمـا اخترق القاعة الـكبيرة واختفى في الـسلم المؤدي الىحجرة المضخات تسللت بسرعة الى الباب الـكبير وهو الباب الثالث من الداخل الذي يحول بيني وبين حريتي

وركزت افكاري على القفل الضخم واستدعيت الموجات التسعة ووقفت معلق الانفاس . واذا بالباب الـكبير يتحرك ببطء نحوى ثم ينحاز جانبا . واخذت الابواب تنفتح امام ارادتي واحدا بعـد الآخر وانا امر منها مع وولا . كما دخلنا . بفرق واحد . اننـــا نخرج الآن ببطون حافلة وكنا قد دخلنا ببطوننا خاوية

واسرعنا في طريقنا طول الليل الى ان طلع النهار فوقفت انظر حولي بحثا عن اىاثر لبناء . فرايتمباني منخفضة مغلقةالابواب . ولم يفلح طرقي في استمرار اي جواب من داخلها . وكان السهر قد اعياني فرقدت على الارض ونمت وامرت وولا انيحرسني جيدا

وبعد قليل استيقظت على نباحه الفظيـع وفتحت عيني لارى ثلاثة من المريخيين الحمر واقفين عن بعد قليل منا وقد صـوبوا الى نادقهم . فصحت بهم :

ـ انا اعزل من السلاح ولست عدوا . وكنت اسيرا لدى الخضر وانا الآن في طريقي الى زودنجا وكل ما اطلبه هو الطعام والراحـة لي ولـكلبي وان تدلوني على الطريق ...

فخفضوا بنادقهم وتقدموا مني في لطف ووضعوا ايديهم اليمنى على كتفي الايسر كعادتهم في التحية . ثم القوا على اسئلة كثيرة

واخذونى بعد ذلك الى بيت أحدهم الذى كان لا يبعد كثيرا من ذلك الموضع

واكتشفت ان المبانى التى طرقت ابوابها كانت مخازن لاتوجد بها الا البضائع . والحاصلات الزراعية . اما بيوت الناس ففى حدائق وسط اشجار ضخمة وترتفع فوق سطح الارض أثناء الليل باعمدة طولها خمسون مترا . وهى ميزة فى مبانى الحمر . وهذا طبعا يوفر عليهم مشقة الحصون والاقفال . وفى كل بيت آلة رافعة ترفع البيت الى ذلك الارتفاع حين يهبط الليل . وهذه الآلة من الراديوم وصغيرة الحجم وتحتل مكانا فى مدخل كل بناء . كما ان لديهم وسائل أخرى لخفض البيت ورفعه عند الحاجة بغير تلك الآلة

وكان الرجال الثلاثة اخوة يسكنون مع زوجاتهم واطفالهم ثلاثة بيوت متشابهة فى تلك المزرعة ولا يصنعون شيئا بأيديهم لانهم ضباط الدولة للاشراف على المزرعة . اما العمل فيقوم به الاسرى والمدنيون العاجزون عن الوفاء بديونهم ، والعزاب الذين يعجزون عن دفع ضريبة العزوبة الباهظة التى تفرضها حكومة الحمر على جميع الرجال العزاب



وكان هؤلاء الاخوة مثال الضيافة والكرم فقضيت معهم بضعة ايام استرحت فيها من عناء رحلتى المتعبة ورويت لهم قصتى بعد ان حذفت منها كل مايتعلق بدنيا ثوريس وبالعجوز مدير مصنع الجو . وعندئذ نصحونى ان اطلى جسمى بلون يشبه لونهم ثم اذهب فأنشد لنفسى عملا فى زودنجا سواء فى الجيش او الاسطول بعد ان ازعم انى من جنسهم . واعقبوا على ذلك قائلين :

ــ لا تعتقد ان قصتك سيصدقها احد الا بعد ان تثبت اهليتك للثقة وتكسب أصدقاء بين نبلاء البلاط . ووسيلتك الوحيدة الى ذلك التفوق فى الخدمة العسكرية. فاننا نحن اهل البرسوم نحتفظ باعظم تقدير واكبر مكانة للمحارب البارع

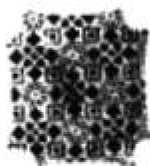
ولما تأهبت للرحيل جهزونى بدابة مستأنسة يستعملها الحمر فى الركوب ، وحجمها اقرب الى حجم الحصان الارضى . وهادئة الطبع

وزودنى الاخوة ايضا بزيت أحمر اللون دهنت به جسمى كله .

ثم قص واحد منهم شعر راسى الذى طال كثيرا . وجعله على شكل زينة الراس بين اهل زودانجا . فبدوت للعين كانى مريخى احمر اصيل . والبسونى اوسمة الحرب التى يعرفها اهل زودانجا ، واعطونى معلومات عن عشيرتهم كى ادعى الانتساب اليها . وكانت تسمى عشيرة بتور . فوعيت هذه المعلومات جيدا

وملأوا لى حقيبة بالنقود الزودانجية . وهى نقود معدنية بيضاوية الشكل . اما النقود الورقية فيصدرها الافراد وتعتبر سندات عليهم . فان عجزوا عن الوفاء بها فى نهاية السنة اعتبرتهم الحكومة عاجزين وقامت عنهم بسداد الدين . ثم استخدمتهم للعمل فى المزارع والمناجم الى ان يستوفوا ما عليهم من الديون

ووعدتهم ان احفظ دينهم هذا واتعهد بالوفاء به بمجرد ان تساعدنى الظروف . ثم اقراتهم السلام ورحلت مع وولا



الفصل الخامس عشر

عجيب

وفى خلال رحلتى نحو زودانجا استوقفت نظرى مناظر كثيرة وغريبة . وفى بضعة البيوت الزراعية التى وقفت بها فى رحلتى تعلمت اشياء كثيرة عن عادات أهل المريخ ووسائل معاشهم

تعلمت مثلا أن الماء الذى تحتاج اليه مزارع المريخ يجمع فى خزانات ضخمة تحت الارض فى القطبين الشمالى والجنوبى من ذوبان الثلوج هناك . ثم يوزع هذا الماء فى أنابيب طويلة تحت أرض المريخ الى مختلف المناطق المأهولة والمزروعة

والمناطق المزروعة مقسمة الى مساحات متماثلة فى المساحة تقريبا . وكل قطعة منها يتولى الاشراف عليها ضابط رسمى أو اكثر

وبدلا من اغراق وجه الحقول بالماء . وبذلك يضيع الكثير منه بالتبخير . والماء نادر عزيز . رأيتهم يحملون الماء فى نابيب صغيرة جدا تمر بالارض تحت جذور النبات مباشرة ثم تفتح مسام الانابيب لتغذى الجذور بالقدر اللازم من الماء بالضبط

ولاحظت أيضا أن المحصولات فى المريخ متناسقة . فليس هناك أمطار ولا رياح شديدة ولا ندوات ولا آفات ولا حشرات ولا عصافير تستهلك المحصولات

وامضيت فى هذه الرحلة وقتا سعيدا . واكلت اللحم لأول مرة منذ غادرت سطح الارض . تذوقته على شكل شرائح واضلاع شهية من الحـ انات المستأنسة الجيدة العلف التى تربى فى المزارع .

ـت أيضا باكل فواكه لذيذة وخضروات . ولكنى لم أجد مذاقا واحد شبيها بالضبط بطعام الارض . فكل نبات وزهرة

وخضر وحيوان نتيجة أجيال من التربية العلمية والعناية الدقيقة وتحسين النوع المستمر · حتى ان ما يشبه هذه الاشياء في النوع على وجه الارض يبدو هزيلا تافها همجيا لا يقارن بهذه المنتجات الراقية

وفي مزرعة أخرى من المزارع التي وقفت بها في رحلتي التقيت بأشخاص مثقفين جدا من أفراد الطبقة النبيلة · وأثناء حديثي معهم جنح بنا الكلام الى الهليوم · فقال أحد المتقدمين منهم في السن انه كان في الهليوم منذ بضع سنوات عضوا في بعثة دبلوماسية ، وأبدى أسفه للظروف الشاذة التي تجعل حالة الحرب قائمة بين زودانجا والهليوم !

ـ ان الهليوم يفخرون بحق لأن نساءهم أجمل نساء المريخ · ولا شك أن أثمن جوهرة بين كنوز جمال نسائهم هي ابنة مورس كاياك الرائعة المسماة دياثوريس · والشعب هناك يعبد الارض التي تمشى فوقها · ومنذ فقدت في تلك الحملة المشئومة وأهل الهليوم كلهم يرتدون الحداد عليها · ولا شك أن هجوم حاكمنا على أسطولهم وهو عائد الى الهليوم معطوبا يعتبر سقطة من سقطاته الفظيعة التي تحتم على زودانجا عاجلا أو آجلا في التفكير في اختيار حاكم أحكم منه لزعامتنا · وحتى في الوقت الحاضر وجيوشنا الظافرة تحاصر الهليوم، نجد شعب زودانجا يعبر عن استيائه من تلك الحرب ، لانها حرب غير قائمة على أساس من الحق والعدل · وقواتنا في الواقع انتهزت بنذالة فرصة غياب أسطول الهليوم الاساسي للتنقيب عن الاميرة المفقودة · مما جعل انتصارنا سهلا هزيلا · ويقال ان العاصمة ستسقط خلال الايام القليلة المقبلة ·

ولما سكت الدبلوماسي العجوز سألته :

ـ وماذا تظن انه حدث لتلك الاميرة دياثوريس ؟

ـ ماتت · فنحن نعلم هذا من محارب من الخضر سقط في يد قواتنا في الجنوب ، فالاميرة هربت من عشائر التاركان مع مخلوق غريب من عالم آخر ثم سقطت بين أيدي الوارهون · ووجدت مطيتاهما تتجولان في قاع البحر الجاف ثم وجدت آثار معركة دموية بالقرب من ذلك الموضع

ولم تقع مني هذه الاخبار المؤسفة موقع الاقناع بوفاة دياثوريس·

ولذا قررت أن أبذل كل جهدى للوصول الى هليـوم بأسرع وقت وارفع الى جدها العاهل الاعظم كل معلوماتى عن حفيدته

وبعد عشرة أيام من السفر وصلت الى زودانجا • وكنت قدلاحظت منذ اختلطت بالحمر أن وولا يلفت الى الانظار بصورة غيرمستحبة • لان المسكين من سلالة ضخمة لم يكن من عادة الحمـر أن يستأنسوها • فكأننى حين أسير به بين الحمر رجل يسير فى شوارع نيويورك ووراءه أسد أو ذئب

وكان على أن أفكر فى فراق هذا الصديق المخلص • ولكن فراقه كان يسبب لى آلاما شـديدة وأسفا عميقا • فقررت أن أرجىء ذلك الى أن نصل الى أبواب المدينة ، فلما وصلت الى هناك أصبح من المحتم على أن أفارقه • ولو أن المسألة تتعلق بلذتى الشخصية أو راحتى أو أمنى لما فكرت فى فراق الشخص الوحيد الذى أحبنى على وجه المريخ وأخلص لى • ولكن المسألة تتعلق بتلك التى أبذل حياتى فداء لها • ويجب أن أصل الى جدها عسى أن أساعده فى العثور عليها • فليس فى وسعى أن أسمح لحياة وولا أن تحول دون هذه الغاية

ولهذا كله ودعت الحيوان المسكين ووعدته أن أحاول استرداده فيما بعد متى أمكننى ذلك • ثم أمرته أن يعود الى مدينة تارك • وأدرت له ظهرى واقتربت من أسوار مدينة زودانجا

وكفل لى خطاب الأخوة الثلاثة الدخول بسلام الى تلك المدينـة الكبيرة • وكان الوقت لا يزال مبكرا والشوارع خالية تقريبـا • والمساكن مرتفعة فوق أعمدتها المعدنية العالية • وكأنها أبراج حمام ضخمة

وكانت القاعدة لديهم ألا ترفع الحوانيت عن الارض ولا تقفل أبوابهـا فالسرقة شىء لاوجود له على وجه المريخ أما القتل فهوالعملة الشائعة • والخطر الاكبر • ولهذا كانوا يحصنون بيوتهم ولا يحصنون متاجرهم من الاعداء

وكان الأخوة بتور قد أوضحوا لى أين أجد السكن المريح ومصالح الحكومة حيث الموظفون الذين حملونى خطابات التوصية اليهم • فذهبت الى الميدان الرئيسى الذى يعتبر من العلامات المميزة لجميع مدن المريخ

وميدان زودانجا الرئيسى مسـاحته نحو ميل مربع • وتحف به

بيوت العاهل الاكبر وعواهل العشائر وأفراد الطبقة النبيلة في زودانجا • وكذلك الابنية العامة الرئيسية والمقاهي والحوانيت

وبينما انا أعبر الميدان الكبير وأنا غارق في العجب والاعجاب بالمباني الفخمة والاشجار الضخمة ، رأيت مريخيا أحمر يندفع فجأة نحوى من أحد الشوارع الواسعة • ولكن الرجل مر بجوارى من غير أن يعيرني أدنى انتباه • بيد انه حين صار بجوارى عرفته على الفور ، فوضعت يمناى على كتفه الأيسر وهتفت به :

ـ سلاما يا كانتوس كان !

وبسرعة البرق دار حول نفسه ووجدت سنان سيفه الطويل عند صدرى وهو يزمجر قائلا :

ـ من أنت ؟

فتراجعت الى الوراء بقفزة حملتني بعيدا عنه وعن سيفه نحو خمسين قدما ، فانفجر ضاحكا وهو ينزل سيفه الى الارض وصاح :

ـ لست بحاجة الى جواب أوضح من ذلك • فليس على وجه المريخ كله سوى رجل واحد يمكن أن ينط هكذا ككرة من المطاط • ولكن وحق القمر الاكبر يا جون كارتر كيف جئت الى هنا • وكيف غيرت جلدك ؟ انك أفزعتني أيها الصديق والآن حدثني

فحكيت له كل شيء منذ افترقنا في ساحة الالعاب الكبرى في وارهورن • فلما فرغت قال لى :

ـ لا تؤاخذني يا صديقي • فلو أن أهل زودانجا عرفوا اسمي وانني من ضباط الهليوم لاعدموني على الفور • فأنا هنا في مهمة كلفني بها عاهلنا الاكبر جد أميرتنا ديا ثوريس ، للبحث عنها • فان أمير زودانجا سابتان يخفيها في هذه المدينة وقد جن غراما بها • ووالد الأمير تان كوزيس عاهل زودانجا الاعظم مصر على أن يكون زواج الاميرة من ابنه هو ثمن عقد الصلح بين الدولتين • ولكن جدها لم يقبل هذه المطالب وأرسل يقول انه يفضل الهلاك هو وشعبه جميعا ، أو هلاك الاميرة ، على أن تتزوج الا من الشخص الذى تختاره • وانه شخصيا يفضل الموت على مصاهرة بيته لبيت تان كوزيس • فكان رده هذا أعظم اهانة يمكن أن تلحق تان كوزيس وأهل زودانجا ، أما في هليوم فقد أعجب الشعب كثيرا بهذه الشجاعة والأنفة ، وأصبح

موقف الملك في هليوم اليوم أمتن من أي وقت مضى · وقد لبثت هنا ثلاثة ايام في مهمتي السرية ولكني لم أوفق حتى الآن لمعرفة المكان الذي حبست فيه ديا توريس. واليوم سأنضم الى الاسطول الزودانجي بوظيفة كشاف جوي · وفي مرجوي بهذه الوسيلة أن أكسب ثقة سابتان الامير الذي يرأس هذا القسم من الاسطول ، عسى أن أصل بهذه الطريقة الى معرفة مكان الاميرة ديا توريس ·واني سعيدلوجودك هنا يا جون كارتر · لأني أعرف اخلاصك لأميرتي · واذا عملنا معا سوف نتمكن من تحقيق الشيء الكثير

وكان الميدان في تلك اللحظة قد بدأ يمتلىء بالناس غادين ورائحين في مهامهم اليومية المألوفة · وبدأت الحوانيت والمقاهي تمتلىء بالزبائن · فقادني كانتوس كان الى مطعم فخم ، حيث قامت بخدمتنا أجهزة آلية على أتم وجه · ولم يمس الطعام الذي قدم الينا يد منذ أن دخلت مادته الخام المطعم الى أن دخل بطوننا حارا لذيذا استجابة للضغط على أزرار تحدد مطلوباتنا

وبعد أن فرغنا من الطعام أخذني كانتوس كان معه الى مقر قيادة الكشافة الجوية وقدمني الى رئيسه والتمس ادراج اسمي عضوا في كتيبته · وبطبيعة الحال كان لابد من فحص وامتحان · ولكن كانتوس كان طمأنني أنه سيتعهد بكل شيء · وفعلا أخذ أمر الامتحان الى الضابط المختص وقدم نفسه اليه باعتباره جون كارتر · وقال لي بمرح :

ـ سيكتشفون طبعا هذه الخدعة فيما بعد ولكن ستكون قد انقضت بضعة شهور على تعيينك وتكون مهمتنا قد انتهت على كل حال اما بالنجاح أو الفشل

وقضيت الايام القليلة التالية مع كانتوس كان في تعلم فنون الطيران والآلات الدقيقة التي يستخدمها أهل المريخ لذلك الغرض · وهيكل الطيارة التي تتسع لطيار واحد طوله نحو ستة عشر قدما وعرضه قدمان · ويجلس الطيار فوق طيارته على مقعد مقام فوق آلة صامتة تدار بالراديوم · وتستخدم الشعاع المريخي الثامن الذي نجهله نحن في الارض كما نجهل الشعاع التاسع · وعن طريق هذا الشعاع حذق أهل المريخ صناعة الطيران الى حد بعيد جدا رغم خفة هواء المريخ المتناهية وثقل سفنهم الجوية

وفى المدة الاولى من اكتشاف ذلك الشعاع الثامن وتسخيره للطيران حدثت أمور غريبة . فلم يتمكن أهل المريخ من اســترجاع سفنهم الجوية الاولى بل ارتفعت فى الهواء عشرة آلاف ميل وظلت تدور حول المريخ منذ مئات السنين . وستظل كذلك الى الأبد

وفى اليوم الرابع من وصولى الى زودانجا طرت لاول مرة بنجاح . وحصلت على ترقية من اهم مزاياها حق الاقامة فى جناح صغير بقصر الملك تان كوزيس

ولما حلقت فوق المدينة درت بضعة مرات كما رأيت كانتوس كان يفعل . ثم أطلقت لطيارتى اقصى سرعتها نحو الجنوب متتبعـا النهر الجاف لمدة ساعة قطعت فيها أكثر من مائتى ميل . وعنـــدئذ رأيت تحتى ثلاثة محاربين خضر يجرون بجنون نحوشخص يسير على قدميه يحاول الوصول الى أحد الحقول المسورة . فوجهت طيـــارتى اليهم ودرت وراءهم فعرفت ان الذى يطاردونه مريخى أحمر يرتدى علامات الكشافة الجوية التى أنتمى اليها . وعلى مسافة قليلة منه آلاته التى كان بلا شك يستخدمها فى اصلاح عطب طائرته حينما فاجأه الخضر الثلاثة . وها هم الآن كادوا يصلون اليه ودوابهم تكاد تظفر بالمسكين . وقد شرعوا رماحهم . وبعد لحظة واحــــدة ينتهى أمره ، فأخرجت مسدسى وقتلت أحدهم وأنا أنقض بطيارتى فوقه . ففزعت الدابتان اللتان تحت الاثنين الآخرين وجمحتا فى الاتجاه المضاد

ودرت بطـائرتى عدة مرات ثم هبطت بجوار الزودانجى المتعجب لهذه النجدة . وكان هذا الزودانجى الذى انقذت حياته ابن عم العاهل الاعظم والد الامير الذى خطف ديا ثوريس . ووعدنى بمكافأة جزيلة

ولم نضيع وقتنا فى الكلام لعلمنا ان الخضر سيعودون بعد السيطرة على دوابهم . وانهمكنا فى اصلاح طائرته المعطوبة . وأوشكنا أن نفرغ من ذلك عندما رأينا المحاربين الاخضرين يعودان بأقصى سرعة . ولما اقتربا مسافة مائة خطوة بدأت الدابتان فى الحران من جديد ورفضتا الاقتراب من الطائرة التى افزعتهما . وأخيرا ترجـلا وتقدما منـــا شاهرين سيفاهما الطويلين ، فتقدمت من أضخمهما وقضيت عليه بلا عناء . وقد أصبح الفتك بهذا الجنس مسألة روتين عنـــدى . ثم أسرعت لمساعدة الامير الذى وجدته والحق يقال فى حالة يرثى لها .

فهو جريح ملقى على الارض وقدم خصمه فوق رقبته وقد رفع سيفه ليجهز عليه

وبقفزة واحدة اجتزت الخمسين خطوة التي تفصلني عنه وقدمددت سيفي أمامي فاخترقت به صدر ذلك الاخضر الملعون · وسقط سيفه من يده ثم وقعت جثته فوق الامير الزودانجي

وفحصت الامير فوجدت اصابته غير قاتلة · وبعد برهة من الراحة أبدى لي استطاعته العـــودة · وكان لابد أن يركب طائرته ويقودها بنفسه · لان ذلك النوع الخفيف من الطائرات لا يحمل الا شخصـــا واحدا

وعندما اقتربنا من المدينة اكتشفنا مظاهرة من المدنيين والقوات المسلحة في السهل الممتد أمام المدينة · وقد اكتظت السماء بالسفن الجوية والطيارات الخاصة وقد تدلت منها اشرطة حريرية بهيجة الالوان وأعلام ولافتات غريبة

وأشار لي زميلي بالابطاء ثم اقترب بطائرته مني واقترح أن نشاهد هذا الاحتفال الذي قال لي عنه أنه لتكريم ضباط أظهرواشجاعة نادرة أو قاموا بخدمات ممتازة · ثم علق على طيارته علامة تدل على أنه من أعضاء الأسرة المالكة · ثم شققنا طريقنا بين الطيارات الاخرى الى أن صرنا فوق عاهل زودانجا الاكبر وحاشيته تماما

وكان الجميع ممتطين صهوات الدواب المستأنسة التي يربيها الحمر وكان الأخوة بتور قد أعطوني دابة منها قطعت عليها رحلتي ·وكانت دواب الأسرة المالكة مزينة بالريش وكذلك رؤوس الامراء حتى خلتهم قبيلة من الهنود الحمر في بلادنا الارضية

ولفت أحـــد رجال الحاشية نظر تان كوزيس الى وجـود ابن عمه رفيقي فأشار اليه ان يهبط ، ثم تحدث اليه مليا · وبعد ذلك رأيت الجميع ينظرون نحوى

وبطبيعة الحال لم أسمع حديثهم · الذى توقف بعد قليـــل · ثم رأيتهم جميعا يترجلون عن دوابهم ثم اصطفت القوات في مواضعها أمام امبراطورهم وتقدم أحدرجال الحاشية أو أركان الحرب من الصفوف ونادى اسم جندى وأمره أن يتقدم · ثم تلا على الجيش قائمة الاعمال المجيدة التي ظفرت لهذا الجندى بعطف الامبراطور · ثم تقدم جلالته ووضع نيشانا معدنيا فوق الذراع الايسر للجندى المحظوظ

وتم على هذه الوتيرة الانعام على عشرة جنود ثم نادى ياور الامبراطور بأعلى صوته قائلا :

ـ جون كارتر ٠ كشاف جوى !

وبلغت منى الدهشة مبلغها ، ولكن النظام العسكرى يجرى فى عروقى مجرى الدماء فهبطت بطائرتى الخفيفة على الارض وتقدمت على قدمى كما رأيت الجنود الآخرين يفعلون٠ ولما وقفت أمام الياور خاطبنى بصوت يسمعه جميع أفراد القوات والمشاهدين

ـ اعترافا بشجاعتك العظيمة يا جون كارتر وبراعتك فى الدفاع عن شخص ابن عم امبراطورنا تان كوزيس ، بحيث صرعت بمفردك ثلاثة من المحاربين الخضر ، رأت مكارم امبراطورنا الانعام عليك بما يدل على ذلك الاغتباط والتقدير

وعندئذ تقدم تان كوزيس نحوى وثبت الوسام قائلا :

ـ ان ابن عمى سرد لى تفاصيل عملك الباهر الذى يكاد يعتبر اعجازا ، واذا كنت بهذه البراعة عرفت كيف تدافع عن شخص ابن عم الامبراطور ٠ فما أحراك أن تبرز فى الدفاع عن شخص الامبراطور نفسه ٠ لهذا اقتضت ارادتنا تعيينك ملازما فى الحرس الامبراطورى٠ وستكون اقامتك منذ الآن فى قصرنا

فشكرت جلالته وانضممت الى الحاشية ٠ وبعد انتهاء الحفل أعدت طيارتى الى سطح بناية الكشافة الجوية ٠ ثم توجهت لمقابلة الضابط صاحب النوبة فى القصر الملكى وسلمت نفسى اليه



الفصل السادس عشر

العثور على دياثوريس

وكان الضابط المنوب تلقى تعليمات بأن أكون دائما بالقرب من شخص الامبراطور الذى يتعرض فى زمن الحرب لخطر الاغتيال • لان أخلاق أهل المريخ تبيح زمن الحرب كل وسيلة حتى الاغتيال

ونهض الضابط وصحبنى على الفور الى جناح تان كوزيس• ووجدت الامبراطور مشغولا بالحديث الى ولده سابثان ونفر آخر من رجال البلاط فلم يلحظ دخولى • وكانت جدران الجناح مزينة بالطنافس والستائر التى تحجب الابواب والنوافذ • ومضاءة بأشعة الشمس المخزونة بين جدران السقف الزجاجى السميك

وأزاح الضابط احدى الستائر جانبا فكشف لى عن ممر يحيط بالحجرة فيما بين الستائر والبناء • وعلى أن أقيم فى هذا الممر الدائرى طالما ظل تان كوزيس فى الحجرة • حتى اذا غادرها تبعته • فان واجبى الأوحد أن أحرس الامبراطور من غير أن يرانى بقدر الامكان ومدة نوبتى فى الحراسة أربع ساعات

وكانت الستائر من مادة غريبة • تبدو سميكة من داخل الحجرة• ولكنها من مكانى شفافة • ترينى كل ما يدور فى الحجرة • كأنه لا وجود للستارة اطلاقا !

وبمجرد دخولى وراء الستارة وانصراف الضابط رأيت الستارة التى فى الجانب الآخر من الحجرة تنفرج ويدخل منها أربعة من جنود الحرس يحيطون بأنثى• فلما اقتربوا من تان كوزيس تراجع الجنود• فاذا على بعد عشرة أقدام منى وجه ديا ثوريس المشرق الباسم

وتقدم سابثان أمير زودانجا لاستقبالها • ثم اقتربا وقد تشابكت

يداهما من الامبراطور فنهض تان كوزيس وحياها قائلا :

ـ ما الدافع لأميرة هليوم الى زيارتي اليـوم ٠ وهي التي جرحت كبريائي منذ يومين فقط بتقريرها انها تفضل هاجوس الاخضر على ابني ؟

فابتسمت ديا توريس ثم ظهرت النونتان تتلاعبان على خـديها وقالت :

ـ منذ بداية الحياة على وجه البرسوم ومن امتيازات المرأة أن تغير رأيها ما شاءت فيما يخص عواطفها ٠ ولا شـك يا تان كوزيس انك ستغفر لي هذا كما غفره ابنك ٠ فمنذ يومين لم أكن واثقة من حبه لي ولكني واثقة من ذلك الآن ٠ وقد جئت اليـوم ألتمس منك أن تنسى كلماتي الطائشة وتقبل تأكيد أميرة هليوم انها عنـدما يحين الوقت سوف تتزوج سابثان أمير زوادنجا

ـ يسرني انك وصلت الى هذا القرار ٠ فلست راغبا في الاستمرار في حرب شعب الهليوم ٠ وقد قررت اذاعة بيان على شعبي يتضمن وعدك هذا فورا

ـ كان من الخير يا تان كوزيس أن تؤجل اذاعة بيانك الى ما بعد انتهاء هذه الحرب ٠ فانه سيبدو مستغربا في نظر شعبي وشعبك على السواء أن تمنح أميرة هليوم نفسها لعدو وطنها في فترة الحرب

فقال سابثان لأبيه :

ـ أليس من الممكن انهاء حالة الحرب فورا ؟ ان كلمة واحدة من تان كوزيس كافية كي يسود السلام ٠ فقلهـا يا أبي ٠ قل الكلمة التي ستعجل بسعادتي وتضع حدا لهذا النزاع البغيض عند الناس

ـ سنرى كيف يتلقى أهل هليوم أنباء السلام ٠ فسوف أعـرض عليهم الصلح رسميا



وبعد بضع كلمات خرجت ديا توريس يتبعها حراسها الاربعة ٠ وهكذا تحطم بناء أحلامي فوق صخرة الواقع ٠ فالمرأة التي قدمت في سبيلها حياتي ٠ والتي سمعت من شفتيها منذ مدة وجيزة اعترافها بحبي نسيت بكل خفة وجودي ومنحت راضية نفسها لابن الد أعداء شعبها

ومع انى سمعت بأذنى ورأيت بعينى لم أستطع ان أصدق المسألة فلابد أن أذهب الى جناحها وأرغمها على اعادة كلماتها على سمعى وحدى قبل ان أقتنع . وهكذا غادرت مكان الحراسة وأسرعت فى الممر نحو الباب الذى غادرت منه الحجرة . وهناك وجدت تيها من الدهاليز المتفرعة فى جميع الاتجاهات . فجريت فى هذا الاتجاه ثم ذاك الى أن ضللت تماما ووقفت مستندا على أحد الجدران فى يأس ، واذا بى أسمع حديثا من الجانب الآخر من الجدار وميزت صوت ديا ثوريس . مع انى لم أميز الالفاظ

وخطوت بضع خطوات الى أن اكتشفت دهليزا آخر فى نهايته باب. وفتحت الباب بجسارة فوجدت نفسى فى حجرة صغيرة بها الحراس الاربعة الذين كانوا فى صحبتها . ووقف أحدهم على الفور وسألنى عن مرادى

ـ أنا رسول تان كوزيس . ومكلف بالتحدث على انفراد الى ديا ثوريس أميرة هليوم

ـ وأين الأمر ؟

فلم أفهم ماذا يعنى . ولكنى اجبته انى ضابط فى الحرس الامبراطورى . واتجهت من غير أن أنتظر جوابه الى باب الحجرة التى بها ديا ثوريس والتى كنت أسمع منها صوت كلامها . ولكن دخولى لم يكن يسيرا الى هذا الحد . لان الحارس تبعنى ثم وقف فى طريقى قائلا :

ـ لا أحد يأتى من قبل تان كوزيس من غير أمر كتابى أو كلمة مرور . فيجب أن تعطينى هذا أو ذاك قبل أن تمر من الباب

ـ ان الأمر الوحيد الذى أحتاج اليه يا صديقى كى أدخل حيث أشاء تراه معلقا فى جانبى . فهل ستتركنى أمر بسلام أم لا ؟

ووضعت يدى على مقبض السيف الطويل . فكان جوابه أن شهر سيفه داعيا الثلاثة الآخرين للانضمام اليه . وهكذا وجدت أربعة سيوف تسد طريقى . وقال الجندى :

ـ انك لست هنا بأمر من تان كوزيس . ولهذا ستساق اليه الآن تحت الحراسة لتقديم حساب عن جسارتك الشائنة . سلم سيفك فلا أمل لك فى التغلب على أربعتنا

فكان جوابي عليه ضربة سريعة اختصرت خصومي الى ثلاثة واؤكد لكم انهم كانوا جديرين بسيفي لانهم أرغموني على التراجع الى ركن الحجرة والدفاع عن حياتي . وهناك لم يستطيعوا التقدم نحوى جملة بل واحدا واحدا بسبب ضيق الركن وبهذا استمرت المبارزة عشرين دقيقة . ولفت صليل السيوف انتباه ديا توريس فخرجت من حجرتها ووقفت بجوارها سولا . وادركت أنهما لم تعرفاني بلوني الجديد وقد أخذتا تشاهدان المعركة بهدوء

وأخيرا وفقت في قتل جندي آخر . أما الثالث فاستعملت طريقة القفز العالي وقتلته في عشر ثوان والرابع سقط صريعا بعد لحظات

لقد كانوا رجالا شجعان ومحاربين شرفاء . وأسفت كثيرا لقتلهم ولكني كنت مستعدا لابادة جميع أهل المريخ في سبيل الوصول الى اميرتي ديا توريس ما لم تكن هناك وسيلة أخرى لذلك

وأغمدت سيفي الدامي ثم تقدمت نحو الأميرة التي وقفت تحملق في من غير أن تعرفني ثم همست :

ـ من أنت أيها الزودانجي ؟ أعدو آخر جاء يستغل تعاستي ؟

ـ بل صديق . أو من كان يوما ما صديقا عزيزا

ـ ليس لأميرة هليوم صديق يرتدى هـذا الشعار الزودانجي . ولكن صوتك مألوف لي . سمعته من قبل ، ومع هذا ... مستحيل ، فهو قد مات

ـ ومع هذا يا أميرتي فهو ليس سوى جون كارتر . ألا تعرفينني يا أميرتي لمجرد تغيير أوسمتي ولون بشرتي ؟ ألا يدلك قلبك على قائدك ؟

فبسطت الى يديها . فلما تقدمت لاحتويها في أحضاني تراجعت مرتعدة وتأوهت في ألم وقالت :

ـ فات الاوان ، فات الاوان يا قائدي . لقد ظننتك قتلت . آه لو جئت قبل هذه اللحظة بساعة واحدة . أما الآن ففات الاوان

ـ ماذا تعنين يا ديا توريس ؟ أتعنين انك ما كنت لتمنحى يدك أو وعدك لامير زودانجا لو كنت تعلمين انني على قيد الحياة ؟

ـ أتظن يا جون كارتر اني كنت مانحة قلبي لك بالأمس ولسواك اليوم ؟ لقد ظننت ان قلبي دفن معك في مجاهل وارهون ، ولهـذا وعدت اليوم بمنح جسدى لرجل آخر كي أنقذ شعبي من ذل الهزيمة أمام جيوش زودانجا الظافرة



« فبسطت الي يديها ، فلما تقدمت لاحتويها في احضاني تراجعت مرتعدة »

ـ ولكني لم أمت يا أميرتي . وها قد جئت لاطـــالب بك . ولن تستطيع زودانجا كلها ان تحول بيني وبينك

ـ فات الاوان يا جون كارتر . لقد وعدت . والوعد في البرسوم نهائي لا يمكن العدول عنه.أما المراسم التي تؤدي بعد ذلك فشكليات لا معنى لها . انها لا تزيد من قيمة الزواج الذي يتحقق بالوعد فعلا الا كما تزيد مواكب الجنازة من حقيقة الموت اني الآن امرأة متزوجة يا جون كارتر . وليس لك الآن أن تناديني أميرتك . ولست الآن قائدي

ـ أنا لا أعرف الا القليل عن تقاليدكم هنا يا ديا ثوريس . ولكني أعرف حقيقة لا شك فيها ، وهي اني أحبـــك . فان كنت تعنين حقا آخر كلمة قلتها لي في ذلك اليوم حينما هاجمنـــا جنود الوارهون ، فليس من حق أي رجل آخر أن يزعمك بعد ذلك الوعد النهـائي لي عروسا له ويطالبك بتنفيذ وعد صدر منك بعد وعدك لي . انك كنت صادقة يا اميرتي في ذلك اليوم وما زلت جادة فيما قلت

فهمست قائلة :

ـ كنت جادة يا جون كارتر . ولكني لا أســتطيع أن أكرر ذلك الذي قلته لانني منحت نفسي الآن لرجل آخر . ولو انك يا صديقي كنت تعرف عاداتنا لكان الوعد قد صدر اليك حقا منذ شهور .ولكان من حقك أن تطالب بي قبل جميع الناس . وربما ترتب عـــلى ذلك سقوط هليوم . ولكني كنت مستعدة أن أنزل عن امبراطوريتي في سبيل قائدي . أتتذكر تلك الليلة التي اهنتني فيها ؟ لقد ناديتني بأميرتك من غير أن تكون قد طلبت مني يدي . ثم أخذت تفاخر بأنك قاتلت من أجلي . انك لم تكن تدري . وما كان لي أن أغضب منك . فلم يخبرك أحد انه على كوكبنا صنفان من النساء في مدن الحمر . صنف يقاتل الرجال حتى يستطيعوا أن يطلبوا اليهن الزواج .وصنف آخر يقاتل الرجال في سبيله أيضا ولكن ليس لهم مطلقا ن يطلبـــوا أيديهن . وحين يكسب الرجل امرأة في القتال له أن يناديها ياأميرتي او باي لفظ آخر يدل على الملكية . وأنت حين قاتلت في ســـبيلي لم تطلب مني ان أتزوجك . فلما ناديتني يا أمـــيرتي تألمت وغضبت . ولكني مع ذلك يا جون كارتر لم أكرهك كما كان ينبغي . الى ان زدت الطين بلة لما مننت علي بأنك كسبتني في المبارزة

فصحت بها :

ـ انا لا اطلب منك الصفح الآن يا ديا ثوريس • فقد كان خطئي لجهلي بعادات أهل هـذا الكوكب • وأنا لم أمتنـــع عن طلب يدك الا اعتقادا مني أن هذا الطلب لن يجد عندك قبولا • ولكني الآن يا ديا ثوريس أطلب منك أن تكوني زوجتي • وأقسم بدمي الفرجيني الذي يثور الآن في عروقي انك ستكونين زوجتي

فصاحت في يأس :

ـ كلا يا جون كارتر ، لا جدوى من هذا ، لن أستطيع أن أكون لك ما دام سابثان حيا

ـ انك بهذا قد وقعت وثيقة اعدامه يا أميرتي •• فليمت سابثان

فصاحت على عجل موضحة :

ـ ولا هذا أيضا • فلا ينبغي أن أتزوج الرجـل الذي يقتل زوجي ولو دفاعا عن النفس • انها التقاليد • والتقاليـد هي التي تسودنا وتتحكم فينا في المريخ • لا فائدة يا صديقي • ويجب أن تتحمـــل الأسى كما أتحمله • فالأسى على الاقل سيربط بيننا برباط مشترك كما تربط بيننا ذكريات الايام التي قضيناها بين التاركان • والآن يجب أن تذهب فلا أراك بعـد ذلك • وداعا يا قائدي ••• بحكم ما كان •••

وانسحبت متداعيا حسيرا ، ولكني لم أكن يائسا • وبينما أنا أجوس خلال الدهاليز ضللت سبيلي مرة أخـــرى ، وكنت أعلم أن فرصتي الوحيدة هي الفرار من مدينة زودانجا ، لاتحاشى تقديم حساب عن مصرع الحراس الاربعة ، فلا شك ان غيابي عن موضع حراستي وعدم استطاعتي العودة اليه الا بدليل أو مرشـد سيلقي التهمة على راسي بمجرد العثور على ضالا في دهاليز القصر

ووجدت في طريقي سلما يؤدي الى طابق سفلي ، فهبطت فيه جملة طوابق الى أن وجدت نفسي عند باب حجرة كبيرة بها جملة حراس ، وكانت جدران تلك الحجرة مزودة بستائر شفافة من أحد الجانبين دون الآخر ، فتواريت وراءها من غير أن يراني أحد

وكانت أحاديث الحراس في موضوعات عامة لا تهمني الى أن دخل أحد الضباط وأمر أربعة منهم أن يذهبوا للحلول محل الاربعة الذين

يحرسون أميرة هليوم · فادركت أن متاعبي ستبدأ ··

ولم يطل الوقت حتى عاد أحد الحراس صائحا انهم وجدوا رفاقهم مذبوحين وعلى الفور دبت الحركة في القصر كله ، من الحراس الى الخدم الى رجال الحاشية الى العبيد ·· والكل يجوبون كل موضع للبحث عن آثار القاتل أو القتلة

وكانت هذه فرصتي للهرب ، فتتبعت شرذمة من الجنـــود كانت تجرى أمامى ، وسرعان ما وجدت نفسى فى ضوء النهار الذى ينبعث من النوافذ الكبيرة ، فتركت الجنود ، وقفزت من النـــافذة الى شرفة عريضة تطل على الحديقة من ارتفاع ثلاثين قدما · وعلى مسافة مثلها حائط من الزجاج السميك ارتفاعه عشرون قدما · ولكنى وجـــدت الحديقة غاصة بالناس ، فقررت التوارى الى حلول الظلام . . .

وبحثت عن مخبأ ، فوجدت حلية معلقة من السقف عـلى الحائط ، على ارتفاع عشرة أقدام من الارض ، على شكل زهرية ضخمة ، فقفزت ودخلت فيها · وما أن فعلت حتى سمعت أشخاصا يدخلون الحجرة ، وكانوا يتكلمون بصوت عال على النحو التالى :

ـ انها فعلة الهليوميين

ـ أجل يا جلالة الامبراطور ، ولكن كيف وصلوا الى القصر ؟ انى قد أفهم أن يفلت من يقظة حراسك عدو واحد فيصـــل الى الحجرات الداخلية للقصر ، ولكن كيف استطاعت الدخول قوة من ستة رجال أو ثمانية ؟ هذا ما أعجز عن تصوره ··· هذا ما سنعرفه الآن على كل حال ، فها هو عالم القصر النفسى قد أقبل

وبعد أن ألقى القادم التحية المألوفة قال :

ـ يا جلالة الامبراطور · انها لقصة غريبـــة تلك التى قرأتها فى جماجم حراسك المخلصين القتلى · لقد صرعوا لا بيد كثرة من الاعداء بل بيد واحد !

ـ ما هذا الذى تقول يا رجل ؟

ـ الحقيقة يا مولاى ! لقد قرأت هذا فى أدمغة الاربعة بوضـــوح ، وكان خصمهم رجلا طويلا جدا ، يرتدى أوسمة حرسك الامبراطورى الخاص ، وبراعته فى القتال خارقة ، لانه هزم الاربعة بفنـــه وقوته البدنية وجلده الفائق ·· ومثله لم يوجد من قبـــل فى جميع بقاع

البرسوم . وقد حاولت أن أقرأ عقل الاميرة ديا توريس، ولكنها كانت مسيطرة على عقلها تماما فلم أستطع ان أقرأ فيه شيئا. وقالت لى أنها شهدت جانبا من القتال ، وانها حين أطلت وجدت رجلا واحدا يقاتل رجلا واحدا من حراسها . وانها لا تعرف ذلك المهاجم ولم تره من قبل

وعندئذ سمعت صوت ابن عم الامبراطور ، صديقي الذى أنقذته يصيح :

- أين منقذ حياتي ؟ أقسم بأجدادى ان هذه الاوصاف تنطبق عليه ، ولاسيما قدرته الفائقة فى القتال

فصاح الامبراطور :

- اين هذا الرجل ؟ احضروه هنا فورا . ماذا تعرف عنه يا ابن العم ؟ لقد بدا لى غريبا جدا أن يظل مثل هذا المحارب مجهولا منا حتى الآن ، لو انه كان من أبناء زودانجا حقا . ثم ان اسم جون كارتر هذا غريب الوقع جدا ولم نسمع بمثله فى البرسوم من قبل

وسرعان ما عاد الرسل يقولون انى اختفيت ولم يعثروا لى على أثر فى مسكنى الجديد ولا فى ثكنات الكشافة الجوية. وقيل له أيضا انهم سألوا عنى كانتوس كان ، فقال انه لا يعرف عن ماضى حياتى شيئا ، سوى انه التقى بى فى مدة أسره فى بلاد وارهون . وعندئذ صاح الملك :

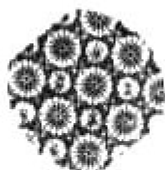
- ارقبوا جيدا ذلك الرجل الآخر كانتوس كان . فهو أيضا غريب، ولا أستبعد أن يكونا قادمين من هليوم. ومتى وضعنا يدنا على أحدهما فقريبا سنضع يدنا على الآخر . راقبوا كانتوس كان خلسة ، وشدوا حراسة الجو ، فلا يخرج أحد من المدينة راكبا أو طائرا الا بعد فحص شديد وتدقيق . وبتصريح منا

ووصل رسول جديد يبلغ الملك انى لم أغادر أسوار القصر ، فقد سجلت أوصاف كل من غادروا القصر ، وليس فيهم أحد تنطبق أوصافه على أوصافى . فقال تان كوزيس بثقة :

- اذن سوف نقبض عليه سريعا . وأما الآن فسنتوجه الى جناح

أميرة هليوم لنستجوبها بنفسنا فى الموضوع . فربماكانت تعلم أكثر مما أفضت به اليك . يا عالمنا النفسى توتان ... هيا بنا

وغادر الجميع القاعة . وكان الظلام قد بدأ يخيـــم فى الخارج ، فأسرعت بالخروج الى الشرفة ، ومن هنـــاك قفزت بخفة الى الحائط الزجاجى الذى سمكه نحو قدم،ومن هناك قفزت الى الشارع الواسع خارج أسوار القصر ...



الفصل السابع عشر

معارك هائلة

ولم اكلف نفسي عناء التخفي بل اسرعت نحو مسكني السابق موقنا انى ساجد كانتوس كان . ولكن لما اقتربت من البناء ترويت قليلا لانى قدرت ان المكان مراقب وكان فعلا هناك من يتسكعون فى شارات مدنية عند المدخل وفى الواجهة الخلفية . وجعلت أفكر كيف اصل الى الطابق العلوى حيث جناحانا . وقررت ان اصل الى هناك عن طريق مبنى مجاور . وبعد مناورات تمكنت من الوصول الى سقف حانوت يبعد عن مسكننا بعدة بيوت

واخذت اقفز من سقف الى سقف الى ان وصلت الى نافذة مفتوحة فى البناء على امل ان اجد الهليومى هناك . وبعد لحظة كنت امامه فى الحجرة وكان وحده ، ولم يظهر الدهشة لحضورى بل قال انه كان يتوقع حضورى قبل ذلك بكثير بما ان نوبة حراستى ينتهى موعدها منذ مدة . فادركت انه يجهل الحوادث التى جرت ذلك اليوم فى القصر . ولما اخبرته بها اظهر اهتماما شديدا . واما انباء وعد دياتوريس بالزواج من سابتان فملأت نفسه غيظا وصاح :

ـ هذا غير ممكن . هذا مستحيل ! ان اى شخص فى هليوم كلها يؤثر الموت على بيع اميرتنا المحبوبة للبيت الحاكم فى زوادانجا . فلا شك فى انها فقدت عقلها ما دامت وافقت على اتفاقية كهذه . وانت طبعا تجهلُ كيف نحب فى هليوم اعضاء بيتنا الحاكم . ولهذا لاتستطيع ان تتصور بشاعة هذه المصاهرة فى نظرنا . والآن ماذا نستطيع ان نفعل ياجون كارتر ؟ فانت رجل ذو حيل . الا تستطيع ان تفكر فى طريقة لانقاذ هليوم من هذا العار ؟

ـ فى استطاعتى ان احلّ مشكلة هليوم اذا امكن ان اجعل سابتان

فى متناول سيفى . ولكنى لاسباب شخصية افضل ان يضرب سواى الضربة التى تنقذ ديالوريس

فرمقنى كانتوس كان بنظرة فاحصة قبل ان يقول :

ــ انت تحبها ! اتعلم هى ذلك ؟

ــ تعلم ذلك يا كانتوس كان . ولا ترفضنى الا لانها وعدت بالزواج من سابثان

فانتفض الرجل قائما وهز كتفى وهو يرفع سيفه الى اعلى صائحا :

ــ ولو ترك لى الاختيار لما اخترت لاولى اميرات البرسوم قرينا افضل منك . ها هى يدى فوق كتفك يا جون كارتر ، وانى اعدك أن يموت سابثان بحد سيفى فى سبيل حبى للهليوم ولديالوريس ولك . وهذه الليلة بالذات سوف احاول ان اصل الى جناحه فى القصر

ــ ولكن كيف ؟ انك تحت المراقبة وهناك دوريات جوية تجوب سماء المدينة

فاطرق براسه متفكرا لحظة ، ثم رفع راسه فى ثقة وقال :

ــ كل ما اطلبه ان افلت من المراقبين . فانا اعرف سرا للدخول الى القصر عن طريق البرج الاعظم . وقد وقعت على ذلك السر ذات يوم وانا أجوب القصر فى نوبة الحراسة . اذ رايت فوق قمة القصر شخصا . وذلك شىء مستبعد لان البرج مهجور . فأسرعت مستريبا واذا بذلك الشخص هو سابثان ولى العهد . واظهر الارتباك وامرنى ان احتفظ بالسر . واخبرنى ان هناك ممرا من البرج يؤدى الى جناحه الخاص مباشرة ولا يعرفه احد سواه . ويستخدم هذا الممر للخروج فى مغامراته الشخصية السرية . فان استطعت ان اصل الى سطح الثكنات واستقل طيارتى الصغيرة ساصل الى جناح سابثان فى خمس دقائق . ولكن المسالة كيف ساستطيع الهرب من هذا البناء وهو موضوع تحت المراقبة المشددة كما تقول ؟

ــ الى اى حد يشددون الحراسة على الطائرات الصغيرة فى الثكنات ؟

ــ هناك فى العادة حارس واحد فى الليل على سطح الثكنات

ــ اذن اذهب الى سطح هذا البناء يا كانتوس كان وانتظرنى هناك

ومن غير ان ازيده بيانا عدت من حيث جئت الى الشـــارع ثم اسرعت الى الثكنات . ولم اجسر ان ادخل البناء وهو غاص بأفراد الكشافة الجوية الذين كانوا طبعا يعرفون المسألة ويبحثون عنى مع الباحثين

وكانت الثكنات بناء ضخما ترتفع واجهته فى الجو الف قدم . وهو من اعلى الابنية فى زودانجا وكانت المسافة طويلة وانا اتسلق واجهة البناء ومحفوفة بالمخاطر . ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة لى . وقد يسرت مهمتى كثرة الزخارف فى ابنية المريخ . وكان الطابق العلوى مضاء وغاصا بالجنود ولهذا لم استطع ان اصل اليه عن طريق البناء . ولكنى تعلقت بزاوية بعيدة وانتهزت لحظة غفلة وقفزت الى السطح . واذا بى اجد فوهة مسدس الحارس موجهة الى . وهو الحارس الوحيد الموجود فوق السطح . وسمعته يصيح بى !

ـ من انت ؟ ومن اين جئت ؟

ـ انا كشاف جوى ايها الصديق

ـ وكيف جئت الى السطح ؟ لم تهبط اى طائرة منذ ساعة

ـ انظر من هنا ايها الديدبان وسترى كيف اوشكت على الموت وانا اصعد الى هنا

فتقدم الديدبان مدفوعا بحب الاستطلاع ونظر حيث اشرت اليه. فدفعته دفعة قوية فسقط فوق كورنيش عريض بارز من البناء . وكنت واثقا ان امره لن يكتشف قبل طلوع النهار

واسرعت الى حظائر الطائرات الصغيرة وبسرعة اخرجت طيارتى وطيارة كانتوس كان . وربطت طيارته خلف طيارتى ثم ادرت آلة طيارتى وطرت متجها الى الشوارع فى مستوى اقل من مستوى الابنية . وفى اقل من دقيقة هبطت سالما فوق سطح مسكننا مما ادهش كانتوس كان للغاية

ولم نضيع وقتا فى الايضاح بل شرعت اناقش معه خطتنا العاجلة . واعطانى بوصلة وخريطة صغيرة كى احاول الوصول بطيارتى الى هليوم . ومتى نجح فى مهمته تبعنى الى هناك . ثم افترقنا كل الى وجهته

ولما اقتربت طائرتانا من البرج العالى سلط احد الجنود النور الكشاف على طائرتى ثم امرنى بالهبوط واتبع ذلك بطلقة عندما

تجاهلت الامر ، فأسرع كانتوس كان بالانخفاض فى الظلام اما انا فارتفعت فى الجو بسرعة هائلة تتبعنى مجموعة من الطيارات الكشافة .
ثم طائرة ضخمة تحمل مائة رجل وبطارية من المدافع السريعة .
فأخذت ادور واحاور بطائرتى الصغيرة صاعدا وهابطا لاتهرب من انوارهم الكشافة . ثم قررت ان اجازف واعتمد على حظى وسرعة طيارتى . وان اتجه نحو هليوم حتى لا اضل الطريق بتلك المناورات
وكان كانتوس كان قد علمنى طريقة سرية لا يعرفها الا ضباط هليوم فزدت سرعة الطيارة بهذه الطريقة واندفعت نحو غايتى .
وفعلا اخذ المطاردون يتخلفون ورائى . وهنات نفسى بالافلات منهم .
واذا بقذيفة من الطيارة الكبيرة تنفجر عند دفة طيارتى . وكادت تدمرها ، فاذا بها تغوص هابطة فى الظلام
ولاادرى مقدار الهبوط الذى حدث لى قبل ان اتمكن من السيطرة على طيارتى . ولكن لابد انى كنت قريبا جدا من الارض عندما شرعت فى الصعود من جديد . لانى سمعت بوضوح اصوات حيوانات تحتى مباشرة
ولما علوت فى الجو رايت اضواء المطاردين على الارض . فلا شك انهم هبطوا ليبحثوا عنى ظنا منهم انى سقطت . وبعد ان ابتعدت عنهم جدا اضأت المصباح الصغير امام البوصلة لاتبين طريقى . واذا بى اكتشف ان القذيفة اطاحت بمرشدى الوحيد كما اطاحت بمقياس السرعة . فلم يعد امامى من مرشد سوى النجوم . ولكنى من غير تحديد لموضع المدينة بالضبط ولا لمقدار سرعتى كان الامل ضعيفا جدا فى الوصول الى غايتى
وهليوم تبعد الف ميل جنوب غرب زودانجا . وهى مسافة كنت استطيع مهتديا بالبوصلة ان اقطعها فى خمس ساعات . ولكن النهار طلع وانا احلق فوق البحر الجاف بعد ست ساعات من الطيران السريع
ولاحت تحتى مدينة عظيمة ولكنها لم تكن هليوم . فالهليوم تمتاز بين مدن المريخ بسورين دائريين حول جزايها اللذين يفصل بينهما خمسة وسبعون ميلا
وقدرت اننى ابتعدت كثيرا الى الشمال الغربى ، فعدت الى ناحية الجنوب الشرقى ومررت قبل الظهر بجملة مدن كبيرة ولكن ليس بينها مدينة تطابق اوصافها اوصاف هليوم كما ذكرها لى كانتوس كان . ومن بينها برجان عظيمان احدهما احمر قرمزى والآخر اصفر ذهبى . طول كل منهما ميل

الفصل الثامن عشر

فى قصر هاجوس

وقرب الظهر حلقت فوق مدينة كبيرة مهجورة ، ثم فوق سهل رايت فيه بضعة آلاف من المحاربين الخضر مشتبكين فى معركة فظيعة. ثم انطلقت نحوى قذائف كثيرة . اصابت طائرتى فاخذت تهوى الى الارض . ووقعت فى وسط المعمعة حيث كان الجنود مشغولين بالحرب فلم يفطنوا لهبوطى . ولكنى ادركت ان المسالة مسالة حياة او موت فجردت سيفى ووقفت على استعداد للدفاع عن نفسى بقدر الاستطاعة وكان رجل عملاق فى جوارى منهمك فى مقاومة ثلاثة خصوم . فحدقت فى وجهه وعرفت فيه على الفور تارس تاركاس . وميزت فى خصومه شارات الوارهون . وتمكن تارس تاركاس من قتل احدهم بسرعة . ثم تراجع ليتفرغ للاثنين الآخرين فتعثر فى جثة احد القتلى ووقع على الارض تحت رحمة خصميه . وسرعان ما انقضا عليه

وكان تارس تاركاس حريا ان يلحق بآبائه فى لمح البصر لو لم اقفز الى جواره والتحم بعدويه . واجهزت على احدهما ريثما وقف تارس تاركاس على قدميه واجهز على الآخر ثم رمقنى بنظرة سريعة وتلاعبت الابتسامة على شفتيه وقال :

ـ لم اكد اعرفك ياجون كارتر . ولكن لا يوجد على وجه البرسوم كلها شخص يمكن ان يصنع لى ماصنعته انت . لقد ادركت الآن انه يوجد حقا شىء اسمه الصداقة ايها الصديق

ولم يزد عن ذلك . ولا كان المقام يسمح بزيادة . لان الوارهون بداوا يتكاثرون حولنا . فاخذنا نقاتل معا جنبا الى جنب طيلة بعد الظهر الى ان بدا ينحسر مد المعركة . واخذ بقايا الوارهون يلوذون

بظهور دوابهم ويلتمسون تحت جنح الظلام اذيال الفرار

وكان عشرة آلاف محارب مشتركين فى هذا الصراع العاتى . وقد سقط منهم صرعى ثلاثة آلاف . ولم يحاول احد الجانبين ان يأخذ اسرى . فلما عدنا الى المدينة بعد المعركة توجهنا الى مقر تارس تركاس حيث تركنى وحدى وذهب لحضور الاجتماع المألوف بعد كل معركة . وفيما انا جالس وحدى سمعت صوتا يدل على حركة فى الحجرة المجاورة . ولما نظرت اذا بمخلوق قبيح الشكل يندفع نحوى . وكان هذا المخلوق هو وولا المخلص الحبيب . وكان قد رجع الى تارك . كما اخبرنى تارس تاركاس بعد ذلك ولزم مسكنى القديم فى انتظار عودتى

ولما رجع تارس تاركاس من الاجتماع برياسة هاجوس قال لى :

ـ لقد عرف هاجوس انك هنا ياجون كارتر . لان ساركويا رأتك معى وابلغته الخبر . وقد امرنى هاجوس ان احضر امامه الليلة . وعندى عشر دواب ياجون كارتر اختر منها ماشئت . وساصحبك الى اقرب نهر جاف يؤدى الى هليوم . فلئن كان تارس تاركاس محاربا اخضر قاسيا الا انه يستطيع ان يكون صديقا ايضا . هيا بنا نرحل

ـ وماذا يكون من امرك حين تعود يا تارس تاركاس ؟

ـ اطرح للكلاب المتوحشة او ما هو اسوأ منها . الا اذا منحت لى الفرصة التى طال ترقبى لها ، وهى مبارزة هاجوس

ـ بل نبقى يا تارس تاركاس ونقابل هاجوس الليلة . لن تضحى بنفسك . وربما سنحت لك الليلة الفرصة التى تترقبها

فعارضنى بشدة ، وقال لى ان هاجوس تثور ثائرته كلما تذكر الضربة التى وجهتها اليه . وكان يقسم دائما لو وضع يده على ان يعذبنى عذابا لم يسمع به احد من قبل

واثناء تناول الطعام قصصت على تارس تاركاس القصة التى كانت سولا قد روتها لى عنى نسبها الحقيقى . ولم يعلق بكلمة واحدة ولكن عضلات وجهه تقلصت تقلصا شديدا عند ذكر الفظاعات التى قاستها المراة الوحيدة التى احبها فى حياته الموحشة . ولم يحاول بعدها ان يثنينى عن عزمى على مقابلة هاجوس . ولكنه قال انه يريد ان يتحدث اولا الى ساركويا . فصحبته الى مسكنها . فقال لها :

ـ يا ساركويا . انك منذ اربعين سنة كنت سببا فى صب العذاب والموت على امراة اسمها جوزافا . وقد اكتشفت الآن ان المحارب الذى احب تلك المراة علم بحقيقة دورك فى المأساة . وقد لا يكون من عادتنا يا ساركويا ان يقتلك هذا المحارب . ولكن لا شيء يحول بينه وبين ربط حزام من الجلد حول رقبتك ، وشد طرف الحزام الآخر الى دابة وحشية . ثم يلكز تلك الدابة فتجمح ليرى مقدار تحملك للالم . وقد سمعت انه سيصنع بك ذلك فى الصباح . فرايت من واجبى ان انذرك . فان نهر ايس لا يبعد عن هنا كثيرا يا ساركويا . وقد تفضلين ان تذهبى اليه بنفسك . والآن هيا بنا يا جون كارتر

وفى اليوم التالى كانت ساركويا قد اختفت ولم يظهر لها بعد ذلك اثر



واسرعنا صامتين الى قصر هاجوس . حيث دخلنا على الفور . فوجدته واقفا فوق المنصة يحملق فى الباب تلهفا على دخولى وصاح :

ـ قيدوه الى هذا العامود . وسوف نرى منذا يجسر على ضرب هاجوس العظيم . سخنوا الحديد . وبيدى سأحرق عينيه حتى لا يدنس شخصى بنظرته الوضيعة

فنظرت الى القواد المجتمعين وقلت لهم متجاهلا هاجوس :

ـ ايها القواد التاركان . لقد كنت قائدا بينكم . واليوم بالذات قاتلت فى سبيل تارك جنبا لجنب مع أعظم جنودها . فأنتم مدينون لى على الاقل بالاصغاء الى ما سأقول . وأنتم تزعمون انكم شعب عادل . فيجب ان تسمعونى اولا

فصرخ هاجوس كالمجنون :

ـ اخرس ! قيدوا هذا المخوق كما امرت !

فقال العاهل بتومل الذى يلى هاجوس فى الرتبة مباشرة :

ـ العدل العدل يا هاجوس . كيف تدوس تقاليد اسلافنا ؟

وصاح جماعة من القواد يؤيدونه :

ـ نعم . العدل العدل !

ـ انكم شعب شجاع يحب الشجاعة . ولكن اين كان امبراطوركم

والقتال دائر الرحى اليوم ؟ انى لم اره فى ساحة الوغى لانه لم يذهب اليها مع المقـــاتلين . فهو مشغول عن ذلك بالاعتداء على النساء الضعيفات والاطفال العاجزين . وانى اسألكم منذ متى لم تروه مقاتلا كما يقاتل الرجال ؟ انه داعر واهن . كانت لكمة واحدة من قبضتى كافية لسقوطه واغمائه . بينما يقف بجانبى الآن تاركانى عظيم ومحارب قوى وفارس نبيل . فما قولـكم ايها القواد فى أن يكون تارس تاركاس امبراطور التاركان ؟

فدوت عاصفة فى التصفيق واستطردت :

ـ ان من حق مجلسكم الموقر ان يأمر هاجوس بتقديم الدليل على صلاحيته للحكم . ولو كان شجاعا حقا لدعى تارس تاركاس للمبارزة . فهو لا يحبه . ولكن هاجوس خائف جبان . فهل ترضون أن يكون امبراطوركم جبانا ؟ انى استطيع ان اقتله بيدى المجردتين . وهو يعلم هذا جيدا !

وساد الصمت . وقد ركزت الابصار جميعا على هاجوس . ولم يتكلم هاجوس ولم يتحرك . فقال العاهل بتومل :

ـ ياهاجوس . انى لم ار فى حياتى الطويلة امبراطورا للتاركان يذل ويهان بهذه الصورة . وليس لذلك الا جواب واحد . ونحن فى انتظار هذا الجواب

ولما ظل هاجوس صامتا استطرد بتومل :

ـ ايها القواد . اترون ان يثبت الامبراطور هاجوس لياقته للحكم بملاقاة تارس تاركاس

وكان فى الاجتمـــاع عشرون قائدا . فومضت فى الفضاء اشعة عشرين نصلا ارتفعت فوق رؤوسهم علامة الموافقة . فلم يعد هناك بد بعد ذلك القرار النهائى . وجرد هاجوس سيفه الطويل وتقدم لملاقاة تارس تاركاس

ولم تستغرق المبارزة طويلا . ثم رأينا تارس تاركاس يضع قدمه فوق عنق الوحش المقتول ويغدو امبراطورا للتاركان

وانتهزت فرصة موالاتهم لى واخذت ثأرهم ضد زودانجا . ورويت لتارس تاركاس مغامراتى كلها وشرحت له بانجاز فكرتى . فقال تارس تاركاس مخاطبا المجلس :

ـ لقد اقترح علينا جون كارتر اقتراحا يحظى بموافقتى . وساوضح لكم هذا الموضوع بايجاز . ان ديانوريس اميرة هليوم التى كانت اسيرة لدينا موجودة الآن تحت يد امبراطور زودانجا . حيث يجب ان تتزوج ابنه لتنقذ وطنها من التدمير على يد قوات زودانجا . وجون كارتر يقترح علينا ان ننقذها ونردها الى هليوم . ونظفر فى مقابل ذلك بسلب زودانجا وثروتها الطائلة . ولاشك ان محالفتنا مع هليوم ستسمح لنا بمزيد من القوة والنفوذ بحيث نبسط سلطاننا على جميع الاجناس الخضراء فوق وجه البرسوم . فماذا ترون فى ذلك ؟

وكانت فرصة نادرة للقتال والنهب والسلب والغنائم تستهوى هؤلاء المحاربين المطبوعين . فتحمسوا جدا . وبعد نصف ساعة كانت الرسل تحمل اوامر الامبراطور الجديد لتجميع الجيوش للزحف على زودانجا . وتقدمت الصفوف بجوار تارس تاركاس . وورائى يركض وولا المخلص

وظللنا سائرين طول الليل . وكنا نستريح فى النهار داخل المدن المهجورة حتى لا يكتشف امرنا . واثناء الزحف انضم الينا خمسون الف محارب طمعا فى الغنائم ، وهم من ابناء عشائر خضراء



وفى ختام الايام العشرة وصلنا الى اسوار مدينة زودانجا وقد بلغ عدد قواتنا مائة وخمسين الفا . من الخضر الاشداء المتوحشين الذين تزيد قدرتهم فى القتال على مليون من الحمر

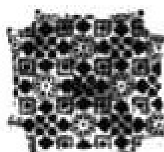
وقد اخبرنى تارس كارتاس انه لم يسبق فى تاريخ المريخ كله ان زحفت قوة عسكرية بهذه الضخامة دفعة واحدة . وكان من الاعجاز ان يظلوا عشرة ايام من غير ان تقع بينهم معارك

واقنعت تارس تاركاس ان يقسم قواته الى قسمين كبيرين كل قسم بواجه بوابة من بوابات المدينةالكبرى . ثم اخذت فصيلة من عشرين محارب من المشاة واقتربت من بوابة صغيرة

واسوار زودانجا يبلغ ارتفاعها خمسة وسبعين قدما وسمكها خمسين قدما . وكان الجميع يعجبون كيف يمكن ان ادخل المدينة . واخترق ذلك السور . فجلعتهم ينذبون ثلاثة منهم يقفون ووجوههم

الى السور وقد تشابكت أذرعهم جيدا عند الاكتاف . ثم امرت اثنين آخرين ان يقفا فوق اكتاف الثلاثة . ثم أمرت سادسا ان يتسلق فوق اكتاف الاثنين . فأصبح هذا السادس على ارتفاع اربعين قدما او تزيد من الارض . ثم كلفت عشرة آخرين ان يكونوا تشكيلة اقل قليلا في الارتفاع وجعلت اقفز من كتف مجموعة الى مجموعة اخرى الى ان وصلت الى كتف الشخص الواقف فوق القمة . ومن هناك قفزت فوق سور المدينة . واخرجت حزاما من الجلد طويلا دليته فأخذ الجنود يتسلقون بواسطته ثم قمت بعملية عكسية فأنزلت الجنود داخل المدينة

وكنت قد علمت من كانتوس كان سر فتح البوابة . ففتحت ذلك الباب الصغير ، وكم كان سروري عندما اكتشفت ان هذه البوابة الصغيرة تقع في الجهة الخلفية من القصر الامبراطوري . وكان القصر شعلة من الانوار . فقررت على الفور أن اقود فصيلتي الى داخل القصر نفسه في الوقت الذى ينشغل فيه القوم بهجوم كتلة الجيش الكبير على تكنات الجنود ، وارسلت أحد رجالي الى تارس تاركاس ليأتيني منه بخمسين محاربا كمدد . ثم امرت عشرة من الجنود باقتحام احدى البوابات الكبرى . وبالتسعة الآخرين اقتحمت بنفسي بوابة اخرى . ولم نستعمل الطلقات النارية او غيرها حتى لا نلفت الانظار



الفصل التاسع عشر

هكذا يفعل الحب

بعـد فتح البوابة الكبرى اقتحم الخمســون محاربا المكان بقيادة تارس تاركاس نفسه . فارشدتهم الى الاسوار الخلفية للقصر . وكان من اليسير على جدا ان اقفز فى الهواء فاصبح داخل القصر . وفتحت احد الابواب الخلفية . فاندفعت الفصيلة الضـارية تخترق حدائق امبراطور زودانجا . ولمحت الانوار تشع من قاعة الاجتماع الخاصة بتان كوزيس وقد غصت بالنبلاء ونسائهم فادركت ان امرا هاما يجرى تلك الليلة . ولم ار حارسا واحدا خارج القصر . ذلك لان دخولنا كان مفاجئا فى ظلام الليل وباعتبار ان اسوار القصر لايمكن اختراقها .

واقتربت من نوافذ القاعة ونظرت فرأيت تان كوزيس فى الصدر فوق عرش من الذهب ومعه زوجته وبين يديه حاشيته ورجال دولته . ثم رايت موكبا طويلا يقترب بين صفين من الجنـد الى ان يصل الى اعتاب العرش . وفى المقدمة اربعة من ضباط الحرس يحملون فيما بينهم وسادة من الحرير القرمزى عليها سلسلة ذهبية ضخمة فى كل من طرفيها طوق من الذهب . وخلف الضباط اربعة آخرون يحملون وسادة مشابهة عليها الشعار الرسمى لامير واميرة من اعضاء البيت الحاكم فى زودانجا ، ثم دخل اثنان ملتفان بالحرير القرمزى لايظهر من ملامحهما شيء فوقفا عند اعتاب العرش امام تان كوزيس . فوجه اليهما تان كوزيس الخطاب ولكنى لم اسمع ماذا قال . ثم رايت ضابطين يتقدمان فيزيحان النقاب الحريرى الاحمر عن احد الشخصين فادركت ان كانتوس كان فشـل فى مهمته . لان ذلك الشخص كان هو بعينه سابثان ولى عهد زودانجا

وتناول تان كوزيس احدى السلسلتين الذهبيتين ووضع طوقا حديديا منها فى عنق ابنه ثم اقفله بالمفتاح ووجه اليه بضع عبارات ثم تحول الى الشخص الآخر . فتقدم ضابطان فنزعا عنه الدثار الحريرى القرمزى . فاذا امامى ديائوريس اميرة هليوم .

وادركت على الفور مغزى الحفلة التى اراها امام عينى . فبمجرد وضع الطوق الآخر فى رقبة ديا ثوريس تصبح الى الابد زوجه امير زودانجا . فما أن رايت تان كوزيس يتناول الطوق ويفتحه بيده حتى شهرت سيفى الطويل وحطمت به زجاج النافذة وقفزت فى وسط القاعة التى الجمت الدهشة جميع من فيها . وبقفزة واحدة صرت على عتبات المنصة الملكية بجوار تان كوزيس واطحت السلسلة الذهبية من يده

وفى لحظة واحدة ساد الاضطراب التام واحدق بى الف سيف من كل صوب . وانقض فوقى سابتان بخنجر مرصع بالجواهر استله من بين حلى زفافه

وكان فى استطاعتى طبعا ان اسحقه كذبابة . ولكن تقاليد البرسوم شلت يدى ، فقبضت على معصمه ولويت يده حتى سقط الخنجر وصرخت :

ـ انظروا ايها الحمقى ! لقد سقطت زودانجا !

فاتجهت جميع الابصار حيث اشرت . واذا بهم يرون تارس تاركاس وضباطه الخمسين فوق مطاياهم الهائلة . فانطلقت صيحة الذعر والدهشة . وانقضوا جميعا للاقاة الاعداء . فجذبت ديا ثوريس من يدها الى جانبى . وكان خلف العرش دهليز ضيق . فاردت ان امر منه فاذا تان كوزيس يعترضنى شاهرا سيفه الطويل . فالتحمت به ولم يكن فى الحقيقة خصما هينا .

وبينما نحن نتصاول ونتجادل فوق المنصة الواسعة رايت سابتان يسرع صاعدا ليساعد اباه . ولكنه حين رفع يده ليضربنى ، قفزت ديا ثوريس لتعترض طريقه . ووجد سيفى الفرصة لقتل ابيه الذى سقط تحت اقدام ابنه ، فخلص نفسه من قبضة ديا ثوريس وواجهنى . وسرعان ما انضم اليه حفنة من الضباط جعلت اقاتلهم وظهرى الى العرش الذهبى . وكانت الصعوبة انى اريد ان اقتلهم من غير ان اقتل

سابتان فاقتل بذلك كل امل لى فى المراة التى احبها

وتمكنت من قتل واحد ، وتجريد اثنين من سيفيهما . واذا بعدد جديد يسرع لعون الامبراطور الجديد والثار للامبراطور القديم . وبينما هم يهجمون كانوا يصيحون :

ـ اقتلوا المراة ! اقتلوها انها صاحبة هذه الخطة الآثمة !

فهتفت بديا ثوريس ان تقف ورائى وجعلت اشق طريقى نحو الممر الضيق خلف العرش ، ولكن المهاجمين ادركوا مرادى ووقف ثلاثة منهم خلفى ليحولوا بينى وبين حماية ديا ثوريس من سيوف المهاجمين

كان التاركان يقاتلون قتالا حارا وسط القاعة ليشغلهم عنى فادركت انه لن ينقذ ديا ثوريس سوى معجزة . وفى تلك اللحظة رايت تارس تاركاس يشق طريقه ويصرع بضربة واحدة فى الهواء عشرة من جنود سابتان . وسرعان ما رايته فوق المنصة بجانبى يبذر الموت يمينا ويسارا بضرباته الهائلة . ومع ذلك لم يحاول احد من جنود زودانجا الفرار . ولم يتوقف القتال الا بعد ان فنوا عن آخرهم فى تلك القاعة الكبيرة . ولم يظل على قيد الحياة الا التاركان وانا وديا ثوريس

اما سابتان فخر صريعا بجوار ابيه . وبجوار جثث الصفوة المختارة من نبلاء زودانجا . الذين صرع معظمهم تارس تاركاس

واول ماخطر ببالى بعد انتهاء المعركة هو كانتوس كان . فتركت ديا ثوريس فى حماية تارس تاركاس واخذت كتيبة من الجنود واسرعت الى كهوف السجن تحت القصر . وكان السجانون جميعا قد انضموا الى المقاتلين فى حجرة العرش فرحنا ننقب فى الاقبية والزنازين بغير عائق . وجعلت اصرخ مناديا باسم كانتوس كان فى كل دهليز الى ان سمعت اخيرا جوابا ضعيفا . واهتديت بصوته الى ان وجدته ملقى فى زنزانة مظلمة .

واخبرنى ان الكشافة !! ... بضت عليه قبل ان يصل الى البرج العالى ولذلك لم يتمكن من الالتقاء بسابتان . ولم استطع ان احطم قيوده عنوة فعدت افتش بين الجثث عن مفاتيح السجن . ولحسن الحظ عثرنا عليها فى رقبة احد القتلى . وسرعان ما انضم كانتوس كان الينا فى قاعة العرش حيث وصلت الى آذاننا اصداء المعركة الدائرة فى شوارع المدينة .

واسرع تارس تاركاس لتوجيه القتال وصحبه كانتوس كان ليكون مرشدا له . وبقيت وحدي مع ديا ثوريس التي استلقت فوق احد العرشين الذهبيين . ولما التفت اليهــا استقبلتني بابتسامة رائعة وقالت :

ــ هل هناك مثيل لهذا الرجل ؟ انا واثقة ان كوكبنا لم يشهد من قبل مثيلا لك . فهل ياترى جميع رجال الارض على شاكلتك ؟ لقد استطعت وانت وحيد غريب مطارد مهدد مضطهد ان تحقق في شهور قليلة ماعجزت اجيال طويلة من الرجال عن تحقيقه . لقد جمعت اشتاتا من العشائر المتعادية ووجهتها متحالفة لتكون صديقة للحمر

ــ الامر غاية في السهولة ياديا ثوريس . فلست أنا الذي فعل ذلك بل الحب ، حب ديا ثوريس وهو قوة يمكن ان تصنع من الاعاجيب والمعجزات اكثر مما رأيت .

فاحمر وجهها وقالت :

ــ لك أن تقول ذلك الآن ياجون كارتر . ولي ان استمع لما تقول . لاني اصبحت حرة .

ــ واني اريد ان اقول الكثير . فلئن اقدمت في حياتي على اشياء كثيرة يحجم عنها العقلاء ، فلم يخامرني يوما ما ان تكون ديا ثوريس لي . لانه لم يخطر ببالي ان الاكوان جميعا يمكن ان تكون فيها امراة مثل اميرة هليوم الرائعة . وان تكوني اميرة شيء لايبهرني . ولكن ان تكوني انت كاف لتشكيكي في سلامة وعيي وانا اطلب منك يا أميرتي ان تكوني لي .

ــ ليس بحاجة الى الطلب من كان يعلم ان طلبه مجاب قبل ان يتقدم به

ونهضت ووضعت يدها الغاليتين فوق كتفي . فضممتها بين ذراعي وقبلتها .

وهكذا وسط المعارك الدامية وويلات الحرب والموت والدمار وعدت ديا ثوريس اميرة هليوم والابنة المخلصة للمريخ كوكب الحرب أن تتزوج من جون كارتر ابن فرجينيا



وبعد فترة وجيزة عاد تارس تاركاس وكانتوس كان بأنباء الاندحار

التام لزودانجا وقد محقت قوتها العسكرية تماما ، واسرت جميع سفن الجو التجارية والحربية ، ماعدا عددا قليل لاذ بالفرار

واخذت العشائر الخضراء تنهب المدينة وتتقاتل فيما بينها على الاسلاب . ولذلك قررنا ان نجمع قدر مانستطيع من المحاربين وسفن الهواء ، ونذهب الى هليوم بلا ابطاء

وبعد خمس ساعات اقلعت بنا السفن الهوائية وعددها مائتان وخمسون سفينة حربية تحمل نحو مائة الف محارب اخضر ، وتتبعها اساطيل النقل حاملة الدواب والمطايا . وتركنا المدينة بين ايدى العشائر الصغرى ليجهزون على ما تبقى منها ويحرقون ويدمرون

وبعد الظهر لاحت لنا مدينة هليوم . وخفت اساطيل زودانجا التى تحاصر المدينة لملاقاتنا . وكنا قد رفعنا اعلام هليوم على سفننا الجوية . فقوبلنا بسيول قوية من النيران الحامية . وفى الوقت نفسه راسلت المدينة المحصورة مئات الطائرات لمساعدتنا . وبدات معركة جوية عجيبة . وكانت المعركة فى الواقع بين طائرات هليوم وطائرات زودانجا . اما طائراتنا فكانت عاجزة عن القتال لعدم دراية التاركان بمدفعية الطائرات واساليب استعمالها . ولكنهم كانوا يستعملون بنادقهم ببراعة تامة . فكان لهم أثر بعيد فى المعركة . وفى مدى ساعة او اكثر قليلا انجلت المعركة الجوية عن هزيمة طائرات زودانجا . ولكن جنودها الشجعان انتحروا بالقاء انفسهم من الطائرات مفضلين ذلك على الوقوع فى أسر هليوم

وعلى الاثر اعلنت ان الاميرة ديا توريس موجودة معنا واننا نريد تسليمها لاسطول هليوم كي يعود بها الى المدينة . فعلت صيحات الفرح من جميع طائرات هليوم . ورفرفت رايات الاميرة من جميع قطعها الصغيرة والكبيرة . وهبطت طائرات القيادة ، وتقدم كانتوس كان فعرفهم بنفسه ، وبعد ذلك تقدمت انا وديا توريس . فكاد يجن جنونهم من الفرح لرؤياها . وكانت تنادى بعضهم باسمه وتلاطفهم . ثم خطبت فيهم قائلة :

ـ حيوا جميعا جون كارتر . هذا الرجل الذى تدين له هليوم بحياة اميرتها وشرفها وبنصرها العظيم اليوم

فانهالت على تحيات وتكريمات . وكانوا متعجبين من قدرتى على

كسب صداقة التاركان وتوجيههم الى نجدة هليوم من قبضة زودانجا . فبينت لهم مدى الفضل العظيم الذى اسداه تارس تاركاس ، فحيوه جميعا بكل اكرام . وارادت ديا ثوريس ان اركب معها سفينة القيادة الى المدينة ولكنى ذكرتها ان المعركة البرية لم تنته بعد ، وان كانت المعركة الجوية قد انتهت بالنصر . وان علينا ان ننزل جنودنا الى الارض ليتموا مهمتهم

وتم تفريغ الدواب وانزال الجنود . على مسافة عشر اميال من المدينة . ثم اصدر تارس تاركاس اشارة الهجوم . فهجمنا فى ثلاث فيالق عى معسكر زودانجا من الشمال والجنوب والشرق . فوجدنا صفوفا متراصة بنظام بديع مستعدة لملاقاتنا ، وكان عددهم نحو مليون مقاتل . وعدد الخضر لا يزيد على مائة الف . ولكن شد ازرنا خروج جيوش هليوم من المدينة وراء صفوف زودانجا واطلاقهم ستارا حاميا من النار . فاصبح جنود زودانجا بين نارين وكانهم بين شقى الرحى . فقاتلوا قتالا باسلا ولكنه بغير جدوى

وقبل حلول الظلام كان النصر قد بات حليفنا ، ودخلنا هليوم دخول الفاتحين وقد جن جنون اهلها من الفرح . وكان هتاف الجماهير لى علامة قاطعة على ذيوع خدماتى التى اديتها للاميرة ودعينا لدخول القصر ومقابلة عاهل هليوم الاكبر جد الاميرة دياثوريس الذى استقبلنا مع اهل بيته على قمة سلم القصر الكبير

ووضع مورس الاعظم يمناه على كتف تارس تاركاس وقال :

ــ انه لشرف عظيم ان اقابل اعظم محارب فى جميع انحاء البرسوم . ولكنه سرور اعظم من هذا الشرف ان اضع يدى على كتف صديق وحليف

فأجابه تارس تاركاس قائلا :

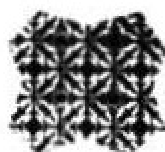
ــ يا امبراطور هليوم . كان من المحتم ان يقوم رجل من عالم آخر بتلقين رجال البرسوم الخضر معنى الصداقة . وبفضله استطعنا ان نفهمكم ونقدر عواطفكم النبيلة ونبادلكم مثلها

وبعد ذلك اقترب منى امبراطور هليوم ووضع يديه فوق كتفى قائلا :

ــ مرحبا بابنى . فانى اعتبرك كذلك بغير تردد . وامنحك بلا

معارضة اثمن جوهرة في هليوم . بل وفي جميع انحاء البرسوم

ثم قدمني الى مورس كاياك ولي عهده ووالد ديانوريس . وكان التأثر باديا عليه اكثر من ابيه . فحاول عشر مرات ان يعرب لي عن شكره فكان صوته يخونه ويختنق بالدموع . مع اني علمت فيما بعد انه مشهور بالقسوة والضراوة وشدة البأس في القتال . ولكنه كان يعبد ابنته ويكاد يجن لما مرت به من شدائد



الفصل العشرون

نعيش معًا ونموت معًا

واستمرت الولائم واحتفالات النصر عشرة ايام . ثم حان لجيوش التاركان ان تعود الى بلادها ، فزودهم امبراطور هليوم بهدايا ثمينة ، وصحبتهم فرقة من جيش هليوم عددها الف مقاتل ، وعلى راسهم مورس كياك والد ديانوريس ، الى حدود بلادهم ، لزيادة روابط الصداقة الجديدة توثقا . وصحب تارس تاركاس ايضا ابنته سولا ، بعد أن أعلن امام جميع القواد ابوته لها

وبعد ثلاثة اسابيع عاد مورس كاياك وضباطه ومعهم تارس تاركاس وسولا على متن طائرة حربية لحضور حفل زفاف ديانوريس الى جون كارتر . وظللت بعد ذلك تسعة أعوام عضوا عاملا فى المجامع الهليومية ، وحاربت بين صفوف جيشها ، كعضو فى العائلة المالكة . وكأنى بالقوم لا يملون من تكريمى وحبى اكراما لاميرتهم ديانوريس . وفى مفرخة ذهبية فوق سطح قصرنا استقرت بيضة فى بياض الثلج ، قام على حراستها ليل نهار ثلة من الجنود مدى خمس سنوات تقريبا . وكنت ازورها كل يوم مع ديانوريس ونقف امامها نفكر معا فى المستقبل الباهر السعيد

وحفرت فى ذاكرتى صورة الليلة الاخيرة التى جلسنا فيها معا نتحدث بصوت خفيض عن مغامرات حياتنا وغرامنا العجيبة وكيف ربطت بين مصيرنا ذلك الربط الوثيق . وعندئذ راينا عن بعد سفينة حربية بيضاء تشق الفضاء بسرعة ، ولكنا لم نلق اليها بالا ، الى ان اخذت ترسل انوارا واشارات ضوئية تدل عى انها تحمل رسالة الى الامبراطور . وجعلت تحوم حول القصر فى انتظار الاشارات التى تهديها الى مطار القصر . وبعد عشر دقائق كانت الطيارة قد استقرت

على ارضه . ووصلتني رسالة من القصر الامبراطوري تستدعيني الى المجلس المخصوص فورا . .

وهناك ابلغنا الامبراطور ان سائر حكومات البرسوم قد وصلتها اشارة تدل على ان مدير مصنع الجو لم يبعث بأي رسالة لاسلكية منذ يومين ، ولم يرد على النداءات التي وجهت اليه . وقد ناشدتنا الدول الاخرى ان نتعجل ارسال مساعد المدير الى المصنع قبل موعده . وقد ظلت آلاف الطائرات تبحث عنه في كل مكان الى ان عثرت عليه احداها الآن وعادت بجثته . . . التي وجدت في حفرة خلف بيته . . . واستطرد الامبراطور

ـ وما بي حاجة الى ان ابين لكم معنى ذلك بالنسبة للبرسوم . فانه يلزمنا شهور طويلة للدخول الى المصنع بعد هدم اسواره . ولكن اخشى ما اخشاه ان تكون المضخات قد تلفت ، فان الضغط الجوي بدأ يخف كثيرا فوق ظهر البرسوم . . ولم يبق امامنا سوى ثلاثة ايام نعيشها على الاكثر ايها السادة . .

وساد الصمت بضع دقائق . الى ان نهض نبيل شاب وشهر سيفه قائلا :

ـ لقد تعلمنا كيف نعيش . وبقي ان نظهر للملأ اننا نعرف كيف نموت . سنستمر يا سيدي في القيام بواجباتنا كما لو كانت امامنا الف سنة من الحياة !

فدوت القاعة بالتصفيق . ولما عدت الى قصري وجدت الانباء قد وصلت الى ديا توريس فلم اجد بدا من الافضاء اليها بالمسألة كلها فقالت :

ـ لقد سعدنا معا يا جون كارتر . وسيسعدني ان نموت معا . . .



ولم يجد جديد في اليومين التاليين في الضغط الجوي ، ولكن في صباح اليوم الثالث اصبح التنفس عسيرا . وتوقف كل عمل ، واكتظت الشوارع والميادين بالناس ، وقد بات مصيرهم محتوما

وحول الظهر بدأ الضعاف يغشى عليهم . ثم ازداد عدد المغمى عليهم بالآلاف في كل ساعة . وبدأت آلام الاحتضار باسفكسيا الخنق

اما انا وديا توريس ومعنا وولا فكنا في حديقتنا الداخلية نتحدث

همسا ، ووولا يلوذ بنا فى حزن ، وهو يئن اتينا موجعا . .

ولن انسى لحظة همست ديانوريس :

ـ قبلنى يا جون كارتر . احبك ! احبك ! عزيز على ان نفترق بعد ان تذوقنا معا السعادة والحب

وفيما اضم شفتيها الى شفتى ، ثارت فى عروقى دمائى الفرجينية . وصحت :

ـ لن يكون هذا يا ديانوريس . سأجد وسيلة ما ياديانوريس !

وفجاة قفزت الى ذهنى تسعة موجات فكرية كنت قراتها يوما فى عقل مدير مصنع الجو ، وهى مفتاح ابواب المصنع الثلاثة !

وصرخت اطلب طائرة . واسرع جملة جنود وحراس باحضار طائرة صغيرة تصلح لراكب واحد ، ومن طراز سريع جدا . ثم قبلت ديانوريس عشرين قبلة ، وقفزت الى مكانى فى الطائرة ووجهتها الى قبلة امال اهل المريخ جميعا

وكان على ان اطير فى مستوى منخفض لرقة الهواء الجوى ، وكنت انطلق كالمجنون ، لاسابق الزمن والموت . وكان وجه ديانوريس يتراءى لى باستمرار فازداد اندفاعا واقداما ، لانه خيل الى انى رايتها تترنح وانا اغادر حدائق القصر الفضاء

وقبيل المساء وصلت الى المصنع العتيد ، وحططت رحالى امام الباب الصغير ، حيث رايت العمال الذين كانوا يحاولون عبثا هدم الاسوار وقد ارتموا مخنوقين على الارض ، ماعدا قلة منهم مسهم الاعياء ، فقلت لاحدهم :

ـ اذا استطعت فتح الابواب ، هل فيكم من يستطيع ادارة الآلات ؟

ـ انا يا سيدى . اسرع بربك

وكنت شخصيا قد بدات اتداعى ، فبذلت جهدا يائسا فى استدعاء الموجات الفكرية التسعة . واخذت الابواب تتراجع ببطء امامى ، بينما رقدت على الارض لا استطيع النهوض وصحت بالرجل :

ـ اسرع الى حجرة المضخات ، افتحها الى آخرها ، فعلى ذلك تتوقف حياة البرسوم باسره غدا . . .

وزحف الرجل على يديه وركبتيه ، بجهد جهيد ، الى داخل المصنع .. اما انا فاغمى على



وكان الظلام قد خيم تماما حين فتحت عيني مرة أخرى · فوجدت ثيابا جافة غليظة غريبة فوق جسدى · ثيابا أخذت تطرقع وتنهال ترابا حينما جلست على الارض

وأخذت أتحسس نفسى من الراس الى القدم ، ومن القدم الى الرأس فوجدت نفسى كاسيا ، مع انى حينما اغمى على أمام مصنع الجو كنت عاريا تماما

وأمامى رأيت رقعة من سماء يشرق فيها القمر ، ظهرت لى من خلال فجوة · وتحسست ثيابى مرة أخرى ، فوجدت لها جيوبا · وفى جيب منها وجدت علبة ثقاب ملفوفة فى ورق مشمع · فاشعلت عود ثقاب منها ، فاتضح أمامى كهف عجيب الشكل ، ضخم · وفى مؤخرته اكتشفت شكلا غريبا مقعيا فوق مقعد حجرى

واقتربت من تلك الجثة ، فوجدتها جثة أو مومياء امرأة عجوز ضئيلة الحجم ، ذات شعر طويل اسود ، وقد انحنت فوق مجمرة بخور من نحاس احمر بها رماد اخضر اللون ...

ومن خلف هذه المرأة تدلت من السقف جملة هياكل آدمية · فزعت لمرآها فقمت التمس سبيل الهرب ·· فوجدت عند فوهة الكهف منظرا اذهلنى وراعنى · رأيت سماء جميلة مرصعة بالنجوم ، فوق قمم فضية جللتها الثلوج والسحب · وفى كبد السماء قمر مستدير ثابت لا يتحرك الا ببطء شديد ...

ونظرت تحت قدمى ، فاذا وديان وسهول رائعة · عجبا ! ليست هذه من بقاع المريخ ولا مراء · ولم أصدق عينى · ولكن الواقع فرض نفسه على عقلى · فهذه جبال اريزونا ، وانا واقف الآن عند الكهف الذى سقطت فيه ميتا قبل عشر سنوات ، ثم وقفت روحى العارية فى الليل تتشوق زيارة المريخ

واخفيت راسى بين يدى وهبطت الطريق الدائرى الذى ينحدر من الكهف المفزع الى سفح الجبل ، ومن فوقى كانت مقلة المريخ الحمراء تومض مطوية على سرها الخطير على مسافة ثمانية وأربعين مليون ميل!

ترى هل وصل المريخى الى حجرة المضخات قبل أن يموت ؟ وهل

وصل الهواء الصالح للتنفس الى الناس فى آفاق المريخ البعيدة قبل أن يهلكوا ؟ هل ديا توريس على قيد الحياة ؟ أم أن جسدها البديع الجمال يرقد جثة هامدة بين جثث قومها ، بالقرب من الفرخة الذهبية التى تضم ذريتنا وثمرة حبنا السعيد ؟

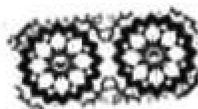
لقد ظللت عشر سنوات أوجه للسماء هذا السؤال كل يوم ومدى عشر سنوات ظللت أتوسل الى الله أن يعيدنى الى هناك حيث حبى الضائع ٠ فانى أفضل أن أرقد بلا حياة بجوارجسمانها على أن أعيش هنا على الارض بعيدا عنها ملايين الاميال

وأما المنجم فقد وجدته سليما لم يمس ، وقد أفاء على ثراء عريضا، ولكن ما جدوى الثراء !؟

ها أنذا أجلس هنا فى مكتبى المطل على نهر هدسون ، بعد أن انقضت عشرون سنة على أول يوم هبطت فيه الى أرض المريخ ٠ وانى أراه الليلة باهرا فى السماء من خلال نافذتى ٠ وكانى به ينادينى من جديد كما نادانى منذ عشرين سنة ٠ وكانى أرى وجها جميلا أسود الشعر يرمقنى بعينى محب يشتهى التقبيل ، فى حديقة القصر الامبراطورى فى هليوم ، والموت ترف أجنحته السوداء فوق رؤوس كوكب بأسره ٠٠٠ بل انى أرى أحيانا وجهها وقد جلست وحول عنقها ذراعا فتى جميل ، تروى له الاساطير عن أبيه الذى كانت تحبه، وتشير له الى نقطة بعيدة فى الفضاء وتقول له :

ـ هذه هى الارض ٠٠٠ وهناك يا بنى موطن أبيك جون كارتر ، حيث للناس قلوب من ذهب ٠٠٠

وتحت قدميها يرقد الرفيق الوفى القبيح الصورة ، وولا الأمين٠٠ يهيم مثلها فى وادى الذكريات الحزينة ٠٠٠



اشترك فى روايات الهلال

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الاعداد ترسل بالطائرة)

العراق : السيد محمود حلمى ـ المكتبة العصرية ـ بغداد

اللاذقية : السيد نخله سكاف

جدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد . مكتبة المؤيد

البرازيل : Dr. Michel H. Thome, Pateo Do Collegio, N° 3,
3° Andar, Sala 9, Sao Paulo, Brazil

غانا : Mr. Joseph Hassam
The Cine Travel Co.
P.O.Box 1883,
ACCRA GHANA



روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

المؤلف

■ ادجار رايس بوروز روائي أمريكي لم يشتغل بالكتابة الا بعد ان تجاوز السادسة والثلاثين من عمره والا بعد ان فشل فى كل عمل آخر قام به

■ وجاء يوم كان هو نقطة التحول فى حياته حين قرأ بعض القصص ولم تعجبه وعزم على ان يكتب خيرا منها

■ كانت اول رواية عن طرزان ظهرت عام ١٩١٢ ثم طبعت عام ١٩١٤

■ الف ٢٧ رواية عن طرزان فى حين انه لم يزر القارة الافريقية التى جعلها مسرحا لابطال رواياته

■ الف اكثر من عشرين رواية عن الكواكب ، وكان من خيرها « اميرة المريخ »



هذه الرواية

تعد هذه الرواية من أعجب الروايات العلمية وروايات المغامرات فى نفس الوقت ، فهى مغامرة عجيبة مثيرة على اساس علمي فريد

ومؤلف هذه الرواية هو مؤلف روايات طرزان العجيبة ، وبطل هذه الرواية اسمه « جون كارتر » وهو ضابط سابق فى الحرب الاهلية الامريكية ، افلس وفقد الاهل والصحاب ، فراح يبحث عن الذهب

وفى ظروف عجيبة صعد الى كوكب المريخ ، فاذا احداث علمية وفلكية يرويها المؤلف فى براعة ، وفى اسلوب روائى بديع ، واذا احياء تتناسب مع تلك الاحداث ، واذا بالبطل الصاعد من الارض يجد عناء ويجد غرابة فى التأقلم مع الضغط والجاذبية المختلفتين عما تعود عليه جسمه ودمه وعضلاته واعصابه وهو فوق ظهر الارض ، واذا به يجد حضارة غريبة ، وعلاقات دولية من نمط خاص ، بل واذا بالحب والتناسل على طراز فريد

والرواية الى جانب هذا حافلة بالمفاجآت والمطاردات والمخاطر والمآزق التى يتعرض لها هذا الآدمى فى كوكب غريب

وكان المنتظر ان تخلو هذه الرواية من الحب ، غير ان كيوبيد استطاع ان يصل مع هذا الآدمى الى كوكب المريخ وان يلقى سهامه ، ويعلم اهل المريخ كيف يحبون ويعشقون

وحسبنا هذا البصيص من الضوء نلقيه على الرواية ، وندع الباقى للقارئ ليطالعه فى لذة واستمتاع وسرور

اميرة المريخ